الدعاة والعمل السياسي.. دعوة للمراجعة ▪ قرن الإسلام ▪ العراق: الضرورات التي تبيح المحظورات

مع العدد: كتاب هدية

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

البيان

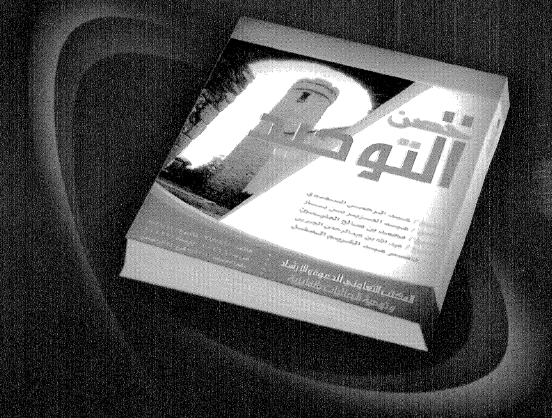
AL BAYAN

السنة الحادية والعشرون . العدد ٢٣١ . ذو القعدة ١٤٢٧هـ . ديسمبر ٢٠٠٦ م

- الرد على من زعم جواز التبرك بالآثار النبوية المكانية
- حماس.. مصير القضية لا مصير الحكومة
- هيام بالغرب يعمي ويصم



شارك معنا



بـ 11 لـغـة

في طباعة ... لتوزيعه على الحجاج ... الحساب

كتاب حصن التوحيد ٣٤٠٦٠٨٠١٠١١١١٢٧

تمت طباعة وتوزيع ٣٩٠ ألف كتاب على الحجاج وجهات أخرى .

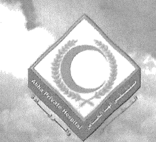
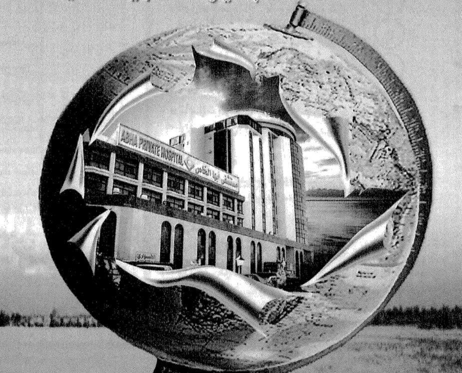
غريب
GAREEB

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد
وتوعية الجاليات بالفايزية

هاتف : ٠٦ ٣٨٣ ٨٨ ١١

جوال : ٠٥٥ ٣٨٣٨٨١١

بريدة









مجلة البيان

إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ - فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:
editors@albayan-magazine.com

الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com

التسويق:
sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩، هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.
- سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ - العذيبة ١٣٠ - هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ - فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.
- البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩-٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ - فاكس ٧٩٣٢٨٤ - ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ - الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ - هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ - فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ - هاتف: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ - فاكس: ٤٠٥١٣٥.

طبعت بمطابع الأهرام - ٦ أكتوبر

الحسابات:

- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة - شارع الأربعين - حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠/٧
- مصرف فيصل الإسلامي - حساب رقم: ٠٠٢ - ٤٥١٤ - ٤٢ - ١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي - حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات: بنك دبي الإسلامي - (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- قطر: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



المتطاولون على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى متى؟!

التطاول على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والجرأة في تنقُّصهم، سنّة الزنادقة وأهل الأهواء قديماً وحديثاً. واللافت للنظر أن هذه الجرأة ازدادت حدّتها في الآونة الأخيرة بشكل يثير الاستغراب؛ تارةً باسم النقد التاريخي، وتارةً ثانية باسم البحث العلمي، وتارةً ثالثة تحت عنوان: حرية الفكر!

والجديد في هذا السياق أمران:

الأول: أن الشيعة راحوا يؤزّون بعض أهل الأهواء من العلمانيين والليبراليين ـ وخاصة بعض أُغَيْلِمَة الصحافة ـ لمثل هذه المرتقيات الصعبة، ويستثيرونهم لافتعال ذلك النقد المزعوم دون تحقيق علمي أو دراسة موضوعية، وصدق المولى ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

الثاني: تطاول بعض أهل الفنّ على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من خلال المسلسلات التاريخية التي هدفها في الظاهر إبراز مآثر المسلمين التاريخية، وفي باطنها لمزُ بعض الصحابة الأجلاء ـ رضي الله عنهم ـ وإسقاط هيبتهم، والعبث بتاريخهم!

لقد أدرك علماء الأمة منذ وقت مبكر أن القدح في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قدحٌ في النبي ﷺ، وقدحٌ في دين الإسلام، ولهذا اشتدَّ نكيرهم على أولئك المتطاولين، وتواتر تحذيرهم منهم، وها هو ذا الإمام مالك ـ رحمه الله ـ يقول في الذين يسبون الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يُقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين)!!

وقد آن الأوان أن نجتهد في الذبِّ عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ونبرز مآثرهم وسيرهم العطرة، ونقدّمهم قدوات مباركات يهتدي بها من أراد الهداية.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات	قطر ١٠ ريالات	الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس	اليمن ١٠٠ ريالاً	الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٤ جنيهات	السودان ٢٠٠ دينار	البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً	سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة	فلسطين نصف دولار أمريكي

أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلهما

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو



كونوا أنصارَ اللَّه!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

فإن بشائر انتصار الإسلام وانتشاره، أصبحت بادية للعيان، متزايدة مع الأيام، بالرغم من كل مظاهر الإحباطات والإخفاقات وعظائم التحديات. فقد تعهد القادر القاهر - سبحانه - بنصرة دينه وإعزاز أوليائه، فقال - عزّ وجلّ -: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]. وهي غلبة مسنَدة إلى الله، ومسنودة بقوة الله، كما قال - سبحانه -: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ولكن حكمة الله اقتضت أن تكون نصرة الدين مرتبطة بأنصار، يُجري الله على أيديهم سننه، ويُوفي لأجلهم عهده. فهكذا شاء الله أن يبتلي المؤمنين ويبتلي بهم: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]. والنوازل والابتلاءات التي تتوالى على الأمة في عصرنا الراهن، تتطلب أن ينتدب لها جمهور أكبر من الأنصار؛ فضربات الأعداء تتلاحق، وخناجرهم تسفك دمنا، وحناجرهم تهجو ديننا؛ وسفهاؤهم يتطاولون على حرماتنا ومقدساتنا، ولم تعد الأمة تدري بِمَ تبدأ في التداعي للدفاع والنصرة بعد أن أصبحت كل قضايا الدين تحتاج إلى نصرة؛ فعقيدتنا وشريعتنا المستباحة على السنة السفهاء والمعطلةُ بسبب الأعداء؛ تحتاج إلى نصرة، ورسولنا المصطفى ﷺ الذي تطاول عليه أكابر المجرمين وأصاغرهم، تتوجب له النصرة، وأصحاب نبينا ﷺ ورضي عنهم الذين ولغ في سيرتهم قالة السوء قد تعينت للدفاع عن أعراضهم النصرة، وأهلونا المستضعفون في الأرض، المستباحون في الروح والدم والعرض في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وغيرها، هؤلاء يفتقرون إلى المزيد من النصرة، وإخواننا المجاهدون الذائدون عن الحرمات، والمرابطون على الثغور، قد أوجبوا باستنصارهم في الدين الكثير من النصرة.

إن كل هذه القضايا المستوجبة للنصرة، أصبحت تحتاج من الأمة، أن يهب منها الأخيار، ليكونوا جيلاً جديداً من الأنصار.

● ولِمَ لا...؟

لماذا لا تشرئب الأعناق وتتطلع الأبصار، للسير على خطى المهاجرين والأنصار؟! صحيح أن منزلة السَّبْق سبقت لأهلها، ولكن... ألم يقل الله - تعالى - عن الأنصار الأولين وإخوانهم المهاجرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فلماذا لا نكون من

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ لعلنا أن نكون من الذين ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؟

لقد قال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - في تفسير تلك الآية: «لا شك في مشاركة كل المؤمنين لأولئك الصحابة الكرام في رضى الله وثوابه، بقدر اتباعهم لهم في الهجرة إن وجدت أسبابها، والجهاد بالأموال والأنفس لنصرة الإسلام»(١).

إن النصرة - كما قال الشيخ القاسمي رحمه الله -: «منقبة شريفة؛ لأنها إعلاء كلمة الله، ونصر رسوله وأصحابه»(٢).

ولأمر يريده الله - تعالى - فقد اصطفى لكل دعوة صالحة أنصاراً، وفي ذروه السَّنام من ذلك: الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - فقد اجتبى لهم محبين وحواريين، يذيعون الحق وينشرونه، ويذودن عنه ويحمونه؛ فقد قال الرسول ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»(٣).

وقد أشاد الله - تعالى - في القرآن بحواريي نبي الله عيسى - عليه السلام - الذين استجابوا له عندما قال: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، فسارعوا ملبين: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. وقد كان للنبي ﷺ أعظم المحبين من المهاجرين، وأخلص المؤيدين من الأنصار الذين سبقوا إلى بيعته ونصرته في بيعتي العقبة الأولى والثانية، ثم لما وفد إليهم هو وأصحابه المهاجرون، تسابقوا في الاقتداء به والافتداء له حتى أثنى الله - تعالى - على عطائهم ونصرتهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤]، وأعلى ذكرهم في الكتب السابقة قبل أن يأتوا إلى الدنيا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إلى قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ...﴾ [الفتح: ٢٩]، ووعدهم في الكتاب الخاتم بالفلاح والنجاح، فقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

● وفي عصرنا أنصار

إن عصرنا المليء بالتحديات الكبار لا بد له من ركب جديد من الأنصار في كل ميادين النُّصْرة؛ فكل ميادين الدين اليوم تحتاج إلى نُصرة، ولقد دعانا الله - تعالى - كما دعا الذين من قبلنا إلى الاستجابة لنصرة دينه، فقال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

فلْنُجب الدعوة بشروطها، ولْنستجبْ لداعي النصرة، لكن لا بد أولاً من أن نعي فقه النصرة، حتى لا تصبح مجرد شعار ظاهري أو دثار خارجي لا تأثير له في الواقع، وحتى لا تقصر عنها أفهام أقوام، فينصرون الدين على غير ما يريد رب العالمين؛ فالله - تعالى - لم يترك أمر النصرة الحقة لادِّعاء مدَّعين أو اجتهاد مجتهدين، بل وضع لها أسباباً ووضَّح لها شروطاً، حتى لا يتحول الحواريون أو أنصار الدين إلى خُلُوف كما قال النبي ﷺ: «يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون». فاتخاذُ الله أنصاراً لدينه، أمرٌ جرت به السنن ومضت به الأزمنة، وطالما ظل هؤلاء على العهد؛ بقي لهم هذا الشرف، لكن إذا تخلوا عنه، خَلَوْا منه، كما قال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد اشتملت هذه الآيات على الأسباب والمرتكزات التي ينبغي توافرها فيمن يأتي الله بهم، ليُجري سنن النصر على أيديهم. وبالنظر والتأمل في هذه المرتكزات نجد أن في استكمالها استكمالاً لأسباب النصر والتمكين، وفي غيابها أو غياب بعضها ينقُص النصر أو يُنقَص أو يُختطَف، ولْنُعِد التأمل فيها:

المرتكز الأول:

بَذْلُ أسباب محبة الله لهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومحبة الله للمختارين لنصرة الدين، تستوجبها أسباب عديدة، عَدَّ الإمامُ ابن القيم - رحمه الله - منها عشرة، ووصف منزلة المحبة بأنها: «هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وإلى عَلَمِها شَمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّح العابدون»(٤).

المرتكز الثاني:

حُبهم هم لله ﴿ويحبونه﴾ بأن تكون أعمالهم وقُرُباتهم نابعة من خالص الحب المقترن بخالص التذلل، وهم بهذا يحققون جوهر العبودية التي قال ابن القيم عنها: «معقد نسبة العبودية هو المحبة؛ فالعبودية معقودة بها، بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية». والمحبة مطلوبة هنا بلوازمها، ومن لوازم محبة العبد لربه كما قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً في أقواله وأعماله وجميع أحواله.. كما أن من لوازم محبة العبد لله أن يكثر من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل... ومن لوازم محبة الله معرفته - تعالى - والإكثار من ذكره؛ فإن المحبة بدون معرفة الله ناقصة جداً، بل غير موجودة، وإن وجدت دعواها، ومَنْ أحبَّ اللهَ أكثر من ذكره، وإذا أحب اللهُ عبداً قَبِلَ منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل»(٥).

---

(١) تفسير المنار (١١/١٦).

(٢) تفسير القاسمي (٩/٣٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٠).

(٤) مدارج السالكين (٣/٧).

المرتكز الثالث:

التذلل والتواضع والشفقة والرقة والرحمة بأهل الإسلام ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال علي - رضي الله عنه - كما نقل ذلك عنه ابن جرير في تفسيره -: «أهل رقة على أهل دينهم»(١).

فأهل النصرة ليسوا من أهل الغلظة والشدة الذين يستحلون أعراض المؤمنين أو أموالهم أو دماءهم، وإنما هم حافظون أمناء، ورؤوفون رحماء، مقتدون برسول الله ﷺ في رأفته ورحمته: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

المرتكز الرابع:

العزة على أهل الباطل من الكفار، والشدة في إبطال باطلهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وبخاصة إذا جاهروا بالعداء، أو ظاهروا الأعداء؛ حيث بذلك تكمل عقيدة الولاء والبراء. قال البغوي - رحمه الله -:

«أشداء على الكفار يعادونهم ويغالبونهم، كما قال عطاء: أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته»(٢).

وهذه العزة مشروطة بعدم الظلم وعدم الغدر، وعدم النقض للعهود أو الخَفْر للذمم.

وأهل نصرة الدين لا يتعززون على الكفار انتقاماً لذواتهم، أو تكبراً بخواصهم من عرق أو لون أو جنس، وإنما يفعلون هذا انتصاراً لدينهم، وانتصافاً لكرامة إخوانهم. يقول سيد قطب - رحمه الله -: «فهؤلاء فيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء، ولهذه الخصائص هنا موضع.. إنها ليست العزة للذات، ولا الاستعلاء للنفس، إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين، إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم أن يطوِّعوا الآخرين للخير الذي معهم، لا أن يطوِّعوا الآخرين لأنفسهم»(٣).

المرتكز الخامس:

افتداء الدين بالغالي والثمين، جهاداً بالنفس وجهاداً بالمال وبالوقت والجهد، مع احتساب الأجر على الله وحده: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤] فالجهاد ذروة سنام الإسلام؛ وأعلى الجهاد وأغلاه الجهاد بالنفس قتالاً في سبيل الله. فالجهاد المذكور في النصوص الشرعية ينصرف إلى هذا في الأساس، وما عداه من أنواع الجهاد تبع. وقد وصف النبي ﷺ أنصار الدين، أو الطائفة المنصورة بأنهم «يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرُهم المسيحَ الدجال»(٤).

وفي زمن استأسد فيه أهل الباطل، وتدججوا بكل أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية لا يصح أن يكون أهل الحق مدجَّنين في مواجهة هؤلاء المدجَّجين، ولن تقوم دعوة الإسلام الكاملة الصحيحة إلا بالمزج بين الأمرين. قال ابن القيم - رحمه الله -: «أقام الله الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان؛ فكلاهما في نصرة الدين شقيقان».

المرتكز السادس:

الصَّدْعُ بالحق والشهادة بالصدق، مع عدم الاعتبار بإنكار المنكرين ولوم اللائمين في مرضاة الله رب العالمين ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأنصار الله بمجموع صفاتهم السابقة، سوف يستجلبون حتماً، سخط الساخطين، وتبرم المتضررين من علو شأن الدين، سواء كان هؤلاء من الكفار أو المنافقين أو العصاة المفرِّطين، وهنا لا بد لأنصار الله من المضي في سبيلهم المَرْضي عند الله، دون التفات للومة لائم، أياً كان هذا اللائم؛ فمحبة الله ورضاه مقدَّمة على محبة أي مخلوق سواه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

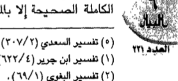
وقد بايع المؤمنون الأوائل من المهاجرين والأنصار رسول الله ﷺ على عدم الخوف من لوم اللائمين في سعيهم لإقامة الدين. قال عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - كما أخرجاه في الصحيحين: «بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أَثَرَةٍ علينا، وعلى ألاَّ ننازع الأمرَ أهلَه، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»(٥).

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾: «أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال أعدائه وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك رادٌّ، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل»(٦). فالمداهنة في الدين ليست من خُلُق الصادقين ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

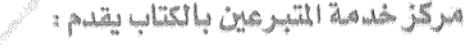
إن القيام بهذه المرتكزات، والتخلُّق بتلك الصفات يحتاج إلى رجال، يستحقون المنة والإفضال من ذي الكبرياء والجلال - سبحانه وتعالى - ولهذا قال - عزَّ وجلَّ - عُقَيْب الصفات المذكورة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وبهذا الفضل العظيم يستوفي المؤمنون مؤهلات التمكين وصفات أنصار الدين الموجبة لولاية رب العالمين، ولهذا قال الله - تعالى - في الآيات بعدها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

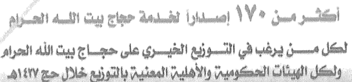
فاللهم اجعلنا من أوليائك وحزبك، وهيئنا لأن نكون من أنصار دينك! (آمين!)



(٥) تفسير السعدي (٢/٢٠٧).
(١) تفسير ابن جرير (٤/٦٢٢).
(٢) تفسير البغوي (١/٦٩).
(٣) في ظلال القرآن (٢/٩١٩).
(٤) رواه أبو داوود (٢٤٨٤).
(٥) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٨٤٠).
(٦) تفسير ابن كثير (٢/٩٧).







الحقائب الدعوية



الكتب

أكثر من ٤٠ كتاباً في أحكام ومناسك الحج والعمرة ومنها :



الكروت الدعوية

أكثر من ٣٥ كارتاً دعوياً في الحج والعمرة ومنها :

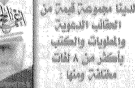


المطويات الدعوية

أكثر من ٦٠ مطوية في الحج والعمرة ومنها :

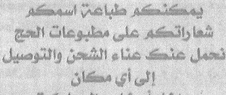


لدينا مجموعة قيمة من الحقائب الدعوية والمطويات والكتب بأكثر من ٨ لغات مختلفة ومنها





يمكنكم طباعة اسمكم
شعاراتكم على مطبوعات الحج
نحمل عنك عناء الشحن والتوصيل
إلى أي مكان
داخل أو خارج المملكة

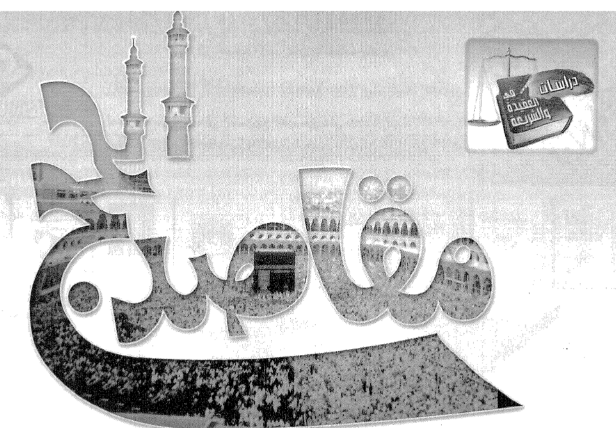


مفاجأة الموسم الدعوية

- كتاب كيف نحقق التوحيد
- وكتاب التحذير من فتنة القبور

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله

فروعنا في جميع أنحاء المملكة جاهزة لخدمتكم



د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي (*)

إن حج بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، فرضه الله على عباده مرةً في العمر، من استطاع إليه سبيلاً، لا ليستكثر بهم من قلة، ولا ليستعز بهم من ذلة؛ فهو الغني الحميد؛ من أطاعه فقد رشد، ومن كفر فلن يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً. قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

[آل عمران: ٩٧]

والحج، بالنسبة للفرد، مدرسة إيمانية تربوية، ومَعْلَمُ طريق في حياته، وحدث تاريخي، لا يزال يلهج بذكره. يمضي الحاج أياماً في رحلة قدسية، أنسية، يجتمع له فيها شرف الزمان، وشرف المكان، وشرف العمل:

١ - فالزمان: أيام عشر ذي الحجة، التي أقسم بها الرب - عز وجل - فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، وقال عنها نبيه ﷺ: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر - يعني عشر ذي الحجة - قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عفّر وجهه بالتراب» رواه البزار، وابن حبان، وصححه الألباني.

٢ - والمكان: بيت الله الحرام، والمشاعر العظام: منى، ومزدلفة، وعرفة. قال - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

٣ - والعمل: أحب العمل إلى الله، قال ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام العشر - قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه، وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري. وأي عمل أعظم مما اختصه الله بها، وهو الحج الذي قال فيه ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه مسلم.

والحج، بالنسبة للأمة، مؤتمر سنوي، وتظاهرة عالمية ليس لها نظير، تنصهر في رحابه مختلف الأعراق، واللغات، والبلدان، والطبقات، في وحدة إيمانية، ولُحمة أخوية، ومناسك مشتركة تدهش الناظرين، وتدل على حكمة أحكم الحاكمين.

وقد وعد الله عباده المستجيبين لندائه شهود منافع مطلقة، لا حصر لها، ولا حد، فقال: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨]. وفيما يلي التماس لأهم تلك المنافع التي يشهدها حجاج بيت الله الحرام، ويرجعون بها إلى أهليهم، ويبقى لهم غُنْمُها:

● أولاً: التوحيد والإخلاص:

إن القارئ لآيات بناء البيت، ورفع قواعده، والأذان بالحج، يلحظ التلازم الوثيق بين هذا الحدث الكبير، وتقرير التوحيد، ونبذ الشرك. قال - تعالى -:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

(*) قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم.

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٣١].

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠ - ٣١].

كما يجد المتتبع لسياق حجة النبي ﷺ إعلان التوحيد، في عدة مشاهد مشرقة، منها:

١ - التلبية: ففي حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: «فأهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد، والنعمة، لك، والملك، لا شريك لك» رواه مسلم.

٢ - سؤال الله الإخلاص: فقد سأل ﷺ ربه قائلاً: «اللهم حجة، لا رياء فيها ولا سمعة» رواه ابن ماجه. فإن بذل الأموال، ومفارقة الأهل والوطن، والتعرض للأخطار، مظنة لتسلل العُجْب والرياء إلى النفس.

٣ - قراءة سورتي التوحيد: العملي، والعلمي: الكافرون، والإخلاص، في ركعتي الطواف.

٤ - ذكر الصفا والمروة: قال جابر - رضي الله عنه -: «فاستقبل القبلة، فوحَّد الله، وكبَّره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

٥ - الدعاء: وهو من أعظم مظاهر التوحيد، حين يُقبل العبد على ربه، بكليته؛ خائفاً، راجياً، طامعاً، راغباً، راهباً، منيباً، متضرعاً، مبتهلاً. وقد وقع ذلك للنبي ﷺ في ستة مواقف طوال في حجة الوداع: على الصفا، وعلى المروة، وفي عرفة، وعلى المشعر الحرام في المزدلفة، وبعد رمي الجمرة الصغرى، وبعد رمي الجمرة الوسطى، في سائر أيام التشريق.

فحري بمن أشهده الله هذه المواطن الشريفة، أن يفقه هذه المعاني الشريفة، وأن ينفض الغبار عن نفسه، ويجلو صدأ قلبه، ويذكي جذوة التوحيد في روحه. فكما أن الكعبة بيت الرب في الأرض، فالقلب بيت الرب في العبد. وكما أن الكعبة يطيف بها الحجاج والعمار، فينبغي أن يطيف بالقلب الخوف، والرجاء، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، وغيرها من وظائف القلب السليم.

وقد جعل النبي ﷺ خير الذكر والدعاء، ما يكون في خير يوم طلعت فيه الشمس، يوم عرفة، فقال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» رواه الترمذي، وفي لفظ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة...» رواه الطبراني، وحسنه.

● ثانياً: المتابعة والانقياد:

ما من عبادة من العبادات يتجلى فيها الانقياد التام، والمتابعة المطلقة لرسول الله ﷺ، كالحج؛ فالحاج يتقلب في مناسك متنوعة، ويتنقل بين مشاعر متعددة، لا يعقل لكثير منها معنى، سوى الامتثال لأمر الله، والتأسي برسول الله. فهو يقبِّل حجراً تارةً، ويرمي حجراً تارةً أخرى؛ وهو يتجاوز مشعراً، ليصل إلى آخر، ثم يعود إلى الأول؛ وهو يطوف سبعاً، ويسعى سبعاً، ويرمي بسبع، دون أن يدرك معنى خاصاً للعدد.

وقد أدرك الصحابة - رضوان الله عليهم - أهمية المتابعة، وشعروا بالحاجة إلى تصحيح مناسك إبراهيم، عليه السلام، وتنقيتها مما شابها من شرك الجاهلية وبدعها، على يد أَوْلى الناس به، محمد ﷺ، فما أن أُذِّن في الناس في السنة العاشرة، أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، حتى «قدم المدينة بشر كثير» رواه مسلم، وفي رواية: «فلم يبق أحدٌ يقدر أن يأتي راكباً، أو راجلاً، إلا قدِم» رواه النسائي، «كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله» رواه مسلم. ويصف جابر ابن عبد الله - رضي الله عنهما - ذلك المشهد العجيب، والموكب النبوي المهيب، حين استوت به ناقته على البيداء، بقوله: «فنظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب، وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به» رواه مسلم.

كما أنه ﷺ ظل ينبه على هذا المعنى، من المتابعة والانقياد، فيقول: «لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلِّي لا أحج بعد حجتي هذه» رواه مسلم.

وقد فقه الصحابة هذا المعنى، فلما قبَّل عمر - رضي الله عنه - الحجر الأسود، قال: «إني لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك، ما قبلتك» رواه الجماعة. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وفي قول عمر هذا، التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ، فيما يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه» فتح الباري: ٣/٤٦٣.

وقال عمر - رضي الله عنه - أيضاً: «ما لنا وللرَّمَل، إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه» رواه البخاري. وفي رواية: «فيما الرَّمَلانُ الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطَّأ الله الإسلام،

ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك، لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

ولم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - يسألون النبي ﷺ، في المناسك، ولا في غيرها: أَوَاجبٌ هذا أو سنةٌ؟ بل كانوا يعظمون سنته، ولا يماكسون فيها، ولا يتتبعون الرخص والشاذ من الفتاوى، كما يصنع الناس اليوم، ويعملون بمقتضى قوله ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم» متفق عليه.

● ثالثاً: إقامة ذكر الله:

إن من أعظم مقاصد الحج، وأهمها، إقامة ذكر الله. ويلحظ القارئ لآيات المناسك تكرار الأمر بذكر الله عقيب كل منسك، قال - تعالى -: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

[البقرة: ١٩٨ - ٢٠٠]

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

[الحج: ٣٧]

وقال ﷺ: «إنما جُعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله في الأرض» رواه الترمذي، وقال: «أفضل الحج: العجُّ والثجُّ»، وقال له جبريل - عليه السلام -: «كن عجَّاجاً ثجاجاً» رواه أحمد. والعجُّ: رفع الصوت بالتلبية، والثجُّ: إهراق دم الهَدْي.

فينبغي لمن تلبَّس بهذه المناسك أن يستشعر هذا المعنى الجليل، وأن يلهج لسانه بذكر الله، وتكبيره، واستغفاره، ودعائه، كما أمر؛ فإن الله يحب أن يُذكر اسمُه. وكثير من الناس ينهمك في أداء المناسك ببدنه، وقلبه غافل، ولسانه عاطل.

كما ينبغي لمن أكرمه الله بإقامة ذكره في الحج أن يحفظ الدرس، ويرجع ذاكراً، شاكراً، حامداً، مهللاً، مكبراً، لا يزال لسانه رطباً بذكر الله في جميع تقلباته، وأحواله؛ فالذكر جماع الخير، ومنبع الفضائل؛ فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فبابٌ نتمسك به جامع؟ قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عزَّ وجل» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

● رابعاً: تعظيم شعائر الله وحرماته:

قال - تعالى - في سياق آيات الحج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «حرمات الله: كل ما له حرمةٌ، وأمر باحترامه من عبادة أو غيرها؛ كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها؛ فتعظيمها إجلالاً بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون ولا متكاسل ولا متثاقل» ثم قال: «المراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها: المناسك كلها؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ومنها: الهدايا والقربان للبيت... ومنها: الهدايا؛ فتعظيمها باستحسانها، واستسمانها، وأن تكون مكمَّلة من كل وجه. فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب؛ فالمعظم لها يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله).

تيسير الكريم الرحمن: (٣/ ١٠٩٨-١٠٩٩)

إن هذا الحس الإيماني المرهف، الذي يستقرئ المعاني من وراء الصور والأعيان في مناسك الحج وشعائره، ينبغي أن يستصحبه المؤمن في سائر شعائر الله الزمانية والمكانية؛ فيعظم ما عظم الله، ويهوِّن ما هوَّن الله، ويقدِّم ما قدم الله، ويؤخر ما أخر الله، وتستقيم مشاعره مع شعائر الله، ويكون هواه تبعاً لما جاء به نبيه ﷺ.

وكثير من الحجاج ينهمك في أداء المناسك الظاهرة؛ من طواف، وسعي، ورمي وغيرها، دون أن يصاحب ذلك تعظيم باطني لشعائر الله؛ فلهذا يتشاغل برؤية الغادي والرائح، ويبدو عليه الفتور والملل، ويبحث عن شواذ الرخص؛ بخلاف من عمر قلبه بجلالة الموقف، ولذة العبادة. وهذا ينسحب على بقية شرائع الدين.

● خامساً: الولاء والبراء:

عجباً لهذا الدين العظيم! كيف ينشئ في نفوس معتنقيه وحدةً فريدة، ولُحمةً متينة، وانتماءً عميقاً، يتخطى الحواجز المكانية والزمانية، ويتسامى على الفروق العرقية والاجتماعية، ويتجاوز الخلافات السياسية والمادية، ويصهر التنوعات اللغوية والثقافية، لمختلف الشعوب والقبائل في نهر كبير مطَّرد، اسمه (الأمة الإسلامية)!

حين يلفظ العربي الفصيح، والأعجمي بلكنته: (لا إله إلا الله. محمد رسول الله).

وحين تصطف صفوف الصلوات الخمس خلف إمام واحد، يصلون لرب واحد.

وحين يقتطع المسلم الغني زكاة ماله ليرفد بها إخوانه الفقراء في أصقاع الأرض.

وحين يمسك أكثر من مليار من البشر عن الأكل والشرب، في شهر واحد.

وحين تبعث كل أمة بوفدها إلى بلدٍ واحد، في شهرٍ واحد، لأداء نسكٍ واحد، على صعيد واحد، لباسهم واحد، يلبون لرب واحد، نبيهم واحد، وكتابهم واحد.

حين يفعلون ذلك، يتجلى بشكل واضح أحد مقاصد الدين العظام، ألا وهو تحقيق الموالاة بين المؤمنين، وشعورهم برابطة الأخوة الإيمانية التي تجتاح جميع الروابط، وتذيب جميع الفوارق. قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦]، وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١] وهذه الموالاة تفرض حقوقاً وحرمات على أعضاء الجسد الواحد، ولَبِنات البنيان الواحد، جسَّدها النبي ﷺ في خطبة عرفات، وبين يديه مائة ألف أو يزيدون، حين قال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» رواه مسلم.

وبإزاء هذه الموالاة، ومن لازمها ومقتضاها: البراءة من الكفار على اختلاف أصنافهم ومللهم. وقد كان موسم الحج الميدان المناسب لإعلان تلك البراءة، زماناً ومكاناً، حيث أنزل الله - تعالى - صدر سورة براءة: ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ١ - ٣]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بعثني أبو بكر - رضي الله عنه - تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى: ألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» رواه البخاري.

وقد تضمنت حجة النبي ﷺ العديد من شواهد البراءة من المشركين، ومخالفة هديهم:

١ - في التلبية: كانوا يقولون: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، ملكته وما ملك» فأهلَّ بالتوحيد.

٢- الجواز إلى عرفة: مخالفةً لمشركي قريش الذين كانوا يقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه.

٣- الدفع من عرفة بعد مغيب الشمس، وذهاب الصُّفْرة، خلافاً للمشركين الذين كانوا يدفعون من عرفة حين تكون الشمس على رؤوس الجبال كالعمائم على رؤوس الرجال.

٤- الدفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس، خلافاً للمشركين الذين كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، لجبلٍ في المزدلفة تشرق عليه الشمس.

قال ابن القيم، - رحمه الله -: «استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين، لا سيما في المناسك».

تهذيب سنن أبي داود: (٣/٣٠٩)

وقد قرر هذه البراءة من الجاهلية وأهلها في خطبة عرفة حين قال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدُ إن اعتصمتم به: كتابَ الله».

رواه مسلم.

إن الدرس العظيم الذي ينبغي أن يرجع به كل حاج أن يشعر أنه من أمة مصطفاة خُيِّرت على سائر الأمم، وهُديت لأفضل السبل، وأنْ ليس ثَمَّ إلا إسلام أو جاهلية، هدىً أو ضلالة، حزب الله، أو حزب الشيطان، صبغة الله، أو صبغة الذين لا يعلمون ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهذه الأمة، وإن بدت متخلفةً مادياً وعسكرياً، بسبب تقصير أهلها بالأخذ بأسباب القوة والإعداد، إلا أنها تأوي إلى ركن شديد من العقائد، والشرائع، والأخلاق، ما إن يأذن الله بالفتح والفرج، حتى تعود لخيريتها، وتؤدي دورها الذي أكرمها الله به. قال - تعالى -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فلا ينبغي للمؤمن أن يهون، ولا يحزن، مهما بلغ الحال من الهزيمة الظاهرية: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وما أحرى الأمة، بجميع فئاتها وتخصصاتها، أن تتخذ من موسم الحج موسماً للتلاقي، والتباحث في مصالحها المختلفة؛ فتعقد المؤتمرات السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والاجتماعية في موسم الحج، ويتكرر ذلك كل عام، إذاً لانحلت مشكلات كثيرة، وتذللت صعاب جمة، وبدت الأمة أمام خصومها قويةً متماسكة.

● سادساً: ابتغاء فضل الله بالتجارات:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانت عكاظ، ومَجَنَّة، وذو المجاز، أسواق الجاهلية، فتأثموا أن يتَّجِروا في المواسم، فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ رواه البخاري. وعن أبي صالح، مولى عمر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا أمير المؤمنين! كنتم تَتَّجِرون في الحج؟ قال: وهل كانت معايشهم إلا في الحج؟

إن موسم الحج فرصة لالتقاء مختلف الشعوب الإسلامية لتحقيق منافع مشتركة، ومصالح متبادلة، ومنها المنافع التجارية، والمصالح الاقتصادية، دون أن يغض ذلك من قدر النُّسُك؛ فقد رفع الله الجُناح عن الأمة في مزاولة هذه المناشط الحيوية التي تعود عليها بالقوة والخير. ولو أحسن المسلمون اليوم استغلال هذا الموسم من هذا الجانب، لأمكن أن يؤسس لما

يسمى (السوق الإسلامية المشتركة) من خلال عرض منتجاتهم، وإبرام العقود والاتفاقيات التجارية، ويحققوا فيما بينهم الاكتفاء الذاتي، ويستغنوا، أو يكادوا، عن الابتزاز العالي المذل.

● سابعاً: التقوى:

جميع شرائع الدين تهدف إلى تحقيق التقوى؛ بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه. وآيات الحج، بصفة خاصة، مختتمة بالأمر بتقوى الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾.

[الحج: ٣٧]

فهي تخاطب في الناسك خبيئة قلبه، وتستثير ورعه، ألاَّ يرتكب محظوراً، ولا يفرط في هَدْيٍ، أو فديةٍ، أو كفارةٍ، وألاَّ يقع في رفثٍ، أو فسوقٍ، أو جدالٍ، أو إثمٍ في الحج. وإلى جانب ذلك تشعره أن جميع قُرُباته، مهما دقت، معلومة، محفوظة، مشكورة: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

إن هذه الرقابة الذاتية الصارمة التي يلتزم بها الحاج أياماً معدودات، يمكن أن تتحول إلى منهج، وسلوك مستديم، يرجع به الحاج الموفق إلى وطنه، وكأنما تنبه من غفلة، أو استيقظ من رقاد.

● ثامناً: حسن الخلق:

الحج سفر، والسفر قطعة من عذاب. وفي الحج من بُعد الشُّقة، وزيادة الكلفة، وحصول الازدحام، ما يتطلب مستوىً خلقياً رفيعاً، من الصبر والاحتمال، تدفع الضجر، وأريحية بالغة، تتسامى عن الأثرة، وتحمل على الإيثار، والصفح، ومجاهدةً وغالبةً للنفس الأمارة، تهزم الشهوات وحظوظ النفس. قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. قال عطاء ـ رحمه الله ـ: (الجدال: أن تجادل صاحبك حتى تغضبه و يغضبك).

ومن أجمل الأخلاق الاجتماعية: الرفق، وقد دفع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: «أيها الناس! عليكم بالسكينة؛ فإن البرَّ ليس بالإيضاع» رواه البخاري.

ومن الأخلاق الكريمة: التواضع، وقد أردف النبي ﷺ الفضل بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما دفع من المزدلفة، وشرب زمزم من دلو يشرب منه سائر الناس. رواهما مسلم.

ومن مكارم الأخلاق حُسن معاشرة الزوجة؛ فحين حاضت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ودخل عليها فوجدها تبكي، سلاَّها، وعزَّاها، قائلاً: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم»، وحين ألحَّت أن تأتي بعمرة بعد الحج، قال: «اذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم» «وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت الشيء تابعها عليه» رواهما مسلم.

إن هذه الرحلة الشاقة، والآداب الصارمة، يمكن أن تؤسس لقيم خلقية ثابتة، يلتزمها الحاج بعد رجوعه، ويتحلى بها في رحلة العمر كله، بعد أن لمس آثارها، وجنى ثمارها، في تلك الأيام المعدودات.

● تاسعاً: التوبة والاستقامة:

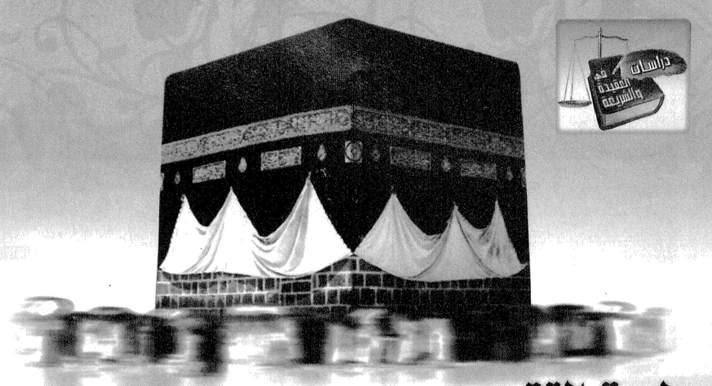
الحج حدث عظيم في حياة المسلم، يعلق عليه كثير من المسلمين آمالهم، ويرونه مفرق طريق، وإيذاناً باستئناف حياة جديدة يستشرفون فيها المستقبل بتفاؤل وعزم على الاستقامة، وهجر لحياة التفريط والمعاصي. لا غرو؛ فالحج أحد المكفرات الكبار التي تجُبُّ ما قبلها؛ فعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: ابسط يدك فلأبايعك. قال: فبسط، فقبضت يدي، فقال: «ما لك يا عمرو؟» قلت: أشترطُ. قال: «تشترط ماذا؟» قلت: أن يُغفَر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» متفق عليه. وفي هذا الحديث بشارة وإشارة:

١- فالبشارة ظاهرة، وهي مغفرة السيئات، فيرجع ابن تسعين، إذا وفَّى بالشرط كابن ساعة، لا خطيئة عليه، صفحته بيضاء نقية.

٢- وأما الإشارة: فينبغي لمن حظي بهذه الكرامة أن يحافظ عليها، فلا يلطخ صحيفته البيضاء بسواد المعاصي. وقد فسر الحسن البصري ـ رحمه الله ـ الحج المبرور بقوله: (أن يرجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة). وهذا من أعظم علامات القبول.

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يمن علينا بحج مبرور، وسعي مشكور، وتجارة لا تبور، وأن يصلح لنا ولأمتنا جميع الأمور، إنه غفور شكور. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



طريق التقوى في الحج

إبراهيم بن صالح الدحيم

eedd@gawab.com

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد السفر فزوّدني؛ فقال: «زوّدك الله التقوى»(١)، وجاء آخر فقال: يا رسول الله! إني أريد السفر فأوصني، قال: «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف»(٢).

إنها وصية جامعة، قليلة في مبناها عظيمة في معناها. وإذا كان كل مسافر يحتاج الوصية بالتقوى، ويُؤمر بسؤال الله لزومَها فيه كما في دعاء السفر المشهور: «اللهم إني أسألك في سفري البرَّ والتقوى»(٣)؛ فإن الحاجَّ والمعتمر قد خص بالوصية بالتقوى، وأن يجعلها زاداً يتزود منه في طريقه، يهلك عند إهماله، كما قال - تعالى - في آيات الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وزاد التقوى لا يقدر قدره إلا أصحاب العقول التامة، والبصائر المنيرة، ولذا عناهم بالتأكيد فقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أما سواهم فليس في قاموس أزوادهم ذكر التقوى، بل هو الطعام الشهي، والمركب الفاره، والفراش الوثير..

سارت مشرقة وسرت مغرّباً

شتان بين مشرّق ومغرّب!

قال ابن رجب - رحمه الله -: «فما تزوّد حاجٌّ ولا غيره بأفضل من زاد التقوى، ولا دُعي للحاج عند توديعه بأفضل من التقوى»(٤).

وقد كان السلف يوصي بعضهم بعضاً بذلك، قال بعضهم لمن ودّعه: اتقِ الله؛ فمَنْ اتقى الله فلا وحشة عليه. وقال آخر لمن ودّعه للحج: أوصيك بما وصى به النبي ﷺ معاذاً حين ودّعه: «اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالقِ الناس بخُلُق حسن»(٥). وحيث إن الأمر بالتقوى أمر عظيم يشمل فعل الأوامر واجتناب النواهي مما لا يأتي عليه الحصر فإني أجد نفسي مضطراً لبيان طريق التقوى في الحج في عدد من النقاط، حتى يقع الحج على التقوى، ويكون ناتجه التقوى بإذن الله.

---

(١) الترمذي (٣٤٤٤) من حديث أنس، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٢) الترمذي (٣٤٤٥) من حديث أبي هريرة، قال الألباني: حديث حسن.

(٣) مسلم (١٣٤٢).

(٤) لطائف المعارف، ص (٤١٧).

(٥) الترمذي (١٩٨٨).

● **أولاً: وأتموا الحج والعمرة (لله):**

الإخلاص وتجريد العبادة من الشريك مطلوبة في كل عمل، وإنما خص الحج والعمرة بالذِّكر (من أجل أنهم - المشركين - كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى أصنامهم، فخصهما بالذِّكر لله - تعالى - حثّاً على الإخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد المحظور)[1]. وعندي وجه آخر: وهو أن الحج والعمرة فيهما من المشقة الظاهرة ومفارقة الأوطان ما يظهر أمره للناس، ويعظم عندهم فيه الثناء لعِظَم الجهد والتضحية - خاصة عند قلّة الظَّهر وبُعْد الشقة - وهذا قد يغري النفس بممدحة الناس وحسن ثنائهم، فتقع في شَرَك الرياء، وحبائل التسميع، فوجب التأكيد على الإخلاص. وقد رُوي عن بشر بن الحارث أنه قال: (الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.. ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطي سراً، لا يراه إلا الله عزَّ وجلَّ)[2]. و (بِشْرٌ) في قوله هذا: نظر إلى جهة قرب العمل للإخلاص والتجرد، وأن ما خفيَ كان أقرب، وإلا فالحج والعمرة والجهاد أعمال عظيمة لا يقارن بها غيرها إذا لازمها الإخلاص وبُنيت على التقوى.

إن الله - تعالى - أمر أن يُعبد وحده دون سواه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله - تعالى -: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[3]. أرأيت كيف يذهب الجهد، وكيف تضيع التضحيات، حين يكون القصد لغير الله أو يكون لله فيه شريك؟ حجَّ النبي ﷺ على رحل رثٍّ وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي أربعة دراهم ثم قال: «اللهم حَجَّةٌ لا رياء فيها ولا سمعة»[4]. قال رجل لابن عمر - رضي الله عنهما -: ما أكثر الحاج! فقال ابن عمر: ما أقلّهم! وقال شريح - رحمه الله -: الحاج قليل والركبان كثير[5].

خليليَّ! قطاع الفيافي إلى الحمى
كثيرٌ، وأما الواصلون قليلُ
وجوه عليها للقبول علامةٌ
وليس على كل الوجوه قبولُ

ومِنْ خفي الرياء ومدخول العمل أن تنشط النفس عند رؤية الناس، وتقعد وتموت في الخلوة، بل ربما ساء منها الفعل وقبح. ذكر ابن رجب أن بعض المتقدمين كان يحج ماشياً على قدميه كل عام، فكان ليلةً نائماً على فراشه، فطلبت منه أمه شربة ماء، فصعب على نفسه القيام من فراشه ليسقي أمه، فتذكر حجه ماشياً كل عام وأنه لا يشق عليه ذلك فحاسب نفسه، فرأى أنه لا يُهوِّنه عليه إلا رؤية الناس له ومدحهم إياه فعلم أنه كان مدخولاً[6]. ورُوي عن بعض السلف أن رجلاً جاءه فقال: أريد أن أحج، فقال: كم معك؟ قال: ألفا درهم، قال: أما حججت؟ قال: بلى، قال: فأنا أدلك على أفضل من الحج، اقضِ دين مَدين وفرِّج عن مكروب، فسكت، فقال: ما لك؟ قال: ما تميل نفسي إلا إلى الحج، قال: إنما تريد أن تركب وتجيء ويُقال: قد حجّ![7]. ونحن لا ننكر نشاط النفس مع الرفقة الصالحة، وانبعاثها للعمل بينهم، لكن محلّ الذم أن تنقطع النفس أو تنقلب إذا خلت، مما يوقع الريب في صدق العامل ورغبته.

فيا مَنْ توجَّه نحو البيت، وشدَّ إليه رحاله، اجعل وجهك رب البيت، لا يكن قصدك من الحج رياء ولا سمعة، فإن «من الناس من يحج ليُقال له: الحاج فلان، أو ليُحْتَفل بقدومه، وهذا من أخسِّ ضروب الرياء»[8]، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «من سمَّع سمَّع الله به ومن راءى راءى الله به»[9].

أيها الحاج! أتدري من تقصد وإلى من تعمد؟! (أتظن الحج مفارقة الأوطان، وترك مفارقة النسوان، وجَوْب السباسب على النجائب وقطع المراحل على الرواحل؟! كلا والله، بل هو خلوص النية للبَرِّ - سبحانه - قبل استقبال البرية، وإصلاح الطوية قبل امتطاء المطية، وخلع الشريك مع خلع الثياب للإحرام، وتجريد القلب لله قبل تجريد البدن من المخيط).

● **ثانياً: خذوا عني مناسككم:**

أذَّن المؤذن في السنة العاشرة من الهجرة أن رسول الله ﷺ يحج السنة، فقدم المدينة بشرٌ كثير، كلهم يريد أن يأتمَّ به ﷺ، كيف لا؛ ومحمد ﷺ سيكون المرشد العام في الحج.. أرأيت لو كنت حاضراً تلك السنة أتُراك تتخلّف عن الحج معه؟! أم تُراك تطلب رفقة أحدٍ سواه؟!

أما وقد خُلِّفْتَ بعده وليس لك إلى صحبته سبيل، فعليك بسنّته وهديه ﷺ إن كنت صادقاً في دعوى الصحبة، فقد أرشدك فقال: «خذوا عني مناسككم». وها هي سنَّة نبينا ﷺ

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٤٣/٣)، دار الفكر.
(٢) حلية الأولياء (٣٩٩/٨).
(٣) مسلم (٢٩٨٥).
(٤) ابن ماجه (٢٨٩٠)، وقال الألباني: حديث صحيح.
(٥) لطائف المعارف، ص (٤١٩).
(٦) لطائف المعارف، ص (٤٢٠).
(٧) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي (٩٩/١).
(٨) تفسير المنار (١٨٦/٢)، إحياء التراث. وقد نقله صاحب المنار عن شيخه محمد عبده.
(٩) مسلم (٢٩٨٦).

قد دوّنت فالزمْها، محفوظة فاعمل بها، فإن العمل كلما كان أقرب إلى السُنَّة كان أرجى للقبول، وأدلّ على التقوى. صحّ عنه ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[1]. فاحذر أن تترك السُنَّة والشرع بحجة جريان العادة بخلافها، فإن مقابلة الشرع بالعادة من حال الذين لا يؤمنون ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فعلى الراغب في اقتفاء سنة نبيه ﷺ أن يستعدّ لتعلُّمها قبل الحج، بحضور دورات أو دروس في فقه الحج وسننه وآدابه، ويقرأ ما كتبه العلماء - بعبارة واضحة - في ذلك، ويستمع لما سجّلوه من تسجيلات، وأن يصحب عارفاً بالأحكام حريصاً على حفظ الليالي والأيام.

● ثالثاً: لازم العمل الصالح:

حافظ على العمل الصالح وعليك بالازدياد منه، فذلك من دلالات التقوى، ومعالم البرّ، قال ابن رجب: من حجّ من غير إقامة للصلاة كان بمنزلة من سعى في ربح درهم وضيّع رأسماله وهو ألوف كثيرة[3]. لقد دأب السلف في الحج أن يحافظوا على نوافل الصلاة فضلاً عن إقامة الفريضة على أحسن حال. كان محمد بن واسع - رحمه الله - يصلي الليل في طريق مكة في مَحْمله يُومئ إيماءً، ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه، حتى يُشْغَل عنه بسماع صوت الحادي فلا يُتفطن إليه[5].

وكان المغيرة بن حكيم الصنعاني يحجّ من اليمن ماشياً، وكان له ورْد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن، فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورْده، ثم يلحق بالركب متى لحق وربما لم يلحقهم إلا آخر النهار[4]. سلام على تلك الأرواح، رحمة الله على تلك الأشباح، ما مثلنا ومثلهم إلا كقول القائل:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم

ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وعليك بالصدقة والدعاء والذِّكر والحمد والثناء، لازمْ قرع الباب فقد دنا فتحه؛ علَّ دعوة منك تستجاب فتسعد في دنياك وأخراك. فمن الناس من يأخذه التجوال عن التسبيح والسؤال، وينشغل بالحادثة عن النافلة، فإياك وتضييع الأوقات في غير طائل، وذهاب الأيام الفاضلة وأنت غافل، واجتهد تلقَ رحيق العنبري.

● رابعاً: الخدمة والإحسان:

عليك بالإحسان إلى الناس وخدمتهم، وحسن الخُلق معهم، والصبر على أذاهم، وأحقُّهم بذلك من جمعتك بهم رفقة السفر، فالإحسان إليهم وخدمتهم أفضل من العبادة القاصرة على النفس. كان رسول الله ﷺ في سفر في حرٍّ شديد ومعه صائم ومفطر، فسقط الصوُّام وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال ﷺ: «ذهب المفطرون بالأجر»[5].

وفي مراسيل أبي داود عن أبي قلابة - رضي الله عنه - قال: «قدم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من سفر يثنون على صاحب لهم قالوا: ما رأينا مثل فلان قط ما كان في مسير إلا كان في قراءة، ولا نزلنا منزلاً إلا كان في صلاة، قال: فمن كان يكفيه ضيعته.. حتى ذكر من كان يعلف دابته؟! قالوا: نحن. قال: فكلكم خير منه»[6].

وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر - رضي الله عنهما - وأنا أريد أن أخدمه وكان يخدمني أكثر[7]. وكان كثيرٌ من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم؛ اغتناماً لأجر ذلك، منهم: عامر بن عبد قيس، وعمر بن عتبة بن فرقد، وكان إبراهيم بن أدهم يشترط الخدمة والأذان.

وعليك أن تحسن إلى الحجيج عامة، وأن تبشّ في وجوههم، وتعينهم في قضاء حوائجهم، ولا تحقرنّ من ذلك شيئاً، فقد أوصى النبي ﷺ أبا جري الهجيمي فقال: «لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تعطي صلة الحبل، ولو أن تعطي شسع النعل، ولو أن تنحّي الشيء عن طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تؤنس الوحشان في الأرض»[8]، الوحشان: المغتم. وفي الحج تكثر حاجة الناس إلى بعض، فجُدْ بنفسك ولا تبخل.

عليك أن تصبر على ما في الناس من هفوات، وأن تلجم نفسك بلجام الصبر والحِلْم، وإن سابَّك أحد أو شاتمك أو زاحمك فقل: «إني حاج»، واصْبر على ما يصيبك من زحام أو ما ينالك من شغف ومشقة، وإياك أن تحتقر ضعيفاً لضعفه أو فقيراً لفقره، واعلم أن الحج ليس محلاً للتباهي بالمظاهر الدنيوية من مراكب ومفارش ومساكن أو ترف مقيت، بل قد استحبَّ بعض أهل العلم أن يكون الحاج أشعث أغبر؛ لما جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «إن الله - تعالى - يباهي ملائكته عشية عرفة

---

(١) البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).

(٢) لطائف المعارف، ص (٤١٥).

(٣) لطائف المعارف، ص (٤١٥).

(٤) لطائف المعارف، ص (٤١٥).

(٥) البخاري (٢٨٩٠).

(٦) المراسيل، ص (٢٣٤). وانظر: تحفة الأشراف، رقم (١٨٩٠٤).

(٧) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي (١/١١٧).

(٨) أحمد (٤٨٣/٣)، وأبو داود (٤٠٨٤).

بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثاً غبراً»[1].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحاجّ الشعث التفل»[2]، وهذا لا يعني أن يسعى المسلم إلى اتّساخ بدنه أو قبح منظره، بل المقصود أن يجهد المسلم في عبادته لربه ويحتمل في سبيل ذلك ما قد يصيبه من مشاقّ وشعث - إذ الحج مظنّة ذلك - وليعلم أن آثار العبادة ونتائجها محلّ ثناء الله وشكره، وأنها تقع من الله بمكان. قال ﷺ في الصائم: «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[3]، وقال في الدم الخارج من الشهيد الذي ذهبت نفسه في سبيل الله: «اللون لون الدم والريح ريح المسك»[4].

● خامساً: اختر صاحباً صالحاً:

إذا اخترت الحج واشتاقت نفسك إليه فاختر صاحباً مصاحباً، راغباً مشتاقاً، له قلب خاشع، ومحجر دامع، حتى تنال من الحج بغيتك، وتجد في مشاعره منيتك، عندها يتضاعف فيك الجدّ، وتعظم الرغبة، وترتفع الهمة، ويحسن العمل..

عن مُخَوَّل بن راشد قال: جاءني بُهيم العجلي فقال لي: تعلم رجلاً من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاه يرافقني؟ قلت: نعم، فذهبت به إلى رجل من الحي له صلاح ودين، فجمعت بينهما، وتواطآ على المرافقة، ثم انطلق (بُهيم) إلى أهله، فلما كان بعد أتاني الرجل وقال: يا هذا! أحب أن تزوي عني صاحبك ويطلب رفيقاً غيري. فقلت: ولِمَ؟! والله لا أعلم بالكوفة له نظيراً في الخُلق والاحتمال. قال: ويحك حُدِّثتُ أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغص علينا العيش، فقلت: ويحك إنما يكون البكاء أحياناً عند التذكرة، أوَ ما تبكي أنت؟ قال: بلى؛ ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم من كثرة بكائه، قلت: اصحبه لعلك تنتفع به، فقال: أستخير الله، فلما كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيءَ بالإبل ووطئ لهما، فجلس (بُهيم) في ظل حائط يبكي فوضع يده تحت لحيته، ثم على صدره حتى والله رأيت دموعه على الأرض، فقال لي صاحبي: يا مخول! قد ابتدأ صاحبك، ليس لي برفيق. فقلت: ارفق، لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم. وسمعها (بُهيم) فقال: يا أخي! والله ما هو بذاك، وما هو إلا لأني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة، وعلا صوته بالنحيب، فقال لي صاحبي: ما هي بأول عداوتك لي، ما لي ولبُهيم؟! إنما كان ينبغي أن ترافق بين (بُهيم) وبين داود الطائي وسلام أبي الأحوص حتى يبكي بعضهم إلى بعض، فيشتفون أو يموتون، فلم أزل أرفق به وقلت: ويحك لعلها خير سفرة سافرتها، وكل ذلك لا يعلم به (بُهيم)، ولو علم ما صاحبه، فخرجا ورجعا، فلما وصلا جئت أسلِّم على جاري، قال لي: جزاك الله يا أخي عني خيراً، ما ظننت أن في الخُلق مثل أبي بكر، كان والله يتفضل عليَّ في النفقة وهو معدوم وأنا موسر، وفي الخدمة وأنا شاب وهو شيخ، ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم. فقلت: فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طول بكائه؟ قال: ألفت والله ذاك البكاء وَسرَّ قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذّى بنا الرّفقة، ثم ألفوا ذلك، فجعلوا إذا سمعونا نبكي يبكون، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذي جعلهم أوْلى بالبكاء منا والمصير واحد؟! فيبكون ونبكي. ثم خرجت من عنده فأتيت (بُهيماً) فقلت: كيف رأيت صاحبك؟ قال: كخير صاحب، كثير الذِّكر لله، طويل التلاوة، سريع الدمعة، جزاك الله عنّي خيراً[5].

وإياك وصحبة مترف قاعد، ذي عزم راكد، وهمٍّ فاسد، يقطعك إذا تقدمت، ويردك إن أقبلت، طوّاف بالأسواق، لا ينتهي حديثه، ولا يسلم منه جليسه. قال أبو منصور الكرماني: (.. وينبغي أن يجتنب الرفيقَ السوء والفاسق، فإن ذلك سبب لحرْمان الطاعات، وترك المندوبات والواجبات، ويحرّضه - أيضاً - على ارتكاب المناهي والمعاصي)[6]. وصدق - رحمه الله - فكم سمعنا من أصحاب سوءٍ من أفسدوا الحج والعمرة على صاحبهم، بل ربما أجبروه على قطع نُسُكه، وحلّ إحرامه، والرجوع إلى بلده، لمجرد أنه تأخر عن أداء النسك لعذر نوم أو نحوه، فلم يحتملوا الانتظار حتى يتم نسكه، وهذا تكرر كثيراً!

● سادساً: فلا رفث ولا فسوق:

قال - تعالى -: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[7].

عليك اجتناب المنكرات أو الآثام واحذر أن تكون ممن زين له الشيطان عصيان ربه في أعظم البقاع، واعلم أن من أهل العلم من قال: من همَّ بسيئة داخل الحرم عُوقب عليها وإن لم يفعلها[8]؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ

---

(١) احمد (٢/٢٢٤).

(٢) صحيح الجامع الصغير (٣١٦٧)، والمشكاة (٢٥٢٣). والشعث: مغبر الراس، والتّفل: من ظهر منه رائحة كريهة لترك استعمال الطيب.

(٣) البخاري (١٨٩٤).

(٤) البخاري (٢٨٠٣).

(٥) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي (١/١١٤). ولطائف المعارف، ص (٤١٣).

(٦) المسالك في المناسك (١/٢١٥)، تحقيق: الشريم.

(٧) احمد (٢/٢٢٩ - ٤١٠).

(٨) اضواء البيان (٥/٦٢).

عَـذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - موقوفاً عليه: «لو أنَّ رجلاً أراد بإلحادٍ فيه بظلم وهو بعَدَن ابين[1]، لأذاقه الله من العذاب الأليم[2]. فيكون ذلك تخصيصاً لما جاء في الحديث من العفو عن الهمِّ المجرد وحديث النفس.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم..»[3] الحديث.

والإلحاد هنا هو الميل والحيد عن دين الله، يدخل فيه الشرك والبدع، أو فعل شيء مما حرم الله، أو ترك شيء ممن أوجبه الله، أو انتهاك حرمات الحرم، حتى قال بعض أهل العلم: يدخل في ذلك احتكار الطعام بمكة[4]، فما بالك بمن يعمل ما هو أعظم منه؛ كأكل الربا والتعامل به، أو شرب الخمر، أو الزنا، أو ترويج المخدرات، أو بيع آلات اللهو والدخان وغير ذلك؟! أليس هذا من الإلحاد في الحرم؟ أليس من انتهاك حرمة المكان والزمان؟ قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر الأقوال في الآية: (وأَوْلى الأقوال بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، من أن المعنيَّ بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله، وذلك أن الله عمَّ بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ولم يخصص به ظلماً دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع مؤلم له)[5].

إن من أشدِّ الناس حِرْماناً من يطوي المراحل إلى البيت، ويفني الظهر، ويهلك النفس، ثم لا يعود إلا بالبوار، يا حسرة من وقف في الحج مع الناس ببدنه، وقلبُه في أودية الهوى يهيمُ، لم تلتقط عدسات عينيه دعاء الداعين ولا كثرة الملبِّين، بل وقعت على ما يهواه قلبه، فازداد بذلك فتنة، وتقطَّعت نفسه حسرات، وحُرِم لذَّة العبادة، ونسي الطاعة.

اطبْ نفقتك في الحج فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام فأنَّى يُستجاب لذلك؟![6]، وحكى ابن رجب: أن رجلاً مات في طريقه لمكة فحفروا له فدفنوه، ونسو الفأس في لَحْده فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفأس فإذا رأسه وعنقه قد جمعا في حلقة الفأس، فردوا عليه التراب، وسألوا أهله عنه، فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان منه يحج ويغزو![7].

إذا حـجـجـتَ بمـالٍ أصله سُحْتٌ
فـمـا حـجـجتَ ولكن حجَّتِ العيرُ
لا يقـبـل الله إلا كلَّ طيـبـة
مـا كلُ مَنْ حجَّ بيت الله مبـرورْ

إن أقبح الناس جريمة، وأعظمهم سرقة للمال، من يسرق ضيف الله والوافد إلى بيته، الآمن في حرمه!! ففي الصحيح من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ رأى النار في صلاة الكسوف... قال: «ورأيت صاحب المحجن يجرّ قصبه في النار، كان يسرق الحاجّ بمحجنه، فإن فطن له، قال: إنما تعلَّق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به»[8].

إن من دلائل التقوى الأخذ على يد العاصي، والاجتهاد في إزالة المنكرات، وتطهير بلد الله - عزَّ وجل - منها؛ تحقيقاً لقوله - تعالى -: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقياماً بتعظيم شعائر الله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. قال شجاع بن الوليد: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً[9]. إن التقصير في ذلك يجعل الشر يزداد في خير البقاع - كيف والوارد كثير - ثم قد ينتهي الأمر بالناس إلى اعتياد المحرمات، ونسيان السنن والواجبات، فتحلّ البدعة مكان السُّنَّة، والمعصية بدل الطاعة، والله المستعان.

إن أقبح شيء أن يقطع المسلم إلى بيت الله الفيافي والقفار، يريد بذلك مغفرة الغفّار، ثم لا يعود منها إلا بالخَسَار! قد اسودّت صحيفته، مما جنتْه يداه، وكسبه لَحْظه، أو نطق به فِيْه، وأين؟! في البلد الحرام!

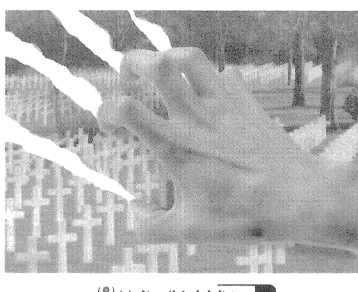
ألم ترني وموسى قد حججنا
وكان الحج من خير التجارة
فـآبَ الناس قد برّوا وحجّوا
وابْنا موقرين من الخسارة

نعوذ بالله من ضياع الأعمال، وذهاب الأعمار، ونسأله حسن القصد، وهداية السبيل، وتمام النهاية، والله أعلم، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) عَدَن: بالتحريك: اسم مدينة في اليمن، على ساحل المحيط الهندي، ويقال لها: عدن ابين؛ تمييزاً لها عن عدن لاعة. معجم البلدان (٤/٨٩).
(٢) قال الشنقيطي: وهو ثابت عن ابن مسعود، ووقْفُه عليه أصحُ من رَفْعه، الأضواء (٥/٦٢).
(٣) البخاري (٦٨٨٢).
(٤) تفسير الطبري (١٦/٥٠٩)، تحقيق: التركي.
(٥) تفسير الطبري (١٦/٥١٠).
(٦) مسلم (١٠١٥).
(٧) لطائف المعارف، ص (١٣٣ - ٤١٩).
(٨) مسلم (٩٠٤).
(٩) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٤٦)، بيت الأفكار الدولية. وحلية الأولياء (٧/١٣).



موتوا بغيظكم يا عُبّاد الصليب!



عبد العزيز بن ناصر الجليل(*)

الحمد الله الذي رضي لنا الإسلام ديناً، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقاً يقيناً، ووعد من قام بأحكامه وحفظ حدوده أجراً.

فالإسلام دينه الذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فبه اهتدى المهتدون وإليه دعا الأنبياء والمرسلون ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الأولين والآخرين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وحكم - سبحانه - بأنه أحسن الأديان، ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلاً، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، الذي بشرت به الكتب السالفة، وأخبرت به الرسل الماضية، وجرى ذكره في الأعصار وفي القرى والأمصار والأمم الخالية، وضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبي البشر، إلى عهد المسيح ابن البشر.

رضي المسلمون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، ورضي المخذولون بالصليب والوثن إلهاً، وبالتثليث والكفر ديناً، وبسبيل الضلال والغضب سبيلاً؛ أما بعد:

فإن من بعض حقوق الله على عبده: رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان(1).

وإن ما تفوّه به عابد الصليب وإمام الكفر ورئيسه في (الفاتيكان) من الشتم والنقائص في حق رسولنا الكريم وديننا الحنيف لم يكن هو الأول من نوعه، وليس غريباً أن يخرج من أفواههم النجسة مثل هذا الكلام؛ لأنه وأمثاله قد مُلئوا كفراً وحقداً؛ وكل إناء بما فيه ينضح. ومثل هذا الكفر المتجدد إنما هو زيادة في الكفر على كفرهم وإملاء من الله - عز وجل - لهم حتى يسرعوا إلى الأجل الذي قدره الله لهم ليقصمهم فيه ويمحقهم. قال الله - عز وجل -: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وليس الغرض من هذه الكتابة الرد على ما تفوّه به إمام الكفر ومرجع النصرانية الوثنية في العالم اليوم؛ فقد كفانا الرد على شبهاتهم أئمة الإسلام في القديم والحديث كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه العظيم (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وتلميذه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه النفيس (هداية الحيارى). هذا لو كان ما قاله رئيس الكفر ناشئاً عن جهل بالإسلام ورسول الإسلام، أما

(*) كاتب وباحث إسلامي، له الكثير من الكتب والدراسات التربوية القرآنية.

(1) اقتباس من مقدمة كتاب: (هداية الحيارى) للإمام ابن القيم.



وإنه يعرف حقيقة الإسلام وحقيقة نبينا محمد ﷺ كما يعرف أبناءه وما صده عن ذلك وجعله يقول ما قاله من تخرصاته إلا العناد والاستكبار؛ فإن مثل هذا لا يستحق الرد ولا الالتفات وإنما الله - عز وجل - هو الذي يتولى الرد على هذا وأمثاله بما يشاء: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨]

● المقصود من هذه المقالة:

وإنما المقصود من هذه الكتابة مخاطبة إخواني المسلمين الموحدين بتوظيف هذا الحدث في التركيز والتأكيد على بعض المسائل والأصول المهمة التي يسعى أعداء هذا الدين من الكفرة والمنافقين في توهينها والتشويش عليها لعلمهم بأنها هي التي تحفظ للمسلمين كيانهم وعقيدتهم وأخلاقهم.

ويمكن الحديث عن هذه المسائل المهمة في ظل هذه الهجمة الشرسة من أئمة الكفر على ديننا حسب الوقفات التالية:

● الوقفة الأولى: النظر إلى هذه الأحداث في ضوء السنن الإلهية:

يقول الله - تعالى -: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ويقول - سبحانه -: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣].

والآيات من كتاب الله - عز وجل - في الحث على النظر في السنن الربانية كثيرة جداً وبخاصة عند التقديم والتعقيب على قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم. إنه من الواجب على دعاة الحق والمجاهدين في سبيل الله أن يقفوا طويلاً مع كتاب الله - عز وجل - وما تضمن من الهدى والنور؛ ومن ذلك ما تضمنه من السنن الربانية المستوحاة من دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وذلك لأن في معرفتها والسير على هداها أخذاً بأسباب النصر والتمكين والفلاح، ونجاة مما وقع فيه الآخرون من تخبط وشقاء، وفي الغفلة عنها تفريط في الأخذ بأسباب النجاة، وحرمان التوفيق في النظر الصحيح للأحداث والمواقف. وليس المقصود هنا التفصيل في موضوع السنن الربانية فهذا له مقام آخر، وإنما المقصود هو الاستضاءة بهذه السنن في الوصول إلى الموقف الحق الذي نحسب أنه يرضي الله عز وجل؛ وذلك في الأحداث الساخنة التي تدور رحاها اليوم في حرب الإسلام وأهله.

وأكتفي بذكر سُنَّة واحدة من سنن الله - تعالى - تتناسب وهذا الحدث الذي نحن بصدده. وبفهم هذه السُنَّة يزول الاستغراب مما يحدث ونتمكن من الفهم الصحيح لحقيقة هذه الهجمات المتتالية من أعداء الإسلام ودوافعها وحكمة الله - عز وجل - في إيجادها؛ لأن من أسمائه - سبحانه -: العليم الحكيم.

ومن آثار هذين الاسمين الكريمين اليقين بأن أي شيء يحدث في خلقه - سبحانه - فإنما هو بعلم الله - تعالى - وإرادته وحكمته البالغة. وهذه السنَّة التي أعنيها هنا والتي هي مقتضى حكمته - سبحانه - وعلمه هي سنة المدافعة والصراع بين الحق والباطل:

يقول الله - عزَّ وجل -: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ويقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٤٠].

في هاتين الآيتين أبلغ دليل على أن الصراع حتمي بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى؛ هذه سنة إلهية لا تتخلف؛ ووقائع التاريخ القديم والحديث تشهد على ذلك. وهذه المدافعة وهذا الصراع بين الحق والباطل إنْ هو إلا مقتضى علمه - سبحانه - وحكمته ورحمته ولطفه، وهو لصالح البشرية وإنقاذها من فساد المبطلين، ولذلك ختم الله - عز وجل - آية المدافعة في سورة البقرة، بقوله - سبحانه -: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، حيث لم يجعل الباطل وأهله ينفردون بالناس، بل قيض الله له الحق وأهله يدمغونه حتى يزهق؛ فالله - تعالى - يقول: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إن الذين يطمعون في الإصلاح ودرء الفساد عن الأمة بدون هذه السنَّة - أعني سُنَّة المدافعة مع الباطل وأهل الفساد - إنهم يتنكَّبون منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله - عزَّ وجل - الذي ارتضاه واختاره لهم، وإن الذين يُؤْثِرون السلامة والخوف من عناء المدافعة مع الفساد وأهله، إنهم بهذا التصرف لا يسلمون من العناء والمشقة، بل إنهم يقعون في مشقة أعظم وعناء أكبر يقاسونه في دينهم، وأنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهذه هي ضريبة القعود عن مدافعة الباطل، وإيثار الحياة الدنيا.

والمدافعة بين الحق والباطل تأخذ صوراً متعددة:

فبيان الحق وإزالة الشُّبَه ورفع اللَّبْس عن الحق وأهله مدافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدافعة، وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين مدافعة، والصبر والثبات على ابتلاء الأعداء من الكفرة والظلمة مدافعة، ويأتي الجهاد والقتال في سبيل الله - عز وجل - على رأس وذروة هذه المدافعات لكف شر الكفار وفسادهم عن ديار المسلمين ودينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

واليوم لم يعد خافياً على كل مسلم ما تتعرض له بلدان

المسلمين قاطبة من غزو سافر وحرب شرسة على مختلف الأصعدة؛ وذلك من قِبَل أعدائها الكفرة، وأذنابهم المنافقين.

فعلى الصعيد العسكري ترزح بعض بلدان المسلمين تحت الاحتلال العسكري لجيوش الكفرة المعتدين التي غزت أهل هذه البلدان في عقر دارهم كما هي الحال في أفغانستان والشيشان والعراق وفلسطين وكشمير. وعلى صعيد الحرب على الدين والأخلاق والإعلام والتعليم والاقتصاد لم يسلم بلد من بلدان المسلمين من ذلك.

وقد تقرر عند أهل العلم أن الجهاد يتعين على المسلمين إذا غزاهم الكفار في عقر دارهم، ويصبح واجباً على كل مسلم قادر أن يشارك في دفع الصائل عن بلده بكل ممكن؛ فإن كان الغزو عسكرياً وبالسلاح وجب رده بالقوة الممكنة والسلاح، وإذا كان الغزو بسلاح الكلمة والكتاب والمجلة والوسائل الإعلامية الخبيثة بأنواعها المقروءة والمسموعة والمشاهدة منها أقول: إذا كان الغزو من الكفار للمسلمين في عقر دارهم بهذه الوسائل والمعاول الخطيرة والتي يباشر الكفار بعضها وينيبون إخوانهم من المنافقين في بعضها فإن الجهاد بالبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدافعة والتحصين يصبح واجباً عينياً على كل قادر من المسلمين كلٌّ بحسبه.

وحينما نربط هذه السُّنَّة ومقتضى اسمائه الحسنى بهذه الأحداث التي تزامنت وتتالت وتشابهت قلوب أصحابها في الهجوم على دين الإسلام وأهله وبلدانه تتضح لنا هذه السُّنَّة بجلاء؛ وحينئذ يرتفع الاستغراب مما يقوم به الكفار من هجوم وافتراء على دين الإسلام، ويشمِّر المسلم للدخول في الصراع ضد أعداء الله - تعالى - بما يستطيع من نفسه وماله ولسانه وقلمه. قال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم» (رواه النسائي (٣٠٤٥) وصححه الألباني).

● الوقفة الثانية: ذكر بعض الحكم والألطاف الإلهية المتجلية في هذه الأحداث

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «أسماؤه الحسنى تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضي المُوجب لمُوجبه ومُقتضاه، فلا بد من ظهور آثارها في الوجود؛ فإن من أسمائه: الخلاَّق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل، إلى سائر الأسماء، ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فخلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره؛ فمصدر الخَلْق والأمر عن هذين الاسمين المتضمنين لهاتين الصفتين، ولهذا يقرن - سبحانه - بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر).

(الصواعق المرسلة: ٤/١٥٦٤)

اذا تبين لنا هذا الأصل العظيم أيقنا أن ما يجري اليوم من كيد وافتراء وهجوم شرس من الكفار على دين الإسلام فإنما هو بعلم الله - تعالى - وإرادته: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وأن له - سبحانه - الحِكَم البالغة في ذلك.

والمؤمنون يحسنون الظن بربهم - سبحانه - ويوقنون أن عاقبة هذه الأحداث التي يقدرها الله - عز وجل - هي خير ومصلحة ولطف بالموحدين إن شاء الله - تعالى -.

ومع أن المعركة مع الكفار لا زالت في بدايتها، ومع أنها موجعة وكريهة إلا أننا نلمس لطف الله - عز وجل - ورحمته في أعطافها.

وأقتصر على ثلاث من أهم هذه الألطاف والثمار العظيمة:

● اللطيفة الأولى:

تلك اليقظة الشاملة بين المسلمين والوعي بحقيقة أعدائهم وما يكيدون به للإسلام وأهله. ومع أن هذا العداء والكيد من الكفار قد حذرنا الله - عز وجل - منه في كتابه الكريم إلا أن كثيراً من المسلمين وبحكم غفلتهم عن كتاب ربهم - سبحانه - تلاوة أو تدبراً لم يتعظوا بكلام ربهم - سبحانه - فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به وغفلوا عن عدوهم. ولذا فمن رحمته - سبحانه - أن يقدر أحداثاً مؤلمة للمسلمين لكنها تحمل في طياتها خيراً، ومن ذلك - كما أسلفت - يقظة المسلمين ورجوعهم إلى دينهم وتقوية عقيدة الولاء والبراء، وشحذ هممهم وعزائمهم لنصرة الدين والبراءة من أعدائهم وجهادهم باللسان والسنان. وهذا مكسب عظيم إذا قارناه بأحوال الأمة قبل ذلك وما كانت تعيشه من الغفلة والانخداع بما يزعمه الكفرة والمنافقون أنهم دعاة سلام وأمن وحرية.

والمتدبرون لكتاب الله - تعالى - وتاريخ الصراع بين الحق والباطل لم يكونوا بحاجة إلى إقناعهم بعداوة الكفار وكيدهم من خلال هذه الهجمات الأخيرة، بل إن هذه الهجمات زادتهم إيماناً ويقيناً لما حذرهم الله - عزَّ وجل - منه في كتابه الكريم. ومن هذه التحذيرات قوله - تعالى -: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله - عز وجل -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله - سبحانه -: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

إذن فلا غرابة إذا هاجموا دين الإسلام ورسول الإسلام ﷺ؛ فهذا شأنهم وشنشنتهم في قديم الزمان وحديثه، وأعظم من ذلك وأشنع سبهم لله - عز وجل - وطعنهم في ربوبيته وألوهيته بنسبة الولد إليه وجعله شريكاً مع الله - عز وجل - في ربوبيته وألوهيته؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولكن الملفت في هذه الهجمات المتأخرة تزامنها وتتابعها وتوزيع الأدوار بين رموز الكفر عندهم بمختلف توجهاتهم، السياسية، والدينية، والثقافية، والعسكرية.

والتصريح الذي صدر من رئيس الفاتيكان يأتي في سياق حملة عالمية وراءها اليهود والنصارى وأذنابهم من المنافقين على الإسلام والمسلمين بدأت في دوائر الثقافة والفكر والإعلام فيما سمي بصراع الحضارات، وما سمي بنهاية التاريخ، وعبر عنه المحافظون الجدد في أمريكا والأحزاب والأنظمة والشخصيات المتناغمة معهم في أوروبا وأستراليا، وأيضاً عبر عنه الإنجيليون وعبرت عنه التجمعات الماسونية المختلفة في العالم، ثم تحولت هذه الحملة المحمومة المسمومة الحاقدة إلى فعل سياسي واحتلال عسكري يمارس من خلال الجيوش الغربية، حين أعلن الطاغوت الأول «بوش» أنها حرب صليبية، واحتلت العراق وأفغانستان، وتهدد وتحاصر البلدان الإسلامية الأخرى وتمارس عليها الضغوط، ومن ذلك كلام بوش الأخير ووصفه للمسلمين بالفاشيين، وقبله كلام رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارة والإسلام، وبعده الرسوم المسيئة في الصحف الدانماركية؛ ثم ها نحن نرى الآن رئيس الفاتيكان يبارك هذه الجهود، ويعلن من كرسي البابوية انسياقه في هذه الحملة، وهذا يذكِّرنا بدور البابوات في الحروب الصليبية السيئة الذكر، التي حفل بها تاريخ الغربيين.

إذن فإن يقظة المسلمين ووقوفهم على حقيقة أعدائهم وما يخططون من حروب صليبية بدأت طلائعها في بعض بلدان المسلمين. إن هذا من فوائد هذه الأحداث المرة والتي يجب على دعاة هذه الأمة وعلمائها توظيفها في شحن الهمم وتقوية عقيدة الولاء والبراء ودعوة كل قادر في هذه الأمة إلى مواجهة هذا الغزو الخطير على بلدان المسلمين عقدياً وعسكرياً، واستنفار المسلمين في جهاد الأعداء الغزاة باللسان والبيان والسنان.

• اللطيفة الثانية:

فضح الدعوات التي يرفعها رموز المنافقين وبعض المهزومين من المسلمين التي تدعو إلى التعايش مع الآخر وترك تسميته بالكافر والقضاء على مشاعر الكراهية نحوه، بل الدعوة إلى محبته وموالاته!!

فها هو حقد الآخر وكيده وحربه؛ فماذا يقول دعاة (نحن والآخر)؟ وماذا يقوله رموز السلام الذين يريدون نزع الكراهية والبراءة من الكفار من صدور المسلمين؟ يقول كلينتون - الرئيس الأمريكي الأسبق - في تصريحات لشبكة (سي. إن. إن) الإخبارية: إن البابا ساهم من خلال هذه التصريحات في إضعاف تأثير رجال الدين الإسلامي المعتدلين الذين يحاولون «استعادة» راية دينهم من الإسلاميين المتعصبين، وقال أيضاً في برنامج (لاري كينج لايف) الحواري الشهير على الشبكة الأمريكية: «إن كل شخص منا يدلي بهذه التصريحات وخاصة إذا كان في منصب مرموق مثل البابا، يزيد من صعوبة مهمة المعتدلين في العالم الإسلامي».

إنهم يفتضحون وتتهاوى دعواتهم وبرامجهم، هذا عن المنافقين منهم. أما من انخدع بهذه الدعوات من جهلة المسلمين ومهزوميهم فأحسب أن الغفلة والتلبيس قد زالت عنهم وحل مكانهما الشعور بكراهية الكافر والبراءة منه ومن كفره، والاستعداد لجهاده ورد كيده وكفره. وهذه ثمرة عظيمة أفرزها هذا الهجوم السافر الظالم من رموز الكفار المحاربين لله ولرسوله: ﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. [النساء: ١٩]

• اللطيفة الثالثة:

السقوط الذريع لما يسمى بالدعوة إلى وحدة الأديان وتقاربها. ومع أن هذه الدعوة الخطيرة متهافتة وباطلة من أصلها بما تعرفه من استحالة اجتماع التوحيد مع الشرك حيث علَّمنا الله - عز وجل - أن لا وحدة ولا تقارب ولا تفاهم بين الإيمان والكفر وذلك في كتابه - سبحانه - حيث قال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾ [يونس: ٣٢] ويبين لنا - سبحانه - موقف الكفار مع أنبيائهم الذين يدعونهم إلى التوحيد بقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقال - سبحانه - عن نبيه هود عليه - السلام - وهو يتحدى قومه الكفار: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٥].

ومع وضوح هذه الأدلة الدامغة إلا انه وجد من المسلمين من انخدع بمثل هذه الدعوات، فراح يضيع عمره في اللهث وراءها. ولكن من رحمة الله - تعالى - ولطفه أن يقدر مثل هذه الأحداث

التي تبين خبث القوم وكيدهم وغطرستهم مما كان له الأثر الكبير في استيقاظ المخدوعين من المسلمين على استحالة هذا التقارب وبطلانه من أصله.

ومن باب الفائدة في هذا المقام أحيل القارئ الكريم إلى فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية في حكم الدعوة إلي وحدة الأديان وتقاربها وتحمل هذه الفتوى رقم (١٩٠٤٢):

● الوقفة الثالثة: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ وفيها بيان أسباب تلك الحملة:

يعجب بعض المتابعين من الحملة المتزايدة على الإسلام من بعض الزعماء الدينيين والسياسيين النصارى في السنوات الأخيرة، ويتساءل بعضهم عن سر التوقيت والتزامن؛ فمن كلام بوش عن المسلمين الفاشيين، إلى كلام بابا الفاتيكان بندكت السادس عن النبي ﷺ، وقبلها كلام رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارة الإسلامية، وبعده الرسوم المسيئة، وغير ذلك من حملات التشويه. ويتساءل البعض عن الأسباب الكامنة في هذه الحملات ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ ولا شك أن هناك أسباباً لهذه الحملات في هذا الوقت بالذات من أهمها ما يلي:

السبب الأول: الانتشار الواسع لدين الإسلام في معاقل النصرانية:

والذي أقض مضاجعهم وملأ قلوبهم غيظاً وحقداً وحسداً على أهل الاسلام والتوحيد، ويمثل هذا الانتشار الواسع لدين الإسلام وكثرة المعتنقين له في المظاهر التالية:

أ - زيادة أعداد المساجد في دول الغرب والشرق:

ففي قلب أوروبا بدأت أعداد المساجد فيها تنافس أعداد الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوت الأذان الذي يُرفع كل يوم في تلك البلاد خمس مرات، خير شاهد على أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً جدداً. فقد أصبح للأذان من يلبيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتى نيويورك. وعند نيويورك ومساجدها نتوقف؛ ففي أوقات الأذان الخمسة ينطلق الأذان في نيويورك وحدها في مائة مسجد، ويبلغ عدد المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب (٢٠٠٠) مسجد والحمد الله، وترتفع في بريطانيا مآذن نحو (١٠٠٠) مسجد، وتعلو سماء فرنسا وحدها مآذن (١٥٥٤) مسجداً ولا تتسع للمصلين، وأما ألمانيا فتقدر المساجد وأماكن الصلاة فيها بـ (٢٢٠٠) مسجد ومصلى، وأما بلجيكا فيوجد فيها نحو (٣٠٠) مسجد ومصلى، ووصل عدد المساجد والمصليات في هولندا إلى ما يزيد عن (٤٠٠) مسجد، كما ترتفع في إيطاليا وحدها مآذن (١٣٠) مسجداً، ابرزها مسجد روما الكبير، وأما النمسا فيبلغ عدد المساجد فيها حوالي (٧٦) مسجداً. هذه فقط بعض الدول في أوروبا الغربية، عدا عن أوروبا الشرقية، والإقبال يزداد يوماً بعد يوم، ومن هذه المساجد يتحرك الإسلام وينطلق.

ب - تحذير الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

فقد بدأت الصحف الغربية تطلق صيحات تحذير من انتشار واسع لدين الإسلام بين النصارى، ومن ذلك ما جاء في مقال نشر في مجلة (التايم) الأمريكية «وستشرق شمس الإسلام من جديد، ولكنها هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا، فهي لا تشرق من المشرق كالعادة، وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب».

مجلة (لودينا) الفرنسية قالت بعد دراسة قام بها متخصصون: «إن مستقبل نظام العالم سيكون دينياً، وسيعود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي؛ لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة».

ج - انتشار بيع نسخ القرآن الكريم والكتب الإسلامية:

وذلك بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، التي كان لها آثار سيئة واسعة على النشاطات الإسلامية في الغرب وعلى دول الإسلام، إلا أنه مع ذلك ازداد في العالم الغربي الإقبال على التعرف على الإسلام بصورة غير متوقعة، وأصبحت نسخ القرآن الكريم المترجمة من أكثر الكتب مبيعاً في الأسواق الأمريكية والأوروبية حتى نفدت من المكتبات، لكثرة الإقبال على اقتنائها، وتسبب ذلك في دخول الكثير منهم في الإسلام، وفي ألمانيا وحدها بيعت خلال سنة واحد (٤٠) الف نسخة من كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية. كما أعادت دار نشر (لاروس) الفرنسية الشهيرة طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم بعد نفادها من الأسواق.

د - تزايد أعداد الداخلين في الإسلام:

ففي عام ٢٠٠١م نشرت صحيفة (نيويورك تايمز) مقالاً ذكرت فيه أن بعض الخبراء الأمريكيين يقدرون الذين يعتنقون الإسلام سنوياً بـ (٢٥) ألف شخص، وأن عدد الذين يدخلون دين الله يومياً تضاعف أربع مرات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حسب تقديرات أوساط دينية. والمدهش أن احد التقارير الأمريكية الذي نُشر قبل أربع سنوات ذكر أن عدد الداخلين في الإسلام بعد تلك الواقعة قد بلغ أكثر من ثلاثين الف مسلم ومسلمة، وهذا ما أكده رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكي؛ إذ قال: «إن أكثر من (٢٤) الف أمريكي قد اعتنقوا الإسلام؛ وهو أعلى مستوى تحقق في الولايات المتحدة منذ أن دخلها الإسلام».

أما في فرنسا فقد أوردت صحيفة (لاكسبرس) الفرنسية تقريراً عن انتشار الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: «على الرغم من كافة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية مؤخراً ضد الحجاب الإسلامي وضد كل رمز ديني في البلاد، أشارت

الأرقام الرسمية الفرنسية إلى أن أعداد الفرنسيين الذين يدخلون في دين الله بلغت عشرات الآلاف مؤخراً، وهو ما يعادل إسلام عشرة أشخاص يومياً من ذوي الأصول الفرنسية، هذا خلاف عدد المسلمين الفعلي من المهاجرين ومن المسلمين القدامى في البلاد».

وقد أشار التقرير إلى أن أعداد المسلمين في ازدياد من كافة الطبقات والمهن في المجتمع الفرنسي، وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية.

وهذا الانتشار الواسع لدين الإسلام يحصل مع التضييق الشديد على الأنشطة الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية في كثير من الدول، ومع وجود الجهود الهائلة والإمكانات الضخمة التي يبذلها النصارى في نشر الديانة النصرانية والصد عن الإسلام على كافة الأصعدة حتى بلغت ميزانيات بعض الكنائس العالمية أكثر من مليار دولار للسنة الواحدة. ا. هـ. (باختصار عن مقال في موقع أنا المسلم).

وصدق الله العظيم فـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

كل هذا مما أغاظ الكفار ونفسوا عن هذا الغيظ والحقد بهذه الهجمات المخذولة. وهنا نقول ما قال الله - عز وجل - لسلفهم ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
[آل عمران: ١١٩]

السبب الثاني لهذه الحملات: ما حققه الله - عز وجل - على أيدي المجاهدين في هذه الأمة - جزاهم الله خيراً - من نكاية وإثخان في الغزاة:

حيث نسمع ونرى من انتصارات المجاهدين في أفغانستان والعراق وفلسطين ما يثلج الصدور ويغم الكفار؛ حيث أصبح الكفرة الغزاة في متناول المجاهدين الأسود تنالهم أيديهم ورماحهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب ورد الله كيدهم في نحورهم، وصاروا يفكرون في الخروج من مأزقهم بعد أن ظنوا أن ديار المسلمين لقمة سائغة لهم. ولما رأى رموز الكفر في الغرب السياسيون منهم؛ والدينيون تصاعد العمل الجهادي أمامهم وتصاعد الكراهية والبغض والبراءة منهم كل هذا زادهم غيظاً وحنقاً فلجؤوا إلى هذه الحملات الفجة الحاقدة على الإسلام لينفسوا عن غيظهم. نسأل الله - عز وجل - أن يزيدهم حسرة وأن يموتوا بغيظهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

السبب الثالث: التغطية على جرائمهم البشعة:

بنشر التشويه لسمعة المسلمين في العالم وتبرير حملاتهم البربرية على بلدان المسلمين بحجة الحرب على الإرهاب ونشر السلام؛ حيث إن هذه الحملات تأتي بمباركة رئيس الفاتيكان كما كان ذلك في الحروب الصليبية القديمة التي حفل بها تاريخ الغرب الصليبي حيث سبقها مباركة الباباوات وتشجيعهم للنصارى على حرب المسلمين، وتصويرهم لأنفسهم بأنهم رسل حضارة وتقدم، وإظهار إبادتهم للمسلمين بأنها دعوة للسلام والحرية والديموقراطية.

● الوقفة الرابعة: رمتني بدائها وانسلّت:

هذا المثل يضرب لمن يعيِّر غيره بعيب هو فيه (انظر مجمع الأمثال ٢/٢٣) وإنه لمن العجائب والمضحكات أن يتهم عابد الصليب دين الإسلام بأنه مخالف للعقل والمنطق أو أنه متعطش للدماء، وأنه ما قام إلا على العنف والحقد والإكراه.

إن عابد الصليب حينما تفوَّه بهذا الكلام من فمه النجس ليعلم في قرارة نفسه أنه كذاب وأن دين النصرانية الذي هو رئيسه اليوم غارق في أوحال الشرك والهمجية وإلغاء العقل والتفكير، كما يعلم في الوقت نفسه أن دين الإسلام بريء من كل ما قال، وأنه ما من دين أكرم العقل ووضعه في مكانه اللائق به كالإسلام.

إن رئيس الفاتيكان يعلم ذلك علم اليقين، ولكنه الاستكبار والحسد والغيظ، فقد قال الله - عز وجل - عن سلفه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال عمن آمن منهم وانقاد للتوحيد والإسلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

فسبحان من وفق من شاء من عباده إلى هدايته، وحرم من حرم منهم حكمة منه وعدلاً.

واكتفي بمثال واحد ساقه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - من دين النصارى المحرف يدل على همجية عقولهم وانتكاسها. قال - رحمه الله تعالى -: «وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن، والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان، ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل والإحسان، مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان، وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار، أسس على عبادة النيران، وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان، وبينه وبين الأوثان، أو دين أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان، وأن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن انثى، واقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث وظلمات الاحشاء تحت ملتقى الأعكان، ثم خرج صبياً رضيعاً يشب شيئاً فشيئاً ويأكل ويشرب ويبول وينام، ويتقلب مع الصبيان.

ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغي

للإنسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان إلى مكان.

ثم قبضوا عليه، وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان، وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان، ثم ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه، وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان.

ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثم شدت بالحبال يداه مع الرجلين، ثم خالطهما تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق اللُّحمان[1]، وهو يستغيث: يا قوم ارحموني! فلا يرحمه منهم إنسان.

هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي الذي يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شان»[2].

ولكن العجيب المضحك ـ كما أسلفت ـ هو أن يرمي هذا المخذول خصمه بما هو غارق فيه وفي أوحاله ولكنها الغطرسة والاستخفاف بعقول الناس؛ إذ كيف يرمي غيرَه بحجر مَنْ بيته من زجاج؟!

أما الأشد عجباً وسخفاً فهو رميه لدين الإسلام بأنه متعطش للدماء والعنف، وأنه انتشر على جماجم الناس وأشلائهم!! ألا يستحي هذا الظالم المخذول من نفسه؟ إنه والله يعلم أنه كاذب، وأن الناس يعلمون أنه كاذب؛ ولكنه الاستخفاف بعقول الناس والكبر والغطرسة. وإلا فماذا يقول عُبَّاد الصليب عن حروبهم الدينية المخزية عبر مئات السنين التي شنوها قديماً في حروبهم الصليبية؟! ومَنِ الذين وراءها؟ وماذا يقولون عن محاكم التفتيش؟ وماذا يقولون عن الحربين العالميتين التين قتل فيهما الملايين من بني جلدتهم ومن غيرهم؟ ومن الذين غزوا بلاد المسلمين واحتلوها في القرن الماضي؟ ومن الذين قتلوا عشرات الآلاف بالقنبلة الذرية التي تحرق الأخضر واليابس؟

ومن الذين قتلوا وشردوا مئات الآلاف في أفغانستان والعراق؟

ومن الذين قتلوا المسلمين ودفنوهم في مقابر جماعية في حرب البوسنة والهرسك؟!!

ومن الذين ساهموا في المذابح المروعة في أفريقية بمباركة قسيسي ورهبان الهوتو التي حدثت لقبائل التوتسي؟ ومن... ومن؟

إن كل هذه الجرائم والدماء والأشلاء إنما تمت على يد النصارى بمباركة قساوستهم؛ فكيف لا يستحي هذا المتغطرس النجس من هذه الجرائم؟ لكنهم استخفوا بعقول الناس، وبدلاً من الاعتراف بهذه الجرائم والانكفاء على أنفسهم راحوا يزيدون جرائمهم ويشعلونها حرباً على الإسلام، ثم يسمون جميع ضحاياهم إرهابيين أو أنهم دعاة للإسلام بالعنف، ويسمون إبادتهم دعوة للسلام والحرية والديمقراطية!! إنهم هم فقط لهم حق القتل والإبادة، ويجب أن يقبل المسلمون بالموت وأن يعتبروه حرية وتقدماً وسلاماً مسيحياً.

● الوقفة الخامسة: بل انتشر الإسلام بالسيف والبيان:

إنه لمن المؤسف أن يضع بعض الدعاة والمفكرين من المسلمين أنفسهم موضع المتهم المنهزم الذي يريد أن يبرئ نفسه من تهمة ويحسِّن وضعه عند خصمه. إن هذا المنهج الأعوج هو ما يتبناه اليوم بعض من قام بالرد على عابد الصليب المخذول عندما قال: إن الإسلام أنتشر بالسيف، فبادر هؤلاء بالرد عليه بقولهم: إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما بالدعوة والبيان، وإنما كان السيف للدفاع عن النفس وعن الديار فقط. ولا يخفى ما في هذا الكلام من مخالفة لما ذكره الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم عن غاية الجهاد، وما فيه أيضاً من مخالفة لسيرة الرسول ﷺ والخلفاء وأمراء المسلمين من بعده في تسيير الجيوش لفتح الدنيا وإزالة الطواغيت الذين يصدون عن الدين الحق وحتى لا تكون فتنة أي شرك. ويكون الدين كله لله. يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (والسيف إنما جاء منفذاً للحجة مقوماً للمعاند، وحداً للَّجاج. قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

دين الإسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي.

شعر:

فما هو إلا الوحي أو حدُّ مرهف

يقيم ضباه أَخْدَعَيْ كل مائلِ

فهذا شفاء الداء من كل عاقل،

وهذا دواء الداء من كل جاهل[3]

ويقول سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة؛ لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة. والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست الحقيقة، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة؛ ومن ثَمَّ يقوم المنافحون ـ المهزومون ـ عن سمعة الإسلام، بنفي هذا الاتهام، فيلجؤون إلى تلمس المبررات

(١) اللُّحمان: جمع لحم. قال في لسان العرب: اللحم: الجمع: ألحُم، ولُحُوم، ولِحام، ولُحمان.

(٢، ٣) هداية الحيارى، المقدمة.

الدفاعية، ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته، وحقه في «تحرير الإنسان» ابتداء.

والمهزومون روحياً وعقلياً حين يكتبون عن «الجهاد في الإسلام» ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه، والتي تعبِّد الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله، ومن أجل هذا التخليط - وقبل ذلك من أجل الهزيمة - يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: «الحرب الدفاعية». والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها كذلك. إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة «الإسلام» ذاته، ودوره في هذه الارض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين، وجعلها خاتمة الرسالات.

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبودية للعباد - وذلك بإعلان ألوهية الله وحده - سبحانه - وربوبيته للعالمين.

تُرى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - قد أَمِنُوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض؟ وكيف كانوا يدافعون هذا المد، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من: انظمة الدول السياسية، وأنظمة المجتمع العنصرية؟ إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير «الإنسان» نوع الإنسان، في «الأرض» ملء الأرض، ثم تقف أمام العقبات تجاهدها باللسان والبيان! إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يُخَلّى بينها وبين الأفراد، تخاطبهم بحرية، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات. فهنا: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله، وهو طليق من الأغلال»[1].

ولقد وقفت على مقال مسدد في موقع (المختصر) أحسب ان صاحبه وُفِّق لبيان الحق في هذه المسالة ومن باب الفائدة انقله مختصراً:

«إنَّ الإسلام يحتاج اليوم إلى من يقدمه للناس كما هو بعزَّة ووضوح، نعم! بحكمة، ولكن دون تحريف أو انهزام. والذي أعتقده أنَّ الفرصة هذه الأيام سانحة لمثل هذا التقديم، فلا ينبغي تضييعها. والإسلام ليس ضعيفاً كي نضعه في قفص الاتهام، ثم نجهد في الدفاع عنه لإخراجه منه.

وهكذا أوقعونا في الفخ فقالوا: إنَّ إسلامكم انتشر بالسيف، ودينكم دين إرهاب، وإنَّ نبيكم لم يأتِ إلا بالدمار للعالم! وأنتم معشرَ المسلمين تحبون الدماء. فقام المخلصون، وهم إما جهلة، وهم منهزمون، وإما يريدون تجميل الإسلام إلى أن يفتح الله، وإما - وللإنصاف - مجتهدون، يَردون: كَلاَّ ديننا لم ينتشر بالسيف، انظروا إلى شرق آسيا لم يدخله الإسلام إلا عن طريق التجار، وكَلاَّ نحن لسنا إرهابيين، نحن ألطف مَن خلَقَ الله! ونبينا نبي الرحمة، حتى الحيوانات لم تهملها رحمته. أما عن حبنا للدماء فإشاعات مغرضة والله!

ألا دعونا مما قاله رئيس الفاتيكان وأجداده وأبناؤه، وقولوا لنا: ماذا قال الله - سبحانه - وماذا قال رسوله ﷺ؟ دعونا من فقه الأزمة هذا الذي يقودكم وخذونا إلى فقه الرشد الذي دلَّنا اللهُ عليه ورسولُه، وحمله الصحابةُ ومن بعدهم من كبار الأمة وفقهائها وعليه ساروا حتى وهم في أصعب حالاتهم أيام الصليبيين والتتار، ذلك أنَّ الهزيمة لا تقاس بـ: (كم احتُلَّ من أشبار) وإنما بـ: (كم احتُلَّ من قلوب)؟

قال الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]

وقد بينت الآية القاعدة التي يقوم عليها الإسلام، وهي الكتاب، والقوة. وقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: «قوام الدين: كتاب يهدي وسيف ينصر». لقد جاء الإسلام معلناً للحق، ومؤيداً للحق في الوقت نفسه؛ وما الطغيان الذي نراه اليوم إلا لأن الحق لا قوة له، ولذلك أمر الله المسلمين بالإعداد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أمر بذلك؛ لأنه لا يوجد مبدأ دون قوة، وسواء كان هذا المبدأ حقاً أم باطلاً، أرضياً أم سماوياً فلا بد له من قوة تحميه.

الإسلام دين السيف؛ لأنه جاء لقيادة البشرية نحو خيرها، فمن حقها أن تَبْلُغَها الدعوةُ، ولا يمكن هذا إلا بتحطيم الأنظمة التي تحول بين الناس وبين أن يسمعوا كلمة الله. والإسلام دين السيف لمنع الفتنة التي يقترفها المفسدون في الأرض، وليكون الدين كله لله «لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان، ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض». قال - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]

لقد آن للمسلمين أن يتحولوا إلى موقف الهجوم بدلاً من موقف الدفاع الذي لصقوا به دهراً طويلاً، وليقولوا للعالمين:

(١) انظر في ظلال القران ٣/١٤٤٠ - ١٤٤٤، ٣/١٤٣٣ - ١٤٣٦.

إذا كان الإرهاب لحفظ الحق، فنحن إرهابيون؛ ذلك أن الإرهاب ليس وصفاً مطلقاً؛ فقد يكون خيراً، وقد يكون شراً؛ كالقتل: منه ما هو شر، ومنه ما هو خير؛ فقتل النفس البريئة شر، وقتل القاتل خير، وهكذا...

إن من يتهمنا بالإرهاب هم آخر من يحق لهم الكلام عنه؛ فلسنا نحن الذين استعمرنا العالم في القرون الوسطى، وما أنهكنا الشعوب وسرقنا خيراتها، ولسنا نحن الذين اصطحبنا رجال الدين ليخدعوا الشعوب باسم الرب، ولسنا نحن الذين أشعلنا أقذر حربين في قرن واحد أكلتا ملايين البشر، ومحقتا خيرات الدنيا... والقائمة تطول»[1] ا. هـ.

«هذا هو قوام الأمر في نظر الإسلام. وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم، وحقيقة تاريخهم، فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع، إنما يقفون به دائماً موقف المطمئن الواثق المستعلي على تصورات الأرض جميعاً، وعلى نظم الأرض جميعاً، وعلى مذاهب الأرض جميعاً، ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله، والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي، والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به، والذي لا يجني أحد على البشرية جناية من يحرمها منه، ويحول بينها وبينه؛ فهذا هو أعدى أعداء البشرية، الذي ينبغي أن يطارده المؤمنون الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان؛ فذلك واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها، وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله.

جاهد الإسلام أولاً ليدفع عن المؤمنين الأذى، والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم، وقرر ذلك المبدأ العظيم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها. فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم، وإذا كان المؤمن مأذون في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه.

وجاهد الإسلام ثانياً لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقى نظام لتطوير الحياة؛ جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها؛ فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين، ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة؛ كما جاء من عند الله للناس كافة، وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا. ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى، وتفتن المهتدين أيضاً، فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية؛ وليقيم مكانها نظاماً عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان، وحرية الدعاة. وما يزال الجهاد مفروضاً على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين.

وجاهد الإسلام ثالثاً ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه؛ وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان؛ حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال؛ ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها»[2].

وقد يستغرب القارئ هذا الاستطراد في هذه المسألة، ولكن هذا الاستغراب يزول إذا نظرنا إلى ضخامة هذا التلبيس والتضليل الذي تتعرض له ثوابت هذا الدين وشعائره. فعندما ندرك خطورة هذا التبديل في دين الله - عز وجل - فإنه لا يستكثر الكلام في إزالة هذا اللبس وبيان الحق للناس. بل إن الأمر يستحق بسطاً وتفصيلاً أكثر من ذلك، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله. والله - سبحانه - الموفق والمعين والمسدد.

وفي ختام هذه المقالة أقول ما قاله ابن القيم - رحمه الله تعالى - من كتابه (هداية الحيارى):

«فلله الحمد الذي أنقذنا بمحمد ﷺ من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق إلى يوم الميقات، وأرانا في نوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي جهالتهم يتقلبون وفي ريبهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت، يؤمنون ويعدلون، ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون ولكن لا يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

الحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم، وإليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة).

(١) «انظر موقع المختصر المقال بعنوان (بل الإسلام دين السيف)» إبراهيم العسعس.
(٢) انظر باختصار في ظلال القرآن - (٢٩٤/٢٩٦)، (١/٢٩٤- ٢٩٦).



استقطاب المتطوعين في القطاع الخيري

بين الواقع والمأمــول

عمر بن نصير البركاتي
umarnm@islamway.net

استـقطاب المتطوعين له قـيـمـة كبرى، تنبع من أهميته وأثره البالغ في تنمية الطاقات البشرية، والحد من نقصها في القطاعات الخـيـرية والدعـوية، وتأهيل المجــتــمع.

● أولاً: المداخل والمقدمات :

١ - ما هو الاستقطاب؟

يعرِّف خبراء الإدارة الاستقطاب بأنه : تشجيع الأفراد الذين يملكون المهارات المطلوبة للتقدم للعمل في المنشأة[١].

٢ - من هو المتطوع؟

المتطوع: هو شـخـص يقـدم خـدمـة بإرادته الحـرة، دون الحصول على تعويض مالي[٢].

إن اسـتـقطاب المتطوعين يعني كـيـفـيـة انتـقـاء المتطوعين واسـتـثـمار خبراتهم ووقـتـهم وحمـاسـهم، وتسـخـيرها للعمل التطوعي[٣].

٣ - مصادر التطوع:

كافة أفراد المجتمع يمكن الاستعانة بهم في مجالات العمل التطوعي، وهذه إشـارة إلى بعض المصـادر التي يغـفل عنهـا بعض قادة القطاع الخيري :

---

(١) معجم المصطلحات الإدارية . البرعي والتويجري (٢٨٦).

(٢) قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية . د . احمد السكر (٥٦٠).

(٣) تفعيل العمل التطوعي . د . صالح التويجري المؤتمر السابع لإدارة المؤسسات الاهلية والتطوعية بالشارقة .

أ - الطلاب على مختلف مستوياتهم خصوصاً أهل التخصص في الخدمة الاجتماعية؛ لأنهم أكثر إدراكاً لحاجة المجتمع للتطوع.

ب - المتقاعدون.

ج - النساء.

د - الأطفال.

هـ - المستفيدون من الجمعيات الخيرية.

ثانياً: تقنيات الاستقطاب[1]:

١ - **تحديد الحاجة إلى المتطوعين:** فليس المراد هو كثرة أعداد المتطوعين، بل المطلوب المتطوع المناسب في العمل المناسب، وإن أية محاولة لتوظيف المتطوع دون أن يكون هناك إعداد لوظيفة مناسبة له، كالذي يبيع سلعة لا وجود لها.

٢ - **الاختيار الصحيح للمتطوع:** وهذا يسهم في توفير القدرة على استغلال سليم لطاقات المتطوع، وتخفيض كلفة الإعداد، وعدم تحميل المتطوع فوق طاقته، وتفهم المتطوع لأهداف وتطلعات الجمعية أو المؤسسة.

٣ - **التدريب والتأهيل:** إذ إن التدريب سوف يبلور موقف المتطوع، ويساعده على إنجاز العمل المطلوب بكفاءة أعلى، كما أنه يلعب دوراً بارزاً في شد المتطوع للجمعية، واستمراره متطوعاً لأطول فترة ممكنة، واستغلال طاقاته بشكل أفضل على الصُعُد كافة.

٤ - **الإطار التنظيمي:** وتكمن أهمية ذلك في أن المتطوع مُعرَّض للشطط من ناحية، وللتوقف عند مواجهة أية صعوبات من ناحية أخرى؛ فتأطير العمل يساعد على تحقيق مسألتي الاستمرارية والمتابعة.

٥ - **توفير الإمكانات:** حتى يعمل المتطوع وينجز العمل المكلف به لا بد من توفير التجهيزات المساعدة، سواء كانت معدات، أو آلات، أو وسائل، أو مكاتب؛ لأن ذلك يوفر للمتطوع الجو المناسب للعمل.

٦ - **التقييم:** من المفيد تقييم جهود المتطوعين تقييماً علمياً، كما أنه لا بد من اشتراك المتطوعين في هذه العملية؛ من أجل التعرف على النتائج المحققة، وسد الثغرات في رسم الخطط المستقبلية.

٧ - **التحفيز والتنشيط:** ومن ذلك الاعتراف الدائم بإنجازات المتطوع وعطاءاته، والمشاورة وتقبل الاقتراحات، والشكر والتقدير، وإزالة العقبات، إلى غير ذلك من الوسائل.

● ثالثاً: عوامل نجاح عملية الاستقطاب:

من أهم عوامل النجاح لعملية الاستقطاب:

١ - إعداد قسم مختص يشرف على شؤون المتطوعين.

٢ - لوائح ونظم إدارية تحكم عمل المتطوعين، وتوضح مسؤولياتهم وواجباتهم وحقوقهم.

٣ - أعمال حيوية ذات طبيعة جذابة، وإنتاجية ملموسة[2].

٤ - الاستفادة من تجارب الجمعيات الخيرية التطوعية في البلدان المختلفة، والاستنارة بخططها[3].

٥ - تطبيق تقنيات الاستقطاب.

٦ - دراسة أسباب التسرب التطوعي للمتطوعين داخل الجمعيات والمؤسسات الخيرية لمعالجة الأخطاء وتجنبها مستقبلاً.

● رابعاً: الفوائد والآثار الإيجابية لعملية الاستقطاب:

تتعدد الفوائد والآثار الإيجابية لعملية الاستقطاب، ولعل من أبرزها:

١ - تغطية النقص أو القصور الذي يمكن أن تعاني منه الجمعيات أو المؤسسات الخيرية سواء من الناحية المالية أو القوة البشرية، ومن ثم تحقيق أهداف الجمعيات دون تحمل أعباء مالية إضافية إذا ما قام بالعمل موظفون رسميون، ويمكن الاستفادة من هذه الأموال في مشاريع أخرى مع التنبيه على الحقائق التالية:

أ - إن المؤسسات والجمعيات الخيرية لا تستطيع الاستغناء عن العمل التطوعي، كما أنها بحكم واقعها المؤسسي تحتاج إلى العمل المأجور الذي يضمن لها حداً أدنى من الاستقرار والإنجاز؛ لذلك لا بد من وضع هيكلها التنظيمي بحيث يجمع بين هذين النوعين من الأعمال، فتخصص للعمل المأجور المفاصل الأساسية التي تشكل البنية التحتية المستمرة للمؤسسة، وتستفيد من العمل التطوعي في أذرعها التنفيذية.

ب - للقوى العاملة في المؤسسات والجمعيات الخيرية مجهود ضخم، وليس من الإنصاف أن تهضم حقوق هذه الفئة؛ بحجة دعم العمل التطوعي، بل لا بد من توفير الرواتب والعطاءات المجزية، والسعي لتطبيق سقف من الضمانات المحفزة لبقاء اليد العاملة[4].

ج - عند تعيين عدد كبير من الموظفين لتنفيذ العمل فإن هذا يعني إهدار الكثير من المال، وللأسف تتبنى بعض الجمعيات والمؤسسات الخيرية هذا الاتجاه، كما هو الحال في بعض الشركات التجارية، إضافة إلى ما يصاحب ذلك من إشكالات أخرى.

أما عن حجم الإنفاق على القوى العاملة فالتقارير السنوية لا تتعرض لذكره[5]، إضافة إلى أن بعض الإدارات الخيرية تمانع في البوح بها، وتعتبرها من الأسرار الخاصة، كما أن بعض المؤسسات تشكو من عدم الاستقرار الوظيفي لديها.

(١) مشاركة توفيق عسيران في ورشة عمل: حول مهارات التحفيز على العمل التطوعي، تنظيم جمعية المبرات الخيرية بلبنان بتصرف وإضافات.

(٢) المرشد في إدارة العمل الخيري، صالح السيد (٩٤).

(٣) الجهود التطوعية وسبل تنظيمها وتفعيلها، صالح الصغير الملتقى الأول للجمعيات الخيرية بالمملكة (١٠١).

(٤) يراجع للأهمية مقال: قراءة نقدية في إدارة المؤسسات الإسلامية، مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٤٤٢). وموضوع حقوق الموظفين في العمل الخيري من كتاب تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية لسليمان العلي.

(٥) انظر على سبيل المثال «التقرير السنوي لعام ١٤٢٣هـ» لمؤسسة الحرمين الخيرية ومؤسسة الوقف الإسلامي.

٢ - يساهم استقطاب المتطوعين في علاج مشكلة البطالة؛ فهو يعوِّد الإنسان على العمل والإيجابية، وقد تفسح له فرصة للعمل، ومن ثم الحماية من الوقوع في السلوك المنحرف.

٣ - اكتشاف القيادات وتدريبها وزيادة مهارتها.

٤ - زيادة إنتاجية الأعمال الخيرية؛ فمما لا شك فيه أن إسهامات المتطوعين تزيد من الإنتاج؛ وذلك لامتياز العمل التطوعي بالحماس في الأداء - وهذا ما يُفقد في العمل الروتيني - وإمكانية سد الثغرات الموجودة في الجمعيات في بعض التخصصات النادرة.

وبالنظر إلى لغة الأرقام يكفي أن نعلم أن معدل ساعات التطوع في أمريكا عام ١٩٩٤م كان موازياً لعمل (٩) ملايين موظف، وبلغت قيمة ما تُطُوِّع به من وقت (١٧٦) بليون دولار[١]، ويقول «بيتر أف دراكر»: وقليل من الناس يعرفون أن قطاع الهيئات التي لا تبغي الربح هو إلى مدى بعيد يعتبر أكبر صاحب عمل في أمريكا، ويعمل فيها واحد من بين كل اثنين من البالغين - إجمالي عددهم يزيد عن (٨٠) مليون شخص متطوع لمدة خمس ساعات في المتوسط لكل أسبوع في مؤسسة واحدة أو عدة مؤسسات مما لا تبغي الربح، ويعادل ذلك عشرة ملايين وظيفة لكل الوقت، ولو أن هؤلاء المتطوعين حصلوا على مقابل عملهم لبلغ أجرهم محسوباً على الحد الأدنى حوالي (١٥٠) مليار دولار أو (٥٪) من إجمالي الناتج المحلي؛ والعمل التطوعي آخذ في التغير السريع[٢].

فكيف لو توفرت مثل هذه الأرقام لجمعياتنا الخيرية؟!

ومما يؤكد هذا الأثر تنوع اختصاصات المتطوعين؛ حيث يغطون معظم التخصصات التي تحتاجها الأعمال الخيرية ومساهمتهم في جمع التبرعات، ورسم سياسات الجمعيات التي يتطوعون فيها، وكل تلك الأعمال تسجل زيادة في الرصيد الإنتاجي للجمعيات.

ومما تحسن الإشارة إليه أن هذه الزيادة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحسن إدارة الجمعية للمتطوعين والاستغلال الأمثل لطاقاتهم وقدراتهم.



٥ - توفير وقت الموظفين لنواحي العمل التي تتطلب مهارات فنية أكثر[٣].

● خامساً: محاذير وأخطاء في عملية الاستقطاب:

١ - أن يصبح الاستقطاب تعصباً للجمعية أو المؤسسة ومواجهة مع الجمعيات الأخرى، ولو كانت تعمل في المجال نفسه والأهداف ذاتها.

٢ - انتفاء الطابع المؤسسي للعمل التطوعي؛ فهذا ينضم إلى الجمعية لوجود أصدقائه فيها، وآخر يسيطر على العمل دون التزام بنظام محدد.. إلخ.

٣ - استقطاب عدد كبير من المتطوعين فوق الاحتياج؛ نتيجة لفقد التخطيط السليم.

٤ - عدم الاهتمام والعناية بالمتطوعين بعد استقطابهم؛ مما يسبب رحيل كثير منهم، وقد أفادت الدراسات أن المتطوعين يميلون قبل الاستمرار في العمل التطوعي إلى اعتماد أسلوب التجربة أولاً، ومن ثم اتخاذ قرار الاستمرار أو الانقطاع.

٥ - استخدام المتطوعين في أي عمل حتى الأعمال المستقرة والنمطية، وهذا ضار؛ فينبغي توظيف عاملين للأعمال الرتيبة والمستقرة، وتفريغ المتطوعين للأعمال التي تحتاج إلى التخطيط والتفكير والتجديد.

٦ - إثقال كاهل المتطوع بالأعمال وعدم مراعاة أحواله وقدراته.

● سادساً: أمثلة من استقطاب المتطوعين:

١ - استقطب الهلال الأحمر السعودي (١٠٠٠) متطوع من خلال الحملة التي قام بها للتعريف بالتطوع وأهميته، واعتمد فيها على إقامة الندوات، وورش العمل، ومعسكرات التطوع، وفي مدينة الطائف حالياً يبلغ عدد المتطوعين (٣٦) طبيباً وطبيبة[٤].

٢ - استطاعت «دار تنمية الأسرة» بقطر استقطاب (١٥٠) متطوعاً من جميع الجنسيات، منهم (٩٢) امرأة؛ وذلك عن طريق إقامة ملتقى للمتطوعات، وأصبح الآن يقام كل سنة.

٣ - استطاع «صندوق الزكاة» بقطر من خلال تبنيه لفكرة الدلالة على الفقراء بواسطة المتطوعين من استقطاب عدد كبير؛ كان لهم دور مؤثر في تحقيق نتائج نوعية، وغير مسبوقة[٥].

٤ - نجحت «إدارة المتطوعين بالهلال الأحمر» الإماراتي في استقطاب عدد من المتطوعين من خلال نشر استمارة دعوة للتطوع في المؤسسات الحكومية، وتعزيز الدور الإعلامي في مجال العمل التطوعي[٦].

٥ - استقطبت «لجنة التعريف بالإسلام» في الكويت (٣٦) داعياً وداعية، يتحدثون بلغات مختلفة؛ لدعوة أبناء جالياتهم؛

(١) تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية. العلي (٧٥، ٧٨).

(٢) الإدارة للمستقبل (بيتر اف دراكر) (٣١٣) نقلاً عن القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب للسلومي (٤٤٢).

(٣) الإدارة في المؤسسات الاجتماعية. سامية فهمي (١١٣).

(٤) تفعيل العمل التطوعي (٣) وجريدة الجزيرة السعودية، العدد (١٠٤٤٧) ١٢/٢/١٤٢٢هـ.

(٥) ملف التطوع. الجمعية القطرية لمكافحة السرطان (٣، ٢).

(٦) تجارب متميزة في العمل التطوعي للهلال الأحمر لدولة الإمارات. د حمدان المزروعي المؤتمر السابع لإدارة المؤسسات الأهلية والتطوعية بالشارقة (٣).

وذلك من خلال الفروع المنتشرة في البلاد[1].

٦ - أطلقت «إدارة الدفاع المدني» بدبي حملة استقطاب واسعة من خلال مشروع (المسعف المتميز التطوعي) والذي يقوم بتدريب المتطوعين على العديد من مراحل الإسعافات الأولية، ويأمل القائمون على هذا المشروع التطوعي في استقطاب (٣٠٠) متطوع في نهاية العام[2].

● سابعاً: عوائق استقطاب المتطوعين:

١ - حملات الاتهام والدعاوى الجائرة التي تواجهها الجمعيات الخيرية[3].

٢ - عدم وجود أهداف واضحة لدى الجمعية أو المؤسسة الخيرية من استقطاب الكم الكبير من المتطوعين.

٣ - عدم تعريف المتطوع بالجمعية، وأهدافها وطرق تنظيمها.

٤ - عدم قدرة الإدارة العليا في الجمعية على التعامل مع المتطوعين لغرقها في العمل الروتيني اليومي.

٥ - ظن بعض العاملين الرسميين في الجمعية بأن استقطاب المتطوعين يعد تهديداً لأعمالهم ومكانتهم الوظيفية، فلا يحصل منهم أي حماس لفكرة جذب المتطوعين.

٦ - عدم مناسبة العمل لقدرات ومؤهلات المتطوعين.

٧ - عدم وضوح الإجراءات واللوائح المتعلقة بالجمعية للمتطوعين.

٨ - إسناد عملية الاستقطاب إلى شخص حاد الطبع، ومدرسته الإدارية صارمة[4].

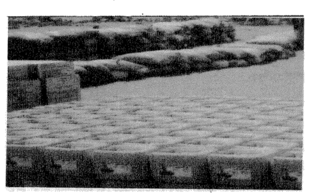
٩ - السعي وراء موارد الرزق، وهذا يفسر عدم اهتمام الفقراء بالمشاركة التطوعية.

١٠ - انتشار نسبة الأمية.

١١ - الخبرة السلبية السابقة للمتطوع، والتي يمكن أن تحول بينه وبين أي مشاركة تطوعية أخرى.

١٢ - قلة الخبرة بالعمل التطوعي وما يتضمنه.

١٣ - عدم إعلان الجمعيات عن حاجتها لمتطوعين؛ فقد يوجد الكثير ممن لديهم الاستعداد للتطوع، ولكن لا يعلمون شيئاً عن هذه الجمعيات أو ما يحتاجون إليه.



١٤ - عدم فهم المسؤولين في الجمعيات لدور المتطوعين؛ فبعضهم لا يدرك أهمية مشاركتهم، ولا ما يقدمونه من أدوار مهمة.

١٥ - المفهوم الخاطئ المتمثل في القيام (بالكل) أو (لا شيء)؛ فليس صحيحاً أن المتطوع لا بد أن يقوم ببذل الجهد التطوعي طيلة الوقت، وإلا اعتبرت جهوده التطوعية ضعيفة[5].

١٦ - ضعف التجربة في الجهد التطوعي.

١٧ - البعد وضعف المواصلات، خصوصاً في المجال النسائي.

١٨ - الفهم غير الصحيح لدى بعض المتطوعين لمفهوم التطوع؛ فهو يرى أنه باستطاعته أن يحضر ويخرج كما شاء، وأن يبدأ العمل ويوقفه كما يريد، كما أنه ليس لأحد أن يحاسبه على التقصير، وإتمام العمل وجودته.

١٩ - عدم تهيئة الأماكن المناسبة للعمل والإنتاج.

٢٠ - عدم تقدير المجتمع للمتطوع.

٢١ - عدم الجدية والاستمرار في العمل من قِبَل بعض المتطوعين.

٢٢ - تعرض العاملين في العمل التطوعي للقدح والطعن.

٢٣ - تِعارض وقت التطوع مع العمل الرسمي أو الدراسة.

٢٤ - زيادة متطلبات الحياة المادية الحديثة.

٢٥ - زيادة معدل التفكك الأسري، وتفكك العلاقات والروابط الاجتماعية؛ نتيجة للبعد بين أفراد الأسرة، وتلبية لمتطلبات العمل.

٢٦ - قلة تشجيع العمل التطوعي.

٢٧ - الكسل والاتكالية.

● ثامناً: أفكار عملية لاستقطاب المتطوعين:

١ - تقديم حوافز للمتطوعين والمتطوعات، مثلاً: منح المتطوع إجازة مدفوعة الأجر.

٢ - إيجاد مراكز ومواقع إلكترونية تقوم بتوفير فرص للعمل التطوعي حسب المناطق، خصوصاً في فترات الإجازات، مع الحض على الانضمام إليها من خلال المراكز الصيفية وبرامج الصيف.

٣ - إقامة ملتقى التطوع الخيري.

٤ - تخصيص ساعات من أوقات الطلبة في مراحل التعليم النهائية للمشاركة في العمل التطوعي.

٥ - تفعيل فكرة التطوع الصيفي لاستقطاب الطلاب في فترات الإجازات السنوية.

٦ - إيجاد فرص لأعمال تطوعية للمتقاعدين، ويجري ذلك من خلال الشركة أو المؤسسة التي كان يعمل بها المتقاعد.

٧ - نشر استمارات دعوة للتطوع في المؤسسات والشركات والمدارس.

٨ - إقامة دورات تدريبية عن التطوع في مختلف مجالاته.

٩ - إعداد برامج مرئية في مجال العمل التطوعي.

(١) موقع إسلام اون لاين (١٩/ ربيع الأول/١٤٢١ هـ).

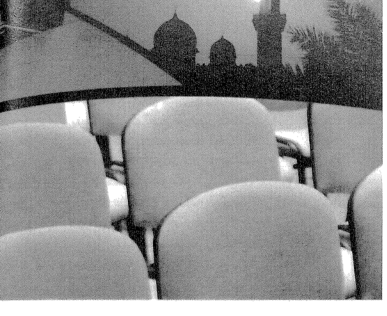
(٢) موقع: http://www.ameinfo.com/arabic/Detailed/10763.html

(٣) ويراجع للأهمية كتاب «القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب» د. محمد السلومي، و «نقوش على جدار الدعوة». جاسم الياسين (١٩ - ٣١).

(٤) وسائل استقطاب المتطوعين والانتفاع الأمثل بجهودهم. د. إبراهيم القعيد، المؤتمر العلمي الأول للخدمة التطوعية بجامعة أم القرى (٦٤٠) وما بعدها.

(٥) الجهود التطوعية وسبل تنظيمها وتفعيلها. مرجع سابق (٩٧ - ١٠٠).





الدُّعــــاة والعمل السياسي

دعــوةٌ للمراجعـــة

فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com

ولجَ بعض رجالات الأمة ودُعاتها في بعض الدول في خضمِّ المعترك السياسي، سواء أكان ذلك في الجانب التشريعي أم التنفيذي؛ بهدف مدافعة طليعة الغرب وأذنابه في بلداننا من دعاة المدِّ العلماني الجارف بكافة أطيافه والذي سُلِّط على الأمة وتسرَّب إلى مناحي حياتها المختلفة، والسعي لتخفيف ضرر جنايته، وحماية الأمة ودعوتها المباركة من بعض شروره، وإبقاء بعض الفضاءات متاحة أمام الجهود الخيرة التي يمكن أن تنتشل الأمة من مرحلة الهوان والتبعية وفترة التسلُّط القاسي التي تمرُّ بها.

وبكل تأكيد فقد صاحب هذه التجربة جوانب نجاح وإخفاق، وبغضِّ النظر عن ذلك فمن صدقت نيّته من أولئك الفُضلاء، وتخلّص من حظوظ نفسه فهو دائر بين الأجر والأجرين، والله ـ عز وجل ـ غفور رحيم جواد كريم.

وليس الهدف بالأساس هنا تقويم التجربة أو الحكم عليها فلذلك رجاله وساحاته، إلا أن المشاهَد في هذا الاتجاه في الآونة الأخيرة فشو بعض المظاهر شديدة الجنوح عن المنهج النبوي الراشد في الإصلاح والتغيير، ومن ذلك:

■ حدوث تلبيس في عدد من أصول الديانة وثوابت الشريعة لدى عامة الأمة، ووقوع خلط فيها لدى فئات عريضة من أبناء الصحوة؛ كإعطاء بعض المصطلحات غير الشرعية بُعْداً إسلامياً، مثل: الديمقراطية، مع أن منشأها الفكري والممارسة المطبقة لها تتنافى كلياً مع المصطلحات الشرعية التي يسميها بها بعض جهلة أبناء الصحوة بحسن نية؛ لإعطائها بُعْداً شرعياً كالشورى مثلاً، وهذا الخلط الضخم في المفاهيم والذي أسهم بعض الكرام في حدوثه بفاعلية يمسُّ في أحيان كثيرة صلب العقيدة وجوهر الإسلام، وإلا فأين مثلاً: (حكم الشعب للشعب) و (الحكم للقاعة) من قوله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والحديث هنا ليس عن أصل المشاركة، فتلك قضية اجتهادية، المشارك فيها والمحجم عنها كلاهما على خير إن شاء الله، وإنما الحديث عن تصريحات الخلط وخُطبه ومحاضراته، وعمليات الدفاع المستميت الذي يتصدر له بعض الجهلة من المحسوبين على الدعوة؛ بغرض إعطاء تلك المزالق التي تبنّتها جماعاتهم بُعْداً شرعياً، وإظهارها بمظهر المتوافق مع الشريعة، لا بل والمنطلق منها!

■ ذوبان صورة السلوك الإسلامي المتميز في خضمِّ تلك الممارسة، حتى وصل الأمر ـ في أحيانٍ ـ إلى ذوبان الهوية، من خلال ظاهرة ضعف الانضباط الشرعي على المستوى الشخصي من جهة، ومن جهة أخرى من خلال بعض التحالفات الفجّة مع دهاقنة اليسار وعتاة القومية، وما يصحب ذلك من تزكيةٍ شبه مطلقة للمتحالف معه ـ فرداً أو مؤسسة ـ واستحداث بعض الخِلال والمواقف التي تجمّل صورته من جهة، وتخفّف من حدّة النقد الموجه للطرف الإسلامي المتورط في ذلك التحالف من جهة ثانية، وفي المقابل نجد الإسفاف في تشويه الطرف المنافس والبحث عن نقائصه وتلمُّس العيوب له، مع أن مِنْ بعض هؤلاء المنافسين مَنْ قد يكون في ميزان الشريعة أقرب إلى دائرة الخير من الأطراف المتحالف معها



بصورة لا يقرّها عقل ولا يقبلها عُرْف، فكيف بالشريعة المطهرة التي جاءت بمثل قوله ﷺ في حديث أنس - رضي الله عنه -: «انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يارسول الله! هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟! قال: تأخذ فوق يده»[1]، وقوله ﷺ لأبي هريرة - رضي الله عنه - عن الشيطان: «صَدَقَك وهو كذوب»[2]، وقوله للصحابي الجليل أبي ذرّ - رضي الله عنه - حين عيّر - في لحظة غضبٍ - صحابياً آخر بسواد أمه، فردّ عليه المصطفى ﷺ قائلاً: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[3]!

ونتيجة لذلك وجدنا - مثلاً - بعض طلبة العلم المنتمين إلى بعض تلك الفصائل الدعوية الخائضة في هذا الجانب من يصف من يراد تقديمه للعامة من المرشحين بالزهد والربانية، مع أن ذلك الرجل لا تظهر عليه بوادر الاستقامة فضلاً عن أن يُعدَّ من أهل الدعوة! في الوقت الذي يرى المرء فيه في المقابل سخرية شديدة، وهزءاً حاداً من دعاة وطلبة علم شهيرين في الساحة لا ينتمون لتلك الفصائل ولا يرون مناسبة الخوض في خضمِّ المعترك السياسي وقتاً أو رؤية، حتى إن بعض كبار الخطباء وقيادات العمل الفاضلة التي ولجت في هذا الباب قامت بإسقاط آيات النفاق عليهم، وكأن شعار (لنعمل فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) - مع التحفظ النسبي عليه - لا يطبق إلا في داخل الأسوار المغلقة لتلك الفصائل، أو مع حلفائها من خارج الساحة الدعوية! فيا لله كم صرْنا في زماننا نبصر الكثير من الخلط والعجائب!

فكيف إذا انضافت إلى ذلك الخطل شرور أخرى؛ كتصدير بعض الجهلة ورقيقي الديانة، واستمراء الكذب، وممارسة الخداع والغش والتزوير، تماماً كما يمارسه العلمانيون ومن يدور في فلكهم من أهل الأهواء والشهوات، وإن كان بحجم أقل، تحت مبرّر المعاملة بالمثل، وأنه كذب للدين وتزوير من أجل الفضيلة، متناسين ما قد تقرَّر في محكمات الشريعة من أن الوسيلة القذرة لا تبررها الغاية النبيلة البتة.

■ تهميش عملية البناء العلمي والعمل التربوي لجيل الصحوة؛ نتيجة ضخامة متطلبات الممارسة السياسية، ولذا لم نعد نرى في أوساط كثير من طلائع جيل الصحوة القادم في كثير الأحيان سوى الأمّية الشرعية، والهشاشة الفكرية، والاستهانة بكثير من مظاهر الاستقامة الواجبة؛ فكيف بعامّة جوانبها المستحبة!! وصارت السِّمَات المطلوبة في الشخصية أن يكون الواحد منهم مقتنعاً من جهة بأن (الإسلام هو الحل)، معلناً الولاء للجماعة، رافعاً شعار السمع والطاعة، مبرراً ما يصدر عن قياداتها من تصريحات ومواقف قد لا تكون في أحيان كثيرة منضبطة بالأصول الشرعية!

وفي هذا السياق أؤكد أن المشاركة السياسية التي يُعْمَل من خلالها على جلب بعض المصالح ودَرْء بعض المفاسد قد تكون مفهومة بل ومقدَّرة، في حال أعطيت حجمها، ووضعت في سياقٍ عمليٍّ تكامليٍّ مع المقاصد الكبرى للدعوة، أما أن تتحول من وسيلة إلى غاية، في مقابل تسطيح الطرح النظري والتبنِّي العملي لأصول الدعوة، وليس هذا فحسب، بل ويمارس دوراً إقصائياً لكل طرح يدعو للتوازن والانضباط في هذا الجانب من داخل الصف أو خارجه، وتسقط عليه نصوص التخذيل وبعض خِلال المنافقين، في وقت يتحالف فيه مع قلاع العلمنة وعتاة أهل الأهواء والبدع، وتفتح فيه بوابات التحاور والتنسيق المشبوه مع بعض السفارات الغربية تحت مبرر حماية الدعوة، والظهور بمظهر الاعتدال والوسطية، مع أن المولى القدير يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فهو أمر غاية في الغرابة بل والخطل، ويزداد الأمر شناعة حين يُغرس ذلك القصور والتمييع في نفوس الأتباع، ويتحول في السياق التربوي والطرح الفكري لبعض الفصائل الكبرى للعمل الإسلامي اليوم إلى مظهر رشد وحنكة، وشعور عالٍ بالمسؤولية، وقاعدة راسخة ونهج تطبيقي ثابت!

ولو أردنا أن نحلِّل الأسباب التي أدَّت إلى تلك المظاهر الخطرة لوجدنا أن من أبرزها:

■ التقصير في فهم نصوص الوحي المتعلقة بمثل هذا النوع من المشاركة، وعدم فقه المنهج الإسلامي الأصيل في الإصلاح والتغيير، والذي يرتكز في الأساس على التعريف

(١) البخاري (٢٤٤٤).
(٢) البخاري (٣٢٧٥).
(٣) البخاري (٣٠).

بالله - تعالى - وبشرعه المطهر، وتزكية النفوس وتهذيبها بالإيمان. والنصوص الدالة بمنطوقها على ذلك أكثر من أن تحصر، ومن ذلك قوله - تعالى - : ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقوله - سبحانه - : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله ﷺ: «إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»[1]، لتأتي بعد ذلك مرحلة تكون قد نشأت فيه طائفة رسخت في الإيمان، وفقهت في الدين، وتسلّحت بالعلم، وامتلكت فيها الأمة من عناصر القوة المختلفة ما تكون به قادرة على إقامة الشرع ومقارعة الباطل ومجاهدة أهله الذين يغوون الناس ويحولون بينهم وبين سماع كلام الله - عزّ وجلّ - بانضباط، وبما يراعي مقاصد الشريعة وأحكامها التفصيلية، من أجل أن يعمَّ التوحيد، وينتشر الخير، وترفل البشرية في دوحات الفضيلة.

وما لم يُبثّ علم الوحي المطهر في الأمة، وينتشر الفقه، وتزكى النفوس، وتربى على الإيمان، فإن الانتقال إلى المراحل التالية - فيما أحسب - استعجالٌ وجرٌّ للأمة إلى مرحلة لم تتهيأ لها بعد.

■ تهميش دور العلماء الربانيين والمفكرين الجادين، وقيام بعض الإداريين - ممن قد لا تؤخذ عليهم شائبة في إخلاص أو إرادة خير فيما نحسبهم والله حسيبهم، ولكن ينقصهم الفقه في الدين والمعرفة التفصيلية بسبيل المرسلين في الإصلاح والتغيير... - بالتصدُّر لقيادة العمل الدعوي وإمساك زمام أمره، ولذا صار المتابعون للشأن الدعوي كثيراً ما يلاحظون اقتصار دور العلماء في بعض فصائل العمل الإسلامي المعنية بالشأن السياسي على مخاطبة الجماهير، والبحث في أحيان كثيرة عن شواهد من نصوص الوحيَيْن وسيرة المصطفى ﷺ وأقوال أهل العلم تبرِّر مواقف أولئك الإداريين الخاطئة أمام الجماهير، وتجعلها في الإطار المسوَّغ شرعاً!

■ عدم القبول داخل كثير من فصائل العمل الإسلامي إلا بالصوت الواحد والموقف الواحد، ومن تجرّأ على غير ذلك فاحتسب أو تقدّم بنصيحة لا ترتضيها القيادة فهو - بزعمهم - شاقٌّ للكلمة، مفرقٌ للصف، معوقٌ للنجاح، طامعٌ في الزعامة.. إلى آخر قائمة التهم التي قد لا يستطيع الظفر بها من يتقصد جمعها، ولذا نجد شيوع لغة الإعذار والتبرير للمواقف مهما اشتدت شناعتها داخل الفصيل نفسه، في مقابل التشكيك بكل جهدٍ أو موقف مخالف يصدر من آخرين!

■ ما جُبلت عليه النفوس البشرية من استعجال ورغبة بالظفر الكبير العاجل، دون امتلاكٍ للمقومات، وبذلٍ للأسباب، وترتيبٍ للأولويات، وتدرّجٍ في التطبيق والممارسة، وإعطاء جهود البناء وعمليات التصحيح والمعالجة الفترات الزمنية التي تحتاجها.

■ تفشّي جملةٍ من الأمراض والأخطاء في التصورات في أوساط بعض القيادات؛ كالفتور الإيماني الذي يجعل المرء يتجه إلى العناية بحظِّ النفس وتحصيل المصالح الشخصية، وظاهرة التعالم التي تحول بينه وبين صقل الأفكار ومراجعة الرُّؤى والدراسة المتأنّية للمواقف، وسيطرة الخوف الذي يُفْقِد المرءَ الأمل، ويجعله يجزم بحتمية الفشل، والإغراق في محبة العمل في أجواء غاية في الهدوء والسلامة، واعتقاد بعض القيادات أو الفصائل بمسؤوليتها عن إصلاح كل خلل تعاني منه الأمة في الوقت ذاته، ولذا نجدها صارت تعيش في دوّامة الشتات دون أن تستطيع التخصص في جانب أو التركيز على معالجة قضية من القضايا التي لها طابع أولي.

وأمام هذا الواقع فالدعاة إلى الله - تعالى - مطالبون بجملة من المعالجات التي قد تعين على الخلاص من جوانب النقص والقصور في هذا الباب، ولعلَّ من أبرز عناصرها:

■ ضرورة مبادرة المتصدّرين للعمل السياسي إلى التفقه في هدي النبي ﷺ في الإصلاح والتغيير، وتحكيمه على مناهج التغيير المعاصرة، ولعل من أبرز سمَات ذلك المنهج الراشد مما يتعلق بالجانب الذي نحن بصدده: عَدُّ الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم الشرعي، وتزكية النفوس وتربيتها على الإيمان، والتوجه إلى بناء قاعدة متينة من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين؛ لتتحمل الأمانة، وتقوم بنشر الدين، ومجاهدة أولياء الشياطين.. هي الوظيفة الأساس والهدف الاستراتيجي الكبير للمصلحين، وهذا لا يتعارض بحال مع إمكانية ممارسة بعض جوانب الإصلاح الجزئي والقيام بمعالجات مرحلية متى سنح ذلك وناسب، ومن ذلك دخول خضمِّ المعترك السياسي، لكن بشرط أن يعزز ذلك الخوضُ الهدفَ الأساس، وأن لا يحور عليه بالنقض، وأن يبقى الفرع فرعاً ولا يتحول إلى أصل، وأن لايطغى المرحلي على الاستراتيجي، وأن لا تودي تلك المشاركة إلى ذوبان الهوية والحيلولة دون بيان الحق والصدع به، وأن يُحافَظ على التميز الإسلامي في إطاريه النظري والتطبيقي؛ لكي لا تفقد تلك المشاركة غايتها ومن ثم مشروعيتها من جهة، وحتى لا يلتبس

(١) مسلم (١٤٧٨).

الحق على الناس فتحدث الفتنة تحت شعارات برّاقة كالحكمة ومراعاة ظرف المرحلة!

■ إعادة الدور الحيوي لعلماء الشريعة ومفكّري الأمة في توجيه الصحوة المباركة وإدارة شأنها، سواء أكانوا من جماعات العمل الإسلامي أم من خارجه، كما كان عليه حال الأمة طوال تاريخها الطويل؛ لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهذا لا ينفي بكل تأكيد ضرورة حفظ الدور المشرف لقيادات العمل الإسلامي من غير العلماء وإبقائهم في المكان اللائق بسبقهم وما بذلوه من جهد وتضحية، بما يضمن الاستفادة من فاعليتهم وخبرتهم وحتى تتم الحيلولة بينهم وبين الوقوع في أوحال الوِزْر، وقياد أجيال الصحوة إلى مواطن الهلكة بحسن نية.

والمسؤولية تقع في هذا الجانب بالأساس على العلماء والمفكرين، إذ الضعف ضعفهم، والتقصير تقصيرهم، وإن من أمانة العلم ومسؤولية حفظ الدين التي استرعاهم الله - تعالى - عليها أن لا يتركوا الأمة ينهشها الزيغ العقدي والانحرافات الفكرية، وتغرق في بحور الشهوات، وعندهم من الله - تعالى - وصف علاجها.

■ علاج الفتور الإيماني في أوساط قيادات الصحوة، وبخاصة في أوساط أولئك الأفاضل الذين تصدّروا لدخول المعترك السياسي؛ أداءً لبعض حقهم من جهة، ولكي يتمكنوا من تجنُّب حظوظ النفس، ويكون الباعث الإيماني والمصلحة الدعوية العليا هما الدافعان على الإقدام أو الإحجام حين اتخاذ المواقف المختلفة، والبدار إلى وضع البرامج التي تعمل على الحدّ من المخالفة، بدلاً من التوجه إلى تسويغها بذريعة وجود خلاف فقهي في مسألة ما، أو التهوين من بعض مظاهر الاستقامة بداعي تصنيفها في دائرة القشور لا اللُّبّ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، وإن المرء ليبلغ به العجب الغاية حين يقارن هذا الواقع بحال الصحابة الكرام والذي صوّره الحافظ ابن حجر بقوله: (وقد كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما)[1]، فإذا بنا في زمانٍ يزهد فيه بالطاعة الواجبة، وتسوغ فيه مخالفة الشريعة من قِبَل بعض من ينتمي للعلم والدعوة! فاللهمَّ ثباتاً على الحق حتى نلقاك.

■ تفعيل الاحتساب، وتوسيع دور الرقابة الشرعية على ممارسة الدعاة السياسية، والعمل على تحويل ذلك إلى ممارسة فاعلة، والقيام بفتح بوابات التشاور الصادق، والحوار الناضج، وممارسة النقد البنّاء أمام كل غيور من أبناء الأمة، وتربية جيل الصحوة على تجاوز مرحلة هزِّ الرؤوس وعدم الاعتراض أو التنبيه على جوانب القصور أو الخطأ بحجة أن القيادات أدرى مع جلاء المخالفة للنص أو المصلحة، والعمل على إيقاف السلوك الإقصائي لكل صوت ناصح لا يتناغم طرحه مع المواقف التي تتخذها بعض قيادات العمل الإسلامي، ولا يعمل على الثناء عليها ومباركة اجتهاداتها.

■ تقويم الممارسة السياسية للدعاة بصورة كلية شمولية من قِبَل علماء ودعاة أكفاء، وفي إطار مرحلة زمنية معقولة بعيداً عن الانتقائية في المواقف تأييداً أو رفضاً، مع ضرورة استحضار أن التاريخ المعاصر - كما أنه في الوقت الذي يسجل تحقق بعض المكاسب في بعض المواقع من جراء تلك المشاركة - يثبت أن التيار المتنفذ لا يسمح بوجودها أو استمرارها إلا في حال تمكُّن من ترويض أصحابها وإبقائهم في إطار السيطرة، وإلا فإن مصادرة التجربة كما حدث في الجزائر وفلسطين، أو اختلاق الأعذار وصناعة الظروف الحائلة دون نجاحها على الأقل بالصورة المرجوة الخالية من التشويه أو إبداء العُوَّار والضعف كما هو حادث في أكثر من بلد عربي أمر جاهز.

وختاماً: فلا بد من سلوك نهج النبي الكريم ﷺ في الإصلاح والتغيير؛ لأن دين رب العالمين على مرِّ تاريخ البشرية الطويل لم يقم به وينصره إلا نبي أو سائرٌ على نهج نبي، على أن مرمى هذا الحديث هو الدعوة للمراجعة فقط، وليس تقويماً للتجربة، كما أنه لا يصلح أن يُعدَّ بمثابة أرضية لإعطاء صورة متكاملة عن المشاركة السياسية للدعاة؛ لأنه بمثابة الحديث الانتقائي الذي يركز على بعض جوانب الخلل التي قد تدقّ أو تجسر، بغرض معالجتها والمبادرة إلى تلافيها.

وأرجو أن لا يفهم من خلال هذا الطرح أنه بمثابة دعوةٍ إلى الإقدام أو الإحجام عن الخوض في هذه التجربة إذ ذاك ليس من هدف المقالة، كما أنها لا ترمي بحال إلى تبرير موقف طائفة فضلى من أهل العلم والدعوة انكفأت على نفسها وفشلت في مواكبة واقعها، ولم تستطع حتى الآن على الأقل أن تواكب الأحداث الجسام التي تمرّ بها أمة الإسلام في أكثر من موقع وعلى أكثر من صعيد بالصورة المرجوة.

اللهم وفّق دعاة الإسلام المصلحين في كل مكان، واحفظهم، وبارك فيهم ولهم، وألهمهم رشدهم، وسدّد رأيهم، وجنّبهم الوقوع فيما لا يرضيك عنهم بفضلٍ منك وإحسان يا أرحم الراحمين.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) فتح الباري، لابن حجر: ٣/٢٦٥.

دراسات تربوية

العمل والتربية الحياتية
من منظــــور إســــلامي

د. بركات محمد مراد

الأصل هو أن العمل ضروري لكسب المعيشة وتحقيق المستهدفات الأخرى في الحياة. والعمل له أيضاً وظيفة اجتماعية ونفسية؛ فهو يسبغ على صاحبه قيمة معينة، ويساعده في تحقيق الذات، ويعطيه جملة من المشاعر الإيجابية نحو نفسه ونحو الآخرين. وفي المجتمع العربي والإسلامي نجد الدين الإسلامي والتراث ومختلف أدوات التنشئة من مناهج تعليمية وبرامج إعلامية وغيرها تحرّض على العمل وتدعو إلى احترامه.

ويعتبر العمل واجباً إسلامياً على كل فرد؛ حيث إن قواعد الإسلام، وسلوك الأنبياء والصالحين تشير إلى وجوب العمل في مختلف أشكاله. فقد عرف الأنبياء - عليهم السلام - قيمة العمل على هذا النحو؛ حيث كان إدريس خياطاً، وزكريا بحاراً، وموسى أجيراً، ومحمد تاجراً مع عمه أبي طالب، ثم لحساب خديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها، وكذلك كان راعياً للغنم. ولا يجوز لنا أن نستهين بأي مهنة أو حرفة مهما بدت ضئيلة القيمة؛ فإنها في النهاية لها أهميتها في حركة الحياة، ولا تستقيم الحياة بدونها، والتوجيه النبوي يقول: «اعملوا؛ فكل ميسَّر لما خُلق له»[1].

والعمل الذهني مثله مثل العمل العضلي كلاهما ضروري لحركة الحياة ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر. وقد كان أنبياء الله جميعاً يمارسون بعض الحرف وفي مقدمتها رعي الغنم، ولم يقلل ذلك من قيمتهم ومكانتهم. ولذلك يقول النبي ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قطُّ خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»[2].

وهنا يقول ابن حجر العسقلاني شارحاً: «في الحديث فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره. والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله - تعالى - وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد... إلخ»[3].

كما يقول النبي ﷺ إن الله يحب العبد المؤمن المحترف»[4]. ويقول: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له»[5]. وفي الأثر أنه قبّل يداً وَرِمَتْ من العمل، وقال: «هذه يد يحبها

(١) رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه المقداد بن معد يكرب، ورواه البخاري. وانظر الصنعاني: سبل السلام ج٣ ص (٧).

(٣) العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٤ ص (٢٤٤ و ٢٤٥).

(٤) عن ابن عمر، وانظر المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٣ ص (٢٩).

(٥) عن ابن عباس، وانظر المناوي السابق.



الله ورسوله». ومن قبل قال لقمان لابنه: «يا بني! استعن بالكسب الحلال على الفقر؛ فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابته ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به»[1].

وقد عرف المسلمون هذا الأمر، فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «قيمة كل امرئ ما يحسن»[2]. وقال ابن مناذر: «سألت أبا عمرو بن العلاء: متى يحسن المرء أن يتعلم؟ قال: ما دامت الدنيا تحسن به»[3] كما قال الغزالي: «من العلوم الشرعية علوم محمودة، ترتبط بها مصالح أمور الدنيا كالطب، والحساب»[4].

إن الإنسان - كما أكدت دراسات الروح المعنوية في الصناعة، ودراسات الإشباع الاجتماعي المهني - لا يعمل لمجرد الحصول على الأجر أو لمجرد الحصول على الطعام والمأوى، وإنما بجوار ذلك الهدف فهو يعمل لإشباع مجموعة من الحاجات، كالحاجة إلى الأمن، والاحترام، والتقدير، والحاجة الفسيولوجية، والحاجة إلى تحقيق الذات وسعادتها.

● العمل بين الإسلام والتراث الغربي:

إذا كانت مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض؛ حيث يقول الله - تعالى -: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، فإن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل من أجل البلوغ إلى تحقيق الهدف. فالحياة بلا عمل موات، والإنسان قد أعطاه الله من القوى والطاقات ما يجعله قادراً على قيادة سفينة الحياة بالعمل الجاد المنتج الذي يعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالعمل اهتماماً بالغاً؛ فالإسلام يربط بشكل مستمر بين الإيمان والعمل الصالح. وهذا العمل الصالح يعني كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته ويقصد من ورائها وجه الله - تعالى - ونفع الناس ودفع الأذى عنهم، وجلب المصالح والمنافع لذاته ولأهله ولكل من هو مسؤول عنه. وكل عمل يشتمل على ذلك فإنه يندرج أيضاً تحت مفهومي العبادة والتقوى.

وآيات القرآن الكريم التي تشتمل على الربط بين الإيمان والعمل الصالح تفوق الحصر، وقد جاء في الآثار ربطٌ حكيم بين الإيمان والعمل بقول الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في الصدر وصدقه العمل، وإن قوماً غرتهم الأماني، وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»[5].

ومن شأن العمل أن يؤدي إلى تطوير الحياة. ومن خلاله يحصل الناس على أقواتهم فيزرعون ويحصدون. والقرآن الكريم يأمرنا أن نجوب الأرض بحثاً عن الرزق، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

والحياة سلسلة من الأعمال متصلة الحلقات، والذي يقعد عن العمل مع القدرة عليه لا يستحق الحياة؛ لأنه بذلك يصبح عبئاً على غيره، ويصير طفيلياً على الحياة ذاتها؛ فالقعود عن العمل كسل ممقوت. ومن أجل ذلك يقول عمر بن الخطاب: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله - تعالى - يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾.

[الجمعة: ١٠]»

وهذا يعود إلى أن الإسلام - بنصوصه وروحه - دستور ونظام، وعقيدة وشريعة، والإسلام عمل للدارين: الآخرة والأولى، وهما في الإسلام موصولتان. والفقه الإسلامي شقان متكاملان متلازمان: عبادات ومعاملات «فإلى جانب أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، نجد أحكام الشراكة والمزارعة والمساقاة والمضاربة والوكالة والكفالة والحوالة إلى آخر هذه الأمور التي تتصل أوثق اتصال بالحياة الدنيا، والتي تستوعب الأبواب الكثيرة للمعاملات، ونجد أوامر بالوفاء بالعقود وبأداء الأمانات إلى أهلها، وبرد المظالم، وإعطاء كل ذي حق حقه.

والعمل قيمة ينبغي الحرص عليها؛ فالأخذ بها يؤدي إلى التقدم والارتقاء، والتخلي عنها يؤدي إلى التخلف والجمود والموت.

ونحن لا نقصد هنا بالعمل القيمة المطلقة للعمل فحسب، كشيء فطري في الخلق، وإنما نعني بالعمل ارتباط الفكر بساحات الأداء البشري المفصل، واتصال المعارف بالتجربة والتطبيق. فالواقع الراهن يؤمن بالحركة العملية؛ فهو لم يعد شغوفاً بالفلسفة النظرية والتأملية الخالية من المعنى، بل إن العمل يُعطي للأفكار قيمتها، وإشعاعها، ويبرهن على عبقرية الجهد الإنساني الواقعية. وقد كان هذا طابع العمل دائماً في الحضارة العربية والإسلامية، بخلاف كثير من الحضارات السابقة، التي نظرت إلى العمل نظرتها إلى شيء دنئ ومنحط، ولذلك أعلت من شأن الفكر وحياة التأمل، وأعرضت عن حياة العمل والممارسة والتجربة؛ بخلاف التوجه الإسلامي الذي دعا الإنسان إلى الاهتمام بالصناعات بقدر اهتمامه بتحصيل العلوم النظرية والسعي إلى فهم الكون والوجود فهماً عقلياً وروحياً.

فللعمل - في الإسلام - شرف كبير ليس له مثله في غيره من الأديان والثقافات. فالتراث الإغريقي - مثلاً - وهو الذي ترك

(١) زيدان عبد الباقي: العمل والعمال والمهن في الإسلام، ص٣ مكتبة وهبة، القاهرة عام ١٩٧٨م.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ج٢ ص٧٧ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٨م.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ج٣ ص ٤٧٨ دار الثقافة، لبنان عام ١٩٧م.

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ج١ ص ١٦ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت عام ١٩٧٨م.

(٥) كنز العمال: الهندي ج ١ ص (٢٥).



آثاره واضحة في الفكر الغربي - لا يقف عند تجاهل شرف العمل، بل يرى بعض العمل عاراً؛ فقد كان العمل غير الذهني - عند الإغريق - وصمة اجتماعية توجب لصاحبه التحقير، وكانوا يرون أن الاضمحلال البدني الناشئ عن هذا العمل يستتبع انحطاط الروح، وكانوا يرون المواطن الصالح لا يكون أبداً من العمال(١).

واليهودية والنصرانية - مثلاً - تعتبران العمل عقوبة رمي الله بها البشر جزاء بما عصاه أبوهم آدم في الجنة؛ فقد كان من نتائج هذه المعصية أن طرده الله، وقال له: «ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها أيام حياتك»(٢)، « ... بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض»(٣).

وحتى بعد قيام الثورة الصناعية في أوروبا في بداية العصر الحديث، ظل بعض الشعراء والقصصيين الغربيين أمثال شيلر Schiller، ووردز ويرث Wordsworth وكير جارد Kieegaed وفولكنر Fau Lkner ظلوا يحطون من شأن المجتمع الصناعي باعتبار أنه - في رأيهم - يقضي على القيم الإنسانية.

أما في الإسلام، فيكاد يكون من المعلوم منه بالضرورة أن العمل شيء يُطلب، ويُحث عليه، وتحصل بسببه المثوبة. وقد نوَّه القرآن الكريم ببعض الصناعات الهامة على عهد نزوله بالنسبة للمجتمع الإسلامي، تنويهاً يشير إلى عظيم آثارها وجليل فضلها، وإلى أنها من أكبر النعم التي يمنُّ بها الله على عباده؛ فقد نوه بمختلف الصناعات والحرَف البشرية مثل:

■ صناعة الحديد والمعادن: حيث يقول - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ويقول في الحدادة: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. ونوه بصناعة التعدين؛ حيث يقول: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]، أي النحاس المذاب الذي يستعمل في صنع الجفان والقدور. وكذلك يقول: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ [الرعد: ١٧]، كما أشار إلى صناعة الدروع بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

■ وصناعة الكساء: في قوله - تعالى -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وحيث يقول: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]. ويقول: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢].

■ وصناعة الجلود: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠].

■ وقال في بناء المساكن: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤] ويقول: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

■ وفي صناعة السفن: يقول: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، ويقول: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، ويقول: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، ويقول: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ١٢].

■ وفي الصيد وصناعاته: يقول - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤]، ويقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]. ويقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

■ وفي الفلاحة: يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٤].

ومما أشارت إليه السنَّة أن الأنبياء - عليهم السلام - مع علو درجتهم كان العمل طريقهم: فآدم احترف الزراعة، ونوح النجارة، وداود الحدادة، وموسى الكتابة، كان يكتب التوراة بيده، كل منهم قد رعى الغنم، وكان زكريا - عليه السلام - نجاراً(٤). وفي الآثار أيضاً أن إدريس كان خياطاً، وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص، وعيسى يأكل من غزل أمه الصدِّيقة(٥) وقد عمل هو نفسه في حداثته صباغاً(٦). ومحمد ﷺ بدأ حياته عاملاً؛ ففي صباه رعى الغنم لأهل مكة تلقاء قراريط، وفي شبابه عمل في التجارة لحساب غيره. وأصحابه الأدنَوْن، عمال مثل: خباب بن الأرت الحداد(٧)، وعبد الله بن مسعود الراعي، وسعد بن أبي وقاص صانع النبال، والزبير بن العوام الخياط،

---

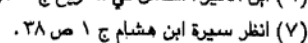
(١) سورة الجمعة آية ١٠، وانظر د. محمد حمدي زقزوق: الإنسان في التصور الإسلامي ص٨٧، ٨٨ وزارة الأوقاف ط ٢ العدد ٧٣ القاهرة ٢٠٠١م.

(٢) Donald Hunter : Health in Industry , part 2 p. 28

(٣) العهد القديم: الإصحاح الثالث - (١٧).

(٤) عن ابن عباس، وانظر المناوي: فيض القدير بشرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٤ ص ٥٤٤ و ٥٤٥، والنووي: رياض الصالحين ص (٢٤٨).

(٥) انظر: محمد بن الحسن الشيباني: الاكتساب في الرزق المستطاب ص١٥ـ ١٨ تلخيص محمد بن سماعة.



(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١ ص (١٢٣).

(٧) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨.



وبلال بن رباح العبد الخادم، وسليمان الفارسي الحلاق، وعلي بن أبي طالب الذي سقى بالدلاء على تمرات... إلخ(١).

وقد كان عمر بن الخطاب يقول: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أَلَهُ حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط في عيني»(٢). وعمر - في ظل الروح الإسلامية - لا يستثني القراء، مع أنهم أهل رأيه ومشورته، ومحل ثقته وتقديره، على الترفع عن أن يكونوا عالة على الناس، يقول لهم: «معشرَ القراء! التمسوا الرزق، ولا تكونوا عالة على الناس»(٣).

● العمل فريضة إسلامية:

والعمل بقصد الاكتساب فرض عين على المسلم؛ لأن إقامة الفرائض تقتضي حتماً قدرة بدنية ونفسية، وهذه لا تتأتى إلا بطعام ونفقة «وما لا يتوصل إلا به إلى إقامة الفرائض يكون فرضاً»(٤) وفي الحديث: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»(٥). كما أن العمل للاكتساب للإنفاق على العيال من زوجة وأولاد فرض عين كذلك؛ لأن إنفاق المرء على زوجته وأولاده مستحق عليه. قال الله - تعالى -: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]. وقال - عز وجل -: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وإنما يتوصل إلى إيفاء هذا المستحق بالكسب. وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»(٦) والتحرز من ارتكاب المآثم فرض؛ كما أن الكسب الحلال طريق إلى رحمة الله، يقول النبي ﷺ: «رحم الله امرأً اكتسب طيباً»(٧).

والسعي على العيال، والهموم في طلب المعيشة تكفر ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به، ودينار أنفقته على أهلك: أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»(٨).

كما أن الإسلام يمنح كل الأعمال احتراماً بعيد المدى، ما دامت مشروعة. ومن إكرام الإسلام للعمل والعمال، أن رب العمل ملزَم - بنص السنة - أن يعتبر خدمة إخوته، وعليه أن يطعمهم مما يطعم، ويلبسهم مما يلبس، ولا يكلفهم من العمل ما يغلبهم؛ فإذا كلَّفهم أعانهم. يقول النبي ﷺ: «إخوانكم خولكم (أي خدمكم وحشمكم) فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»(٩).

● العالم الإسلامي والصناعة:

ومن هنا أصبح العمل ونشاطاته المختلفة، خاصية أساسية من خصائص الحضارة العربية الإسلامية، فاندفع المسلمون يمارسونه على المستوى العقلي والعملي، ويطبقون كل النظريات العلمية التي يتوصلون إليها تطبيقاً عملياً بما ينفع الناس ويرتقي بمستواهم الحضاري والاجتماعي، ومن هنا كان ازدهار الحضارة الإسلامية لقرون عديدة في كل المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة حين توفر العقيدة الإسلامية لأتباعها أهم مقومات النظر السليم في التعامل مع الواقع، ومع البيئة المسخرة لهم من قِبَل الله - تعالى - وَفق تشريعات حكيمة بنظم الحياة في كل جوانبها ومرافقها، وعندما يتصالح الفكر مع الواقع يكون الإنسان أكثر قدرة على بناء صرح الحضارة المتوازنة روحياً ومادياً.

وإن استخدام هذه الخاصية في الحياة العقلية والثقافية للحضارة، وفي السلوك العام للإنسان مكنه من امتلاك المنطلق العملي الذي يجعله يربط الفكر بالواقع، ويربط العمل بوسائله المكافئة بشكل واضح يحكمه؛ فالعملية كذلك تعني كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه؛ وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئاً، بغير مقياس يستمد من واقع الوسط الاجتماعي، وما يشتمل عليه من إمكانيات(١٠).

ولنا في تاريخ الإسلام خير مثال، عندما أنتج علماء المسلمين فكراً يتلاءم مع واقعهم، وقدموا للعالم حضارة زاهرة معمرة، كما قدموا حلولاً شافية للمشكلات البيئية التي واجهتهم على المستويين الفكري والعملي، ذلك أن العلم والفكر اللذين لا يعمر بهما الكون، ولا تصلح بهما البيئة والواقع، ولا ترقى بهما الحياة، في جانبيها الروحي والمادي معاً، هما علم وفكر قاصران وضررهما أكبر من نفعهما(١١).

ولذلك قامت في المجتمع الإسلامي، منذ قديم، صناعات عامة اقتضت بطبيعتها تجميع أعداد كبيرة من العمال والصناع، ومن ثَمَّ كان الإنتاج كبير الحجم؛ فقد قامت مثلاً

---

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص (٨، ١٦، ١٨).

(٢) انظر المناوي: هامش «فيض القدير» ج ٢ ص (٢٩).

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٣ ص (٢٧).

(٤) محمد بن الحسن الشيباني: الاكتساب في الرزق المستطاب، تلخيص محمد بن سماعة، ص (٣٢، ٣٣).

(٥) رواه عبد الله بن مسعود، وأورده البيهقي في «شعب الإيمان».

(٦) عن ابن عمرو العاصي، صححه الحاكم، وأقره الذهبي.

(٧) روته عائشة، وأورده الجامع الصغير عن ابن النجار.

(٨) انظر النووي: رياض الصالحين، ص (١٤٦).

(٩) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج ٥ ص (١٣١، ١٣٢).

(١٠) مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٩٥ ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، بيروت عام ١٩٨١م.

(١١) د. أحمد فؤاد باشا: البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي، مجلة الأزهر ديسمبر عام ١٩٩٦م.



صناعة الأسلحة في مصر، وكان هذا طبيعياً جداً في بلد بلغ جيشه أيام الطولونيين حوالي مائة ألف جندي وأيام الإخشيديين أربعمائة ألف جندي. وكانت القاهرة مركزاً لتلك الصناعات الحربية[1] كصناعة الدبابات والمنجنيق وصناعة السفن والمراكب الحربية، وقد أنشأ ابن طولون مائة سفينة حربية، كما أنشأ المعز الفاطمي دار الصناعة بالمقس بالإسكندرية، وأنشأ بها ستمائة مركب «لم يُرَ مثلها في البحر على ميناء»[2].

كما كانت في مالقة بالأندلس «دار صناعة لإنشاء المراكب»[3]. ومما يذكر أن الأوروبيين في العصور الوسطى أخذوا لفظ «دار الصناعة» عن العربية، فهو في الإيطالية Arse nale Arzenale وفي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية Arsenal. ولما أنشأ محمد علي داراً للصناعة أخذ اللفظ الأجنبي المحرف، وزدنا في تحريفه، فكان «الترسانة».

كما عرف المسلمون استخراج المعادن، وفي حديث ابن مماتي عن الصناعات في مصر يقول: «وبها معدن الذهب، ومعدن الزمرد وليس في الدنيا معدن زمرد إلا في مصر»[4] ويقول في موضع آخر: «وبها حجر السنباذج الذي تقطع به سائر الأحجار»[5]. وفي كرمان مدينة رهزان يقول عنها ابن الفقيه: «هي مدينة كبيرة واسعة، وبها أكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفر»[6] وكانت «مالقة» بالأندلس مختصة «بصنائع الحديد كالسكاكين والمقص ونحوها»[7].

وعرف المجتمع الإسلامي - كما يقول د. لبيب السعيد[8] - مؤسسات صناعية تحدثت كتب الفقه تفصيلاً عن مشتملاتها ومواصفاتها، وحالة العمل فيها. ومن هذه المؤسسات: بيت الدهان، والطاحونة، وبيت الطحانة، والمجمدة، والمثلجة، والملاحة، وعين القير أو النفط، وبيت الطراز[9]. وعُني المجتمع الإسلامي بصناعات النسيج، واشتهرت مصر بأنواع الحرير والكتان النقي الفاخر خاصة «تنيس» و«دمياط» وامتازت بعض البلاد المصرية بصناعة المنسوجات الصوفية كالملابس والشيلان والأبسطة. وقلد أهل «أسيوط» النسيج الذي اختصت به بلاد أرمينيا وصنعوا نوعاً من العمائم لا نظير له في العالم، واشتهرت «طحا» بعمل الثياب الصوفية الرفيعة[10]. كما اشتهرت «القصير» بعمل الثياب والأنسجة من الصوف.

وقد ترافق ازدهار الحضارة العربية مع نشوء المدن الكبيرة وتزايد حاجات المجتمع، ونمو جهاز الدولة بإداراته العديدة وما تدعو الحاجة إليه من إعداد الجيوش وبناء الأساطيل، وفي الوقت نفسه نمت التجارة الدولية وحدثت الثورة الزراعية العربية، وقد أدى كل ذلك إلى تزايد الطلب على المنتجات الصناعية، فنمت الصناعات وتطورت وتنوعت، ولقد ازداد عدد الحرفيين والصناع نتيجة لذلك ونمت خبراتهم، وكان ضمن كل صناعة عدد من الصناع من اختصاصات مختلفة، ويمكننا أن نعرف أسماء مختلف الحرف من كتب الحسبة[11] والجغرافيا والتراجم والتاريخ، وكذلك فإن الكتابات والنقوش على المباني التاريخية، وعلى التحف المتبقية تعتبر مصدراً له أهميته[12]، وقدر عدد الحرف اليدوية في القاهرة في عهد الفاطميين والأيوبيين بأكثر من ٢٦٥ حرفة، وقدرت مختلف الحرف والصناعات في دمشق في أواخر القرن التاسع عشر بأكثر من أربعمائة كان نصفها تقريباً من الحرف الإنتاجية[13].

أدى العدد الكبير من الصناعات والحرف واختلاف طبيعة كل منها إلى تنظيمها في أسواق متخصصة، وكان مثل هذا الفصل ضرورياً؛ إذ إن بعض الصناعات تولد الدخان والروائح وهذه كانت تقام في أطراف المدن، وكان لهذا التنظيم فوائده للجمهور وللتجار وللحرفيين أنفسهم، كما أنه ساعد السلطات على مراقبة جودة المنتجات.

● التربية الحياتية والعمل:

الحديث عن الجانب الحضاري والمادي المتصل بالإنشاء والبناء والخاص بالحضارة العربية والإسلامية، حديث لا يمكن الإحاطة به، وخاصة أن الحضارة الإسلامية قد ازدهرت وامتدت في مساحات شاسعة من العالم، كما أنها استغرقت من الزمن الكثير من القرون، جمع فيها الإنسان المسلم بين التقدم العلمي والتطبيق التكنولوجي، بشكل غير مسبوق، وذلك لاحترام الإسلام للعلم، وكذلك لاهتمامه بالعمل، ولاعتباره أن رسالة الإنسان في هذه الحياة بعد عبادة الله - تعالى - وتوحيده والإعمار المستمر والعمل الدؤوب.

من هنا كان اهتمام الإسلام بالسعي في بناء الحضارة

(١) المقريزي: الخطط ج ١ ص (٣٦٧).

(٢) السابق ج ٢ ص (٩٥).

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص (٢١٨).

(٤) قوانين الدواوين، نشر سوريال عطية.

(٥) السابق.

(٦) حسن حسني عبد الوهاب: «التبصرة بالتجارة» للجاحظ.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى السابق.

(٨) دراسة في العمل والعمال السابق، ص (٣٥، ٣٦).

(٩) الفتاوى الهندية ج ٦ ص (٢٩٧).

(١٠) المقدسي: احسن التقاسيم، ص (٢٢).

(١١) حبيب الزيات: كتاب الحسبة. يورد المقال قائمة بالحرف والصناعات من كتاب الحسبة لجمال الدين يوسف بن المبرد الدمشقي من القرن العاشر.

(١٢) حسن باشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء.

(١٣) محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، دمشق. وانظر أحمد يوسف الحسن: مجلة الفلسفة والعصر، ص ٤٢ العدد ٢ المجلس الأعلى للثقافة يناير عام ٢٠٠٢م.



وازدهار المدنية يتوازى مع العمل للآخرة والسعي لما بعد الموت، ولقد حقق الدين الإسلامي وحدة ثقافية عالمية ارتبطت بلغة أدبية وعلمية هي اللغة العربية التي سرعان ما حلت محل لغات قومية عديدة، وأصبحت أداة التعليم والاتصال. ولا ننسى أثر الدين الإسلامي في الاهتمام بالحضارة وفي قيام المدن وإعمارها وازدهارها، وتحقيق الرخاء المادي الذي ساعد عليه قيام صناعات محلية بها، ساندتها تجارة محلية وعالمية نشطة، وحرية الانتقال وسهولته عبر مسافات هائلة من العالم، وهو الأمر الذي أوجد تكاملاً اقتصادياً حقيقياً، وصاحب ذلك تبني سياسة تعليمية رشيدة، انفتحت على تجارب العالم، والأمم السابقة والمعاصرة لها، إلى جانب اهتمام غير مسبوق بإنشاء المكتبات والجامعات والمراصد والمستشفيات، وهي تلك المؤسسات التي أصبحت من بعد مثالاً يُحتذى في الحضارة الأوروبية الحديثة، والتي ترسخت من خلالها قيم رفيعة للبحث العلمي المثمر، وما كان هذا الإنجاز العلمي والتكنولوجي ليتحقق في الدولة الإسلامية لولا الرعاية والحماية التي كان يحظى بها العلماء والباحثون وطلاب العلم[1].

وقد تأثر الغرب بتوجيهات الحضارة العربية والإسلامية، في الاهتمام بالحياة الدنيا والسعي للارتقاء بها، بعد أن كان سكان أوروبا في العصور الوسطى يعيشون في جهالة دامسة، ويخضعون لخرافات مسيطرة انتشرت بفضل الفهم القاصر لكنائس العصور الوسطى والتي كانت تدعو إلى الزهد والرهبانية، وعدم الالتفات إلى هذا العالم الذي هو مدنس بالخطيئة والواقع تحت سيطرة الشيطان.

وفي بداية العصر الحديث أخذ العمل طابعاً إيجابياً، حيث سما لمكانة اجتماعية مرموقة، وأصبح ذا مسؤولية أخلاقية، وقد أدخل (مارتن لوثر) ومن بعده (جون كالفن) القول المأثور الذي يقول: «إنك عندما تعمل فإنك تحقق رغبة الرب». وفي العصر الحديث جاء (جون ديوي)[2] مؤكداً دور العمل حيث قال: «إن العمل بالنسبة للتلاميذ الأسنِّ يقوم بدور في النمو التربوي للأنشطة الفطرية الفجة يضارع دور اللعب لدى التلاميذ الأحدث منهم سناً»[3]. ومن خلال هذا التوجه الحضاري برزت حركة حديثة يطلق عليها «التربية الحياتية» Career Education تنادي بإعداد الأفراد للقيام بأدوارهم الحياتية أو المعيشية بشتى أشكالها.

وفي الحقيقة نشأت حركة التربية الحياتية نتيجة لمشاكل اقتصادية واجتماعية أجبرت القائمين على المؤسسات التربوية على البحث في إيجاد مجتمع يُلِمُّ أفراده بالمهارات والخبرات المعيشية. كما أن الاهتمام الذي تبديه المجتمعات المتطورة بالحركة يرجع أيضاً في أساسه إلى الافتراض القائل بأن شباب العصر الحالي لم يعد يرغب في القيام بشتى الأعمال بدرجة الأجيال السابقة.

ويشير المربون التربويون إلى أنه عند مناقشة أولياء الأمور حول طموحاتهم في تعليم أبنائهم - خاصة في العالم العربي - تبرز أسطورة مهنية وراء الأسباب التي تدفعهم إلى متابعة واستمرار تعلم الأبناء وهي الحصول على الشهادة الجامعية. في حين يرى الاقتصاديون والسياسيون ورجال الأعمال المهتمون بالإنتاجية Productivity بأنه يجب ألا يمنع التعليم في الجامعة، غير أنه ينبغي ألا يستمر في إعلانه الطريق المقبول الفعلي والوحيد للتهيئة للحياة الوظيفية والمهنية، وبأنه ينبغي عدم التشديد على أن الشهادة الجامعية شرط أساس للنجاح المهني في الحياة، حيث إن ذلك يتجاهل العلاقات الوثيقة المتزايدة بين التربية والعمل.

وينتقد هؤلاء الافتراض السائد بأن أفضل طريقة لتهيئة التلاميذ للعالم الواقعي هو بقاؤهم منعزلين عن ذلك العالم، ويؤكدون على أن تقوم المرحلة الابتدائية بتدريس المهارات الأساسية اللازمة للنجاح في كل أنواع الوظائف باعتبار أن التعليم أداة لإكساب المهارات والخبرات الحياتية، ولذلك يؤكد الباحث سعد الهاشل[4] على ظهور التربية الحياتية في العالم المتقدم بشكل واضح في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي، وتدور حول ربط مناهج التعليم بالواقع الوظيفي والحياتي، وبإبعاد العزلة القائمة بين التعليم النظري وبين التعليم التطبيقي، وبإعداد التلاميذ سواء من يكمل الدراسة الجامعية أو من لا يكملها، لمجالات حياتية مختلفة بتركيز المقررات التدريسية الحالية حول تلك المجالات.

ومن هذا يتضح أن التربية الحياتية تبحث في ربط الدراسات النظرية في المراحل التعليمية وما بعدها بالعالم الوظيفي وإبعاد العزلة الحالية الموجودة بينهما، وأنها تركز على المشاركة الفعلية للمنزل، والمجتمع بمؤسساته المختلفة في إكساب الأفراد المعرفة والمهارات الوظيفية. وعلى الرغم من هذا ما زالت النظم التعليمية العربية، وخاصة في جامعاتنا تصطنع المواجهة بين النظري التجريدي وبين التطبيقي العملي. وتصل الأمور إلى حد التمييز بين جامعات تصطبغ تجربة البحث العلمي فيها بالنظري التجريدي، وجامعات تصطبغ تجربة

(١) د. مصطفى لبيب عبد الغني: مجلة الفلسفة والعصر السابقة.

(٢) سعد الهاشل: التربية الحياتية في المرحلة الابتدائية مجلة العلوم الاجتماعية ج ١٣ العدد ١ الكويت، ربيع ١٩٨٥م.

(٣) جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ترجمة د. نظمي لوقا، ص ٢٨١ الأنجلو المصرية ١٩٧٨م.

(٤) سعد الهاشل. السابق.



البحث العلمي فيها بالتطبيقي العملي. وفي هذا السياق ترتفع الأصوات وترفع الشعارات لجعل الجامعة مختبراً للمجتمع ومركزاً استشارياً لمؤسساته وهيئاته.

● فلسفة التربية الحياتية وأهميتها:

هنا تأتي أهمية التربية الحياتية، والتي تبدأ مع تنشئة الطفل العربي في مراحل دراسته الأولى، وخاصة أن فلسفة هذه التربية ـ كما ذكرها «كينيث هويت» Kenneth Hoty في كتابه عن التربية الحياتية، تقوم على أساسين:

الأول: أن جوهر السعادة البشرية هو الشعور بالقيمة الشخصية، مع عمل يكون المقوم الأساسي لهذا الشعور عند الأفراد.

والثاني: أن النجاح في الحياة العملية لا يتطلب المهارات الضرورية للقيام بحرفة من الحرف فقط، وإنما يتطلب بالإضافة إلى ذلك الاتجاهات والقيم والقدرات العامة التي تؤثر في مقدرة الفرد عند العمل وتقوده إلى أن يكون شخصاً منتجاً على مدى الحياة(١).

ومن هذا يتبين أن العمل ليس المصدر الرئيس للدخل فحسب، وإنما هو أيضاً مصدر في تقدير الذات ومنحها الإحساس بالسعادة. وبحكم أن السعادة تعتمد اعتماداً كبيراً على القيمة الشخصية والتي تعتمد بدورها على الإنجازات الحياتية، لذا أصبح دور التربية في إعداد الأفراد للإنجاز الذي يشكل مصدر السعادة هدفاً ذا أهمية بالغة، يتطلب من المدرسة والمؤسسات الوظيفية والمجتمع أن تكرّس كامل طاقاتها لبلوغه. ولهذا أكد «فرانك براترند» في بحث قدم في مركز التعليم الفني والمهني في (جامعة أوهايو) على أن أحد أهداف وظائف النظام التربوي هو مساعدة الفرد على تحقيق ذاته Fuifillment Self بطرق مقبولة اجتماعياً.

كما تحاول «التربية الحياتية» أن تسهم في تنمية مهارات العلاقات البشرية وفي المحافظة على الصحة العقلية والبدنية، كما تحرص في الدرجة الأولى على الإلمام بالمفاهيم لدى أصحاب العمل والتي تدور حول العلم والتكنولوجيا، بالمهارات والاتجاهات الكامنة والمستخدمة لدى أصحاب العمل والتي تعتبر ضرورية لسوق العمل.

وقد أشار (ألفن توفلر) Alvin Toffler في كتابه «التعلم من أجل المستقبل» إلى أن الأطفال لا يكتسبون مهارات التكيف وتقنيات التخطيط من خلال المحاضرات والتلقين العادي وإنما هم يتشربون ويتعلمون من خلال الممارسات والخبرات التي تساعدهم في التعرف على الاختيارات البديلة الممكنة، وذلك لإيجاد بيئة مستحبة ومرغوبة لهم وللعالم البشري الذي يتعاملون معه(٢). كما يجب أن تركز البرامج التدريسية في الصفوف الأولى على تنمية الإدراك الحياتي بربط مناهج المهارات الأساسية بهيكل المعلومات الحياتية، كالتطرق لما يعمله الناس من أجل العيش وطرق معيشتهم... وأن تصبح مهن أولياء الأمور (الطبيب، النجار، الشرطي.. إلخ) موضوعات لدروس القراءة، وتمارين الكتابة، ودروس التاريخ والجغرافيا، حيث إن هذه الدروس والمتطلبات تساعد الطفل على تشكيل سلوكه وتنمية فكره وإحساسه بالعالم المحيط به.

وقد أورد «ميلتون» أن سلوك الطفل يتشكل بناء على المتطلبات الخارجية المفروضة عليه من قبَل المجتمع، وإن إجاباته لتلك المتطلبات تساعد على نموه العقلي(٣).

وأخيراً: تجدر الإشارة إلى الفرق بين التربية الحياتية Career Education والتربية المهنية Vocational Education وفي الحقيقة هناك تشابه بين المفهومين في بعض النقاط؛ وذلك أن كليهما يُعنى بالعمل، وأنهما متشابهان في بعض النقاط والاستراتيجيات كاستخدام الورش والمختبرات عند العمليات التدريسية. إلا أن مفهوم التربية الحياتية أكثر شمولاً من التربية المهنية؛ حيث إن هذه الأخيرة هي جزء من التربية الحياتية، ولذا فإن نجاح التربية الحياتية يثبت عند حسن اختيار المتعلم لمهنة من المهن وفقاً لميوله ورغباته وقدراته الفردية من ناحية ومعرفته المهنة المختارة من ناحية ثانية.

وبالرغم من ذلك التشابه إلا أن هناك بعض الاختلافات تظهر أن الأفراد الذين يتلقون برامج التربية المهنية هم في الواقع من يرغبون في التدريب على مهنة ما، كما تهتم التربية المهنية بإعداد المهندسين ومساعدي المهندسين والفنيين لمختلف الحرف. في حين أن التربية الحياتية تهتم ببناء الإدراك عند الأفراد حول عالم العمل، والفرص المتاحة، وبالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم كمواطنين، وأرباب أسر، ومستهلكين، كما تحرص التربية الحياتية على مساعدة الأفراد في كيفية قضاء وقت الفراغ، وفي اكتساب المهارات اللازمة في صنع القرارات.

إن هدف التربية الحياتية ليس العمل في الدرجة الأولى، بل تهيئة التلاميذ للحياة المعيشية باكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات التي تساعدهم على القيام بأدوارهم الحياتية.

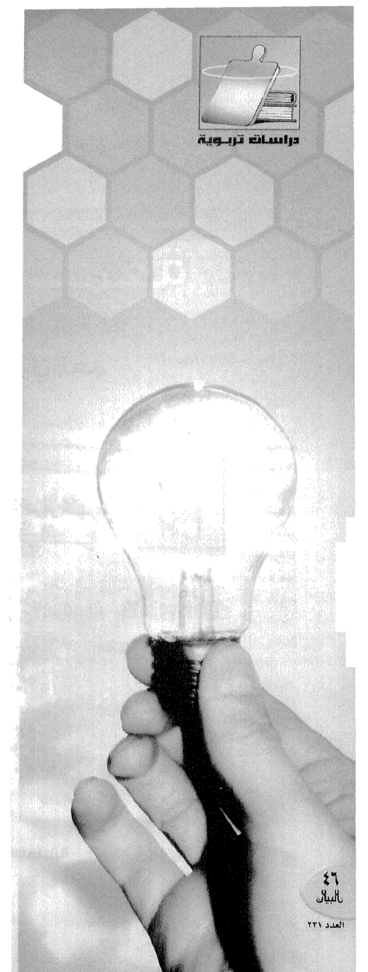
---

(١) السابق.

(٢) Toffler , Alvin Learing for Tmorrow (publishing commlttee1972) p. 191 .

(٣) سعد الهاشل: التربية الحياتية ص (٤٨، ٤٩).





علــو الهمــة
أول مطالب النجاح

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي(*)
MashaL001@hotmail.com

ما رأيت أروع للنفس من السباق نحو المعالي! ولا شهدت لها حالاً أفضل ولا أحسن من بلوغ المجد في زمن التواني! لقد جاء الله بنا لعمارة الأرض، واستخلفنا فيها لذلك الهدف العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والمتأمّل في النفس الإنسانية يجد أن الله - تعالى - أودع فيها قدرات فوصلت ببعضنا إلى أن نصبت أقدامهم على سطح القمر في ضحى النهار، وأعلنت حين وصلت هناك: إنه ليس ثمة حدود في الكون تقصر عنها قدرات هذه النفس البشرية مهما كانت العوائق في سبيلها كبيرة أو قوية، والناظر في تاريخ الإنسان يجد أن البداية واحدة لكل فرد منّا، وليس على ذلك برهان أقوى من صراخنا جميعاً حين نلج إلى عالم الأرض الفسيح، لكن الأمر الذي لا يحتاج إلى برهان هو أن النهاية مختلفة إلى حد بعيد في حياة بعضنا البعض.

إن النجاح في الحياة همّ يؤرّق الناجحين وحدهم، وشعور يتألق بهم في عالم الحياة؛ فيجعل منهم آخرين على مساحات هذا الكون الفسيح، وصدق أديب الإسلام مصطفى صادق الرافعي حين قال: إذا لم تزد على الدنيا كنت زائداً عليها، وعبر هذه المساحة المتتابعة بإذن الله - تعالى - سنصل وإياك إلى ما نريد، وأجزم - إن شاء الله - إن كنتَ على الخطو أن تهنأ بحياة حافلة بالنجاح وذلك ما نتمناه.

لن يتحقق النجاح في عالم الواحد منّا ما لم نؤمن إيماناً صادقاً ويقينياً أننا أهل لذلك النجاح، إن العامل النفسي مهم للغاية في إقناع نفوسنا بتحقيق معالم نجاحها في الحياة، ومالم نصل إلى أعماق نفوسنا فنثق بها، ونهتف بتميزها، ونكتب في قرارها أننا من الناجحين؛ فلن نحقق شيئاً في مثل هذا العالم الطموح، وهذه بداية الطريق، ومن لم يحسن البداية فلن تكون له نهاية. ولذلك قيل: أضخم

(*) المشرف التربوي بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة.

المعارك في حياة الإنسان تلك التي يقضيها الإنسان مع نفسه، وعندما تبدأ معركة المرء بينه وبين نفسه فهو عندئذ شخص يستحق الذكر. لقد خرج رسول الله ﷺ إلى عالم يتعلق بالشجر، ويسجد للحجر، ويؤله التمر واللبن، فوقف على الصفا وأعلن الرحلة من هناك، وواجه بمفرده جيوش الباطل، وظل يناضل عن رسالته، ويجهد في تحقيق أهدافه، ولم يهتف به الموت حتى قلب موازين التاريخ، وغيّر معالم القيم في حياة تلك المجتمعات التي خاض التجربة فيهم، وأعاد أولئك الأفراد من تيه الطريق إلى غاية العبيد، وفي ثنايا الطريق دميت عقباه، وكسرت رباعيته، وثُلم وجهه، ووضع سلى الجزور على ظهره، وإنما تضعف الهمم حين لا تقوى على تجاوز الصعاب، وظل كثير من الناجحين على نفس الطريق، فتجاوزوا كل ما يمكن أن يحول بينهم وبين النجاح، وليس أوضح على ذلك من ابن الأثير؛ فقد كتب كتابه (جامع الأصول) وهو مقعد، ودوّن ابن القيم كتابه (زاد المعاد) وهو في طريق السفر، وهتفت بابن الجوزي حتى طالع عشرين ألف مجلد وهو لا زال في أيام الطلب، واختار سفَّ الكعك على مضغه لتفاوت ما بينهما، وهكذا يظل النجاح حليف من أقنع نفسه بحياة الناجحين واللحاق بهم.

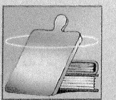
وشاهد التاريخ الحاضر كثير، خاصه حتى من لم يعرف طريق الإسلام بعد، ودوّنت سيرهم أروع التحديات، ومن هؤلاء (إبراهام لنكولن) صارع الحياة صراعاً غريباً، وناضل من أجل النجاح نضالاً عجيباً، وركل كل معوقات الفشل بقدميه حتى وصل إلى ما يريد، ناهيك عن أماني المؤمن ورغباته، وعزه الحقيقي وجاهه. هذا الرجل أراد أن يشارك في صنع القرار على مستوى بلاده، فشارك في بدايته في مجال الأعمال وأخفق وهو في الحادية والعشرين من عمره، ولكنه لم يلبث أن عاد مرة أخرى فقدّم نفسه للانتخابات التشريعية وهو في الثانية والعشرين من عمره وأخفق مرة ثانية، وعاد ثالثة مساهماً في مجال الأعمال وهو في الرابعة والعشرين من عمره ولم يكن التوفيق حليفه، وتعرّض، كما يتعرّض من يريد المجد، إلى هزات قوية في حياته فأصيب بانهيار عصبي وهو في السابعة والعشرين من عمره، ولم يلبث أن قام مرة أخرى محاولاً في طريق أكبر من سابقه مشاركاً في انتخابات الكونجرس وهو في الرابعة والثلاثين فلم يبرح عن محاولاته السابقة، وقام من تلك الكبوة ليعيد نفسه مرة أخرى في نفس المحاولة وهو في السادسة والثلاثين من عمره فلم يتحقق له شيء، وفي الخامسة والأربعين شارك في انتخابات مجلس الشيوخ وكانت كسابقتها، وفي التاسعة والأربعين من عمره أعاد الكرة في انتخابات مجلس الشيوخ وخسر كذلك، وأخيراً وبعد ثلاثين عاماً من التجربة والإخفاق تم انتخابه رئيساً للولايات المتحدة وهو في الثانية والخمسين من عمره. وهكذا يظل النجاح أمنية مستعصية في بدايتها، لكنها سرعان ما تلين لأصحاب الهمم وتذعن لهم من جديد. وخرج (أديسون) من مدرسته يُعيَّر بالفشل والغباء، فأكب على التجربة بنفسه، وظل يعاصر الحياة بمفرده، وبعد ٩٩٩ محاولة في موضوع الكهرباء أضاء الدنيا بأسرها، وكتب يقول عن العبقرية: إنها (١٪) إلهام، و(٩٩٪) عرق جبين.

مسلم، ياجبال لن تقهريني
صارمي قاطع وعزمي حديد
لا أبالي ولو أقيمت بدربي
وطريقي حواجز وسدود

يقول محمد أحمد الراشد: كن حمّالاً في السوق، لكن قرّر مع أول خطوة لك فيه أن تصير تاجراً أو عقارياً أو مدير شركة فستصل بإذن الله، المهم تصميمك. وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن زرع الأمل في النفس: «وفي هذا المنعطف يجفل الراهب فيدعي عجزاً، ويقول: تريد مني أن أكون فقيهاً وليس جدي مالكاً ولا الشافعي! وتطلبون أن أتغنى بالشعر وما ولدني المتنبي ولا البحتري! وتتمنون أن ألوك الفلسفة وليس جاري سقراط! فمن أين يأتي لي الإبداع، وقد قال النبي ﷺ: «الناس كإبل مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة»؟ فنقول: نعم، نريد، ونطلب ونتمنى، ونظن ونجزم، ولا وجه لا ستضعافك نفسك، وقد أعطاك الله ذكاءً ونسباً، فلِم لا تتعلّم السهر وتطلب الفصاحة؟»ا. هـ، ورحم الله (محمد إقبال) حين قال: لقد هبّت عليَّ نفحة من نسيم السحر في الصباح الباكر، وناجتني، وقالت لي: إن الذي عرف نفسه وعرف قيمته ومركزه لا يليق به إلا عروش المجد. وقال في موضع آخر، وهو يناديك أنت من بين كل الناس: فيارجل البادية! وياسيد الصحراء! عُد إلى قوتك وعزتك، وامتلك ناصية الأيام، وخذ بعنان التاريخ، وقُد قافلة البشرية إلى الغاية العظمى.

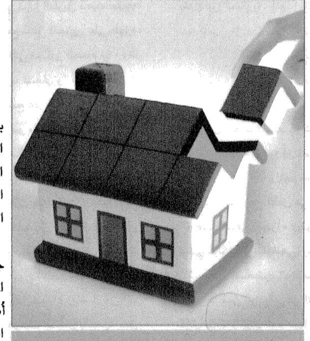
وأخيراً أخي القارئ الكريم:

تنمية الذات مفهوم غائب عن أوساط الكثير منا، وحين نحسن الحديث فيه أو الدندنة حوله يمكن لنا أن نجترّ كثيراً ممن لم يزل لم يحلم بعد، فقط لا يحسن بك أن تقرأ دون أن تتروّح النجاح وأنت على مسافات بعيدة منه، وحينئذٍ يمكن لك أن تتابع مقالات أخرى وتستفيد.



قيــادة المؤسسة الأُسرية

سالم بن عبد الله القرشي(*)
Salem1389@gawab.com



ترى أحدهم يقود مؤسسة أو منظمة عاملة في الحقل الصناعي أو الخدمي وله نشاطه وتخطيطه ورؤيته المستقبلية، وأهدافه البعيدة والأخرى القريبة.

ترى تحفيزاً للعاملين، وإكراماً للمجتهدين، بل إنك ترى الموظف المثالي والفريق المثالي.

لا تخطئ عيناك أَثَرَ ذلك في الإنتاجية المرتفعة والأرباح الهائلة.

وكم هو أثر ذلك في مجموعه على اقتصاد البلد، من نموٍّ اقتصادي مرتفع وزهو اجتماعي وثقافي ونفسي كبير.

إنه قمة الرُّقي الحضاري تعيشه تلك المؤسسة وذلك القطر.

ويبقى السؤال الكبير:

هل نمارس - نحن الآباء وقادة العمل المؤسسي - جزءاً ولو يسيراً من هذا التخطيط المنظم داخل المؤسسة الأسرية؟

لا أستطيع فلسفة هذا الضمور الذهني والفكري عن هذه الحاجة الملحة والضرورية لبناء مؤسسة هي النواة في كيان الأمة وفي كيان الدولة الحديثة.

حديثنا يملأ السماء ضجيجاً عن حاجتنا هذه الأيام - وخصوصاً مع دخولنا منظمة التجارة العالمية - إلى رسم الخطط والاستراتيجيات الإدارية والثقافية المتطورة والآخذة بالنُّظم الحديثة المراعية لحركة التقدم المتسارع في التقنية والتحرر الاقتصادي والتجاري الآخذ في الطغيان حركةً وتطوراً مع تسارع الأحداث والتغيرات.

ما أجمل هذا وأحسنه لو سار جنباً إلى جنب مع الأخذ بزمام المبادرة لصنع توجهات وسياسات أُسرية لصنع رؤية فردية وخطط استراتيجية وأهداف دقيقة لتربية وصناعة جيل أسري فريد!

إن المؤسسة الأُسرية أحوج ما تكون لهذه الخطط التي يصنعها المنظرون الإداريون للمنظمات الناجحة.

إنه استثمار في الإنسان من نوع آخر.

فهل يأتي علينا يومٌ نرى الأسر تتسابق كسباق المؤسسات الأخرى في صناعة الأسرة المتميزة، الأسرة الرقمية في زمن العولمة، بدل أن يعولم الغرب نظام أسرته إلينا؟

اسرة مؤهلة تربوياً وأخلاقياً وعلمياً وثقافياً. هل يأتي علينا يومٌ نرى أن لكل أسرة صندوقها التنموي لتطوير وتدريب أفرادها؟

إن شيئاً من ذلك بدات ملامحه تلوح في الأفق.

(*) مدير تحرير النخبة الإدارية.





محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

تناولنا في العدد السابق طائفة من مشكلات أولاد الصالحين، ويتواصل حديثنا عن الموضوع في هذا العدد.

من مشكلات أولاد الصالحين التوقعات العالية لدى والديهم؛ فيتسم كثير من الآباء والأمهات الصالحين بحرص بالغ في رعاية أولادهم وتنشئتهم، وتعلو توقعاتهم وطموحاتهم، وهو مطلب إيجابي؛ فالطموح والرغبة في تميز الأولاد مطلب لكل الناس؛ فضلاً عن الصالحين الذين يدركون المسؤولية، ويتطلعون إلى أن يسهموا في إحداث تغيير إيجابي في الواقع من خلال أولادهم، وإلى أن يحقق أولادهم كثيراً مما لم يحققوه هم.

لكن المشكلة حين تكون الطموحات معيارية يحاكمون أولادهم عليها، ويقيسون النجاح والفشل من خلالها.

إن مجرد الطموح والتوقعات العالية للوالدين ليست العامل الوحيد في تأهل الأولاد للمستويات المرجوة؛ فهو يرتبط بالقدرات والمؤهلات الشخصية، وبوجود المنهج التربوي الملائم، وبالقدرة على تطبيقه بصورة تربوية صحيحة.

يصر بعض الآباء والأمهات على أن يُتِمَّ أولادهم حفظ القرآن الكريم، أو إنجاز بعض المشروعات العلمية على حساب تمتعهم بطفولتهم، وقد يتحقق شيء من ذلك تحت سَوْط الإكراه والضغط؛ وحين يشب الأولاد يتمردون على ما تلقوه.

ومن المشكلات: أن الصالحين كغيرهم من الناس لهم سمات شخصية؛ فمنهم من يكون بسيط التفكير، أو ضيق الأفق، أو حاد الطبع، أو عنيفاً، أو متشائماً؛ فتترك هذه السمات أثرها على علاقتهم بأولادهم، وتزداد المشكلة حين تجد أن من يتسمون بهذه السمات لا ينفكون عنها في تعاملهم مع قضايا التدين؛ فقد يضفي أحدهم الصبغة الشرعية على تصرفاته التي يكون مصدرها سماته الشخصية.

ومن المشكلات: عدم استيعاب طائفة من الصالحين تنوع الناس واختلافهم؛ فعلى سبيل المثال يمثل التوجه للتخصصات الشرعية في التعليم مطلباً مشتركاً بين الصالحين، لكن ليس كل الأولاد متهيئاً لذلك؛ فالمبالغة في إصرار الوالدين على هذا والربط بينه وبين الصلاح والاستقامة قد يقود إلى مشكلات في تربيتهم.

وما أجمل ما قاله ابن القيم - رحمه الله - : «ومما ينبغي أن يتعهد: حال الصبي، وما هو مستعدٌ له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوقٌ له، فلا يحمله على غيره، ما كان مأذوناً فيه شرعاً؛ فإنه إن حمله على غير ما هو مستعدٌ له لم يفلح، وفاته ما هو مهيأ له»[1].

ومن المشكلات: أنهم - وبالأخص أولاد المشاهير - تحت الأضواء وتحت نظر الآخرين من زملائهم وأساتذتهم؛ فكثيراً ما يلامون على ما لا يلام عليه غيرهم، أو يتوقع منهم ما لا يتوقع من غيرهم، مما يقود بعضهم إلى القلق من هذه النظرة، أو ينشئ لديهم ردة فعل معاكسة.

ومنها حديث والديهم معهم على أنهم يمثلون والديهم، وعلى أن الناس يلومونهم ويقولون: هؤلاء أولاد فلان وفلانة؛ مما يشعر الأولاد أنهم يراد منهم الانضباط لأجل سمعة والديهم، أو أنهم يُحرَمون مما لا يحرم منه غيرهم حتى لا يلام آباؤهم وأمهاتهم.

ويسيطر على بعض الآباء والأمهات هاجس مبالغ فيه حول انتقاد الآخرين لهم ولأولادهم؛ فيظهر هذا الهاجس في أسلوب تعاملهم مع أولادهم وتوقعاتهم منهم.

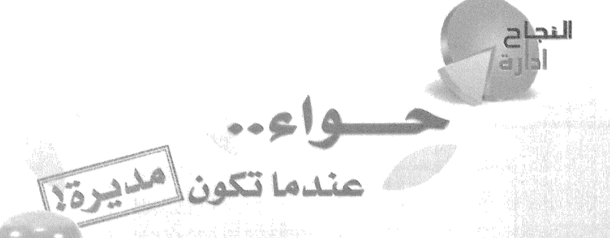
ومنها: كثرة انشغال والديهم، وبالأخص من له مشاركة في ميدان العلم والدعوة؛ فيقود الانشغال إلى حرمان أولادهم من الحياة الأسرية الطبيعية، وإلى غفلة الوالدين عن كثير مما يجري لأولادهم.

ومنها: المبالغة في حرمانهم من كثير من المتع المباحة بحجة الورع أو البعد عن الشبهات، ولا شك ان البعد عن الشبهات مطلب، والورع هو السلوك اللائق بالوالدين، لكن حين يتحول إلى معاناة لدى الأولاد، وإلى رقيب خارجي يبحثون عن التفلت منه فإنه يؤدي إلى نتائج سلبية.

إن أولاد الصالحين كغيرهم من الناس يحتاجون إلى المتعة، وإلى الترفيه، وإلى اللهو، وأن يشعروا أن التدين لن يكون عائقاً لهم عن أن يتمتعوا كما يتمتع به الآخرون ما دام ذلك في إطار المباح.

(١) تحفة المودود (٢٤٣).





حـــواء.. عندما تكون مديرة!

إبراهيم بن سليمان الحيدري(*)
alhaidari5@hotmail.com

من بين تلك السحب المتلبدة في الأفق، يلمح المتفائل بين الحين والآخر نجوماً ساطعة تبشر بمستقبل مشرق. أحد هذه النجوم تلك المنظمات الخيرية النسائية ذات التوجه الإسلامي والتي تدار بسواعد نسائية طموحة.

علاقة حواء بالإدارة الخيرية في كثير من البلدان العربية علاقة حديثة إلى حد كبير، وفي مثل كل البدايات؛ فإن هناك نجاحات وهفوات، إلا أن الملاحظ أن تجربة المرأة في حقل الإدارة الخيرية بدأت في زمن يمتاز بوعي إداري يتنامى وثقافة تنظيمية تتزايد، ووسائل تطويرية تتجدد وتتوفر بيسر وسهولة، والمنتظر والحال كذلك أن تستثمر حواء هذا الوضع وتترجم ذلك في أساليب إدارية راقية استثماراً واعياً للموارد البشرية والمالية.

هناك تحديات أمام حواء وهي تدخل تجربة الإدارة الخيرية من شأنها أن تعطل مسيرة العمل، وتعرقل سير الخطط، وتهدر الموارد، إلا إذا استطاعت التعامل معها بحكمة وموضوعية، ومن ذلك: الوقت، والعاطفة.

فالوقت الذي يمضيه المدير داخل أروقة منظمته عامل مهم في النجاح؛ وحتى مع التطور التقني الذي نعيشه يبقى وجود المدير في منظمته واستنشاق هوائها اليومي مهم لاستيعابٍ أشمل، وتجاوب أسرع، وإدارة أنجح للمنظمة.

التحدي الذي يواجه المرأة المديرة هو أن دورها الاجتماعي في الحياة زوجة وأماً يتطلب المكوث في البيت، وهو عمل جليل ولا شك، وبه يصلح حال الأسرة. إلا أنه من جهة أخرى يعني مكوثاً أقل داخل المنظمة، مما يؤثر سلباً على أدائها الإداري. ويزداد الوضع وضوحاً مع المديرات العاملات، وهو حال كثير من الداعيات.

كان هذا التحدي الأول.

أما الثاني: فهو العاطفة، ولو حق لنا أن نلخص الدور الرئيس للمدير في جملة بليغة لكانت: صنع القرارات واتخاذها. والمديرون في صنع القرارات أصناف، وأسوؤها ذلكم الصنف الذي يتجاهل الطريقة العلمية ويعتمد على شخصيته في صنع القرار واتخاذه. التحدي هنا أن للعواطف في شخصية المرأة حجماً كبيراً، وهو متطلب بلا مناقشة لدورها الرئيس؛ إلا أن عدم اكتراث المديرات بأثر العواطف في القرار الإداري سبب كافٍ لخروج قرارات وتصرفات يعوزها النضج ويلازمها الفشل.

إن فيْ جعبة حواء ودهاليز الإدارة - بعد توفيق الله - ما ييسر التعامل مع هذه التحديات، ويجعلنا نستشرف أعمالاً إسلامية نسائية يفوح شذى جودة التنظيم منها، وتعبق بإدارة حديثة ناضجة.

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.

هُيام بالغرب يُعمي ويُصِم

أ.د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

قبل أيام أرسل إليَّ أحد الإخوان بالبريد الإلكتروني مقالاً لم أرَ مثله مصوراً لحال المتيَّمين بحبِّ الغرب حبّاً يُعمي ويصم، لذلك رأيت أن أجعل التعليق على بعض ما جاء فيه موضوعاً لمقالي هذا الشهر؛ لما قد جمع فيه صاحبه - وبكثير من الجُرْأة والاعتداد والتعالم - جملة مما تفرّق في كتابات أمثاله من الحُجج الواهية والدعايات الكاذبة والعبارات المتناقضة التي تُساق للترويج لحضارة الغرب وثقافته، والتنقّص من كل ما هو عربي أو إسلامي. الهدف الواضح من مقاله - وهو مقال في ظاهره عن الحوار - أن نعترف بأن الآخر - ويعني به الغرب - خير منا في كل شيء، فعلينا أن لا ننتقده أو نعترض عليه أو نحاربه، بل علينا أن نخضع له ونستسلم. وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية المرذولة فإنه يحشد جملة من الحُجج الواهية والأفكار المتناقضة ما لو قرأه مثقف غربي لسخر منه وأنهضه دليلاً على انحطاط الفكر العربي.



١ - بدأ صاحبنا المفتون هذا مقالَه بالحوار مع الآخر بمبادئ وشروط ما أنزل الله بها من سلطان، منها: أن الهدف من الحوار هو تفهّم المواقف وليس تغيير المواقف.

أقول:

مع أن الحقيقة هي أن فهم موقف الآخر شرط سابق للحوار معه؛ لأنني إذا لم أكن على علم بموقفه ففيْمَ أحاوره؟ وفهم موقف الآخر لا يحتاج إلى حوار بل قد يكون في صيغة سؤال وجواب، فإذا عرفت موقفه فإما أن ترضى عنه فلا يكون بينك وبينه حوار لأنك صرت مثله وفي مكانه، أو تخالفه وتطمع في أن تغيِّر موقفه فيكون هنالك داعٍ لحوارك معه.

٢ - ثم يحذرنا بقوله:

من لديه قناعة تامة بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة لا يمكنه الدخول في حوار مثمر مع أي طرف آخر؛ لأن الطرف الآخر - أيضاً - له مواقفه التي تخدم مصالحه وقناعاته التي تتماشى مع طريقته في التفكير.

والله إنني لأعجب كيف يفكر هذا الرجل! ما الذي يمنع

مدّعي الحقيقة المطلقة (إن كان في الوجود شخص كهذا) من الحوار المثمر مع غيره؟! لماذا لا يكون هدفه إقناع كل من خالفه في أيِّ شيء كان أنه جاهل وأن مخالفته له مخالفة للحقيقة المطلقة؟!

يعلّل الكاتب عدم الإمكان هذا بقوله: «لأن الطرف الآخر ...» إذا كان هذا هو السبب الذي يمنعه من الحوار مع مدّعي الحقيقة المطلقة فليمنعه من الحوار مع أيِّ أحد كان؛ سواء ادّعى ملكية الحقيقة المطلقة أم لم يدّعها.

ثم ما المقصود بملكية الحقيقة المطلقة وهي عبارةٌ كثيراً ما أراها تُردّد في نقد الإسلاميين؟ أيقصد بها الادّعاء بالعلم المحيط بكل شيء؟ لكن المسلم العارف بدينه هو أبعد الناس عن مثل هذا الادّعاء؛ لأنه يعتقد أن الله - تعالى - هو وحده الذي أحاط بكل شيء علماً، ولأن ربّه قد بيّن له أن الناس لم يُؤتوا من العلم إلا قليلاً. وأما إذا كان المقصود بها العلم اليقيني ببعض الحقائق؛ فهذا أمر مشترك بين الناس جميعاً، إذ ما منهم إلا وهو على علم يقيني ببعض الحقائق، وإن اختلفوا في نوع ما هم موقنون به.

٣ - ويحذرنا - أيضاً - بقوله:

الذهنية التي ترى أن قناعاتها فقط هي الصحيحة وما خالفها من القناعات خاطئة هي أقرب إلى الذهنية البدائية التي تؤمن بالمطلق وترفض التعددية.

القول:

إذاً؛ ذهنيتك أيها الكاتب هي من هذا النوع البدائي؛ لأن مقالك كله في تخطئة مخالفيك ودعوتهم إلى الأخذ برأيك. وهل الإيمان بالمطلق قاصر على أصحاب الذهنية البدائية؟ إذاً؛ فإن عدداً من مفكّري (العالم المتحضّر) هم من هذا النوع. والتعددية لا توضع في مقابل المطلق إلا إذا كان المؤمنون بها يعتقدون أن كل ما يرونه هو حقيقة مطلقة، وما أظن أن في الوجود أناساً كهؤلاء، ولا سيما أناساً يؤمنون بمبدأ الاجتهاد وتعرّض المجتهد فيه للخطأ والصواب.

٤ - ويؤكد لنا شيئاً هو من أبطل الباطل فيقول:

لقد أدرك العالم المتحضّر بعد صراع طويل مع المطلق أن كل شيء مرهون بزمانه ومكانه وظروفه التاريخية والبيئية، وأن الأمور في نهاية المطاف كلها نسبية، من النسبية الرياضية التي نادى بها (أينشتاين) إلى النسبية الثقافية التي نادى بها (الأنثروبولوجيون).

القول:

أولاً: إذا كنت ممن يرون رأي العالم المتحضّر هذا فكان عليك أن لا تكتب شيئاً ولا تناقش أحداً، بل تقول لنفسك: إن كل من خالفني في رأي أو موقف، بل كل من شتمني، فإنه إنما يقول ما أملاه عليه زمانه ومكانه، ولو كنت أنا في زمانه ومكانه لقلت ما قال ورأيت ما رأى.

ثانياً: إن القول بالنسبية ليس شيئاً جديداً على الفكر الغربي، ولم يأت بعد أيِّ نوع من الصراع مع المطلق، وإنما هو شيء قديم، ويقولون أن أول من عُرف بالقول به السوفسطائي اليوناني (بروتاجوراس) في عبارة له مشهورة: «الإنسان معيار كل شيء».

ثالثاً: ينسب الكاتب القول بنسبية الحقائق إلى العالم المتحضر، فكأن الناس في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول (العالم المتحضر) قد أجمعوا كلهم على هذا الرأي، أو كأنه قد أصبح الرأي الغالب عندهم، هذا مع أن القول بنسبية الحقيقة إنما هو قول لقلّة من الفلاسفة، أما جماهير الناس عندهم - كما الناس في كل بلاد الله - فلا تقول بها، خذْ مثلاً على ذلك: تقول الإحصاءات الغربية: إن معظم الناس عندهم يؤمنون بوجود الخالق، فهل تراهم يؤمنون بأن وجوده حقيقة نسبية تصح في مكان دون مكان وفي زمان دون زمان؟ والقلّة الملحدة منهم هل تقول: إن عدم وجوده أمر نسبي يصح في مكان دون مكان وزمان دون زمان؟ والنصارى المؤمنون بأن المسيح ابن الله، هل يعتقدون أن هذه حقيقة نسبية؟ وعلماء الطبيعة هل يقولون: إن كل ما اكتشف من حقائق الطبيعة هو أمر نسبي، وأنه سيأتي زمان يصح فيه القول بأن الأرض ليست كروية، وأنها أكبر حجماً من الشمس، وأنها ثابتة لا تدور؟

القول بالنسبية ليس - إذاً - أمراً مجمعاً عليه بين الغربيين، بل ولا هو رأي أغلبيتهم، بل إن القائلين بها يختلفون في معناها ومداها اختلافاً كبيراً، ولعل من غلاة القائلين بها الفيلسوف الأمريكي المعاصر (رورتي) الذي ذهب إلى حدِّ القول بأن كلام العلماء الطبيعيين عن الواقع هو وجهة نظرٍ شأنها في ذلك شأن كلام الشعراء!

رابعاً: الدعوة إلى النسبية دعوة تحمل نقضها في أحشائها؛ لأنك إذا قلت: إن الحقيقة نسبية، فإن هذا يصدق على كلامك هذا فهو - أيضاً - نسبي، أي: إن القول بأن الحقيقة نسبية هو نفسه حقيقة نسبية.

خامساً: ولذلك فإنه يتعذر على القائلين بها أن يلتزموا بنتائجها فيما يقولون، بل إنهم يفترضون كما يفترض كاتبنا هذا أن قاعدة كل شيء نسبي لا تنطبق على ما يقول هو أو يراه.



سادساً: نسبية (أينشتاين) (لست أدري لماذا وصفها الكاتب بالرياضية مع أنها فيزيائية) وإن رأى فيها بعض عوام المثقفين في الغرب ما رأى الكاتب إلا أن كبار علمائهم وفلاسفتهم يقولون: إنه لا علاقة لها بالقول بنسبية الحقائق أو القيم إلا لفظ النسبية، ولذلك قال بعضهم: إن تسميتها بالنسبية لم تكن تسمية موفقة، وأنها لو سميت بالمطلقية لكان اسماً أقرب إلى حقيقتها. وملخص دليلهم على ذلك أنها نظرية تستند إلى حقيقتين تجريبيتين ليستا بنسبيتين، هما: عدم تغير القوانين الفيزيائة، وثبات سرعة الضوء مهما كان حال المراقب.

سابعاً: نعم؛ إن من علماء الأنثروبولوجيا من قال بهذا، لكنَّ كثيرين منهم ردّوا على زملائهم، بل إن منهم من أثبت أن هنالك قيماً مشتركة بين كل الثقافات بغضِّ النظر عن أزمانها وأماكنها، واستنتجوا من هذا أن في الثقافة ما هو إنساني يكون مع الإنسان حيث كان.

٥ ـ يقول الكاتب:

أضف إلى ذلك نظرية التطور التي تقول: إن التغير سنّة من سنن الكون الذي لا يمكن الوقوف في وجهه.

أقول:

أضيفُ ماذا إلى ماذا؟ أأضيف القول بأن هنالك سنّة ثابتة لا يمكن الوقوف في وجهها إلى القول بأن كل شيء مرهون بزمانه ومكانه؟ ماذا يتحصل عندي إذاً؟ هذا نوع من إلقاء الأقوال على عواهنها من غير تصوّر لحقائقها أو للعلاقات بينها.

٦ ـ بعد هذه العمومات الباطلة يصل الكاتب إلى بيت قصيده ليقول لنا: إنه لا جدوى من حواركم مع الغرب؛ لأنكم تريدون منه شيئاً لا يمكن أن يفعله؛ لأن من يعيش في مجتمع يحكمه القانون وتسوده العدالة وتتحقق فيه كرامة الفرد وحقوق الإنسان وحرية التعبير والتفكير لا يمكن أن يتراجع عن كل هذه المكتسبات ويعود القهقرى لينفض الغبار عن قناعات خَبرَها وكافح ليتخلّى عنها ويودّعها إلى غير رجعة.

لكن الواقع وأنفُ أمثال هؤلاء راغم أن كثيراً من الغربيين يحاوروننا ويقرؤون كتاب ربنا فيدخلون في دين الله أفواجاً، حتى إن إحصاءاتهم تقول: إن الإسلام أكثر الأديان (أقول وسائر الأيدلوجيات) سرعةً في الانتشار حتى في عواصم الدول الغربية. إنهم يقبلون عليه مثل هذا الإقبال لأنهم لا يرون فيه ما يرى المرتدون عنه دعوة إلى التخلّي عن خير مادي أو معنوي توصلّوا إليه، وإنما يرون فيه خير هادٍ لهم إلى معرفة ربهم والسعادة بعبادته واتّباع شرعه، بعد أن دلّتهم خبرتهم على أنه ليس بالتقدُّم المادي وحده يسعد الإنسان.

٧ ـ لكن أمثال هذا الكاتب يرددون أباطيل قال بها منكرو الرسالات النبوية قبلهم. فإذا كان كاتبنا يقول:

إننا بينما نسمح لأنفسنا أن نستمتع وبشراهة منقطعة النظير بكل ما تنتجه مصانعه من أجهزة ومعدات فإننا في الوقت نفسه نرفض وننكر ما يقف وراء هذه المنجزات التقنية من علم وفكر.. بدلاً من تعمير هذا الكون الذي هو أعظم مسؤولية ألقاها الخالق على عاتق الإنسان وأعظم كرامة كرّمه الله بها.

فإنه إنما يردد من حيث لا يشعر حجة لجأ إليها الكفار في إنكارهم للرسالة المحمدية: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٣ ـ ٧٤].

وكاتبنا هذا وأمثاله يرون في تفوّق الغرب المادي وتعميره الأرض دليلاً على تفوّق معتقداته وقيمه وأفكاره.

بماذا ينصحنا الكاتب إذاً؟ أن لا نكتفي بشراء بضائعهم بل نشتري معها شرْكهم وإلحادهم وتدهور خُلقهم وظلمهم للشعوب واحتلالهم لها وفرض ثقافتهم وقيمهم الفاسدة عليها؟! إنه مما لا ريب فيه أن التقدّم المادي الذي نشاهده في الغرب بُني على حقائق من العلوم الطبيعية، وأننا قصرنا في هذا الجانب تقصيراً كبيراً كان سبباً في إذلالنا، لكننا نعلم أنه تقصير مهما كانت أسبابه فلا علاقة له بديننا الذي كنا بسببه أئمة العالم في مجال هذه العلوم، وأنه ليس منا الآن من يرفض الحقائق الرياضية أو التجريبية، لكننا نعلم أنه ليس في معرفة هذه العلوم والاستفادة منها في المنجزات المادية ما ينهض وحده دليلاً على صحة معتقدات العالمين بها، أو حسن خُلقهم، أو صواب فكرهم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. لو كان هذا صحيحاً لكانت عقائد بناة الأهرامات صحيحة، ولكانت الكنفوشية والشيوعية التي تدين بها الصين صحيحة، ولكانت البوذية والهندوسية أيضاً صحيحة؛ لأن أصحاب كل هذه المعتقدات هم الآن متقدّمون في مجال المنجزات المادية تقدّماً يذهل له الغرب ويخشاه أشدّ خشية، لكن صاحبنا وأمثاله يريدون لنا أن نضيف إلى تخلّفنا المادي تخلّفاً روحياً فنخسر الدنيا والآخرة.

أما تعمير الكون فما هو والله بأعظم مسؤولية ولا أعظم كرامة كرّم الله بها الإنسان. أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ لو كان هذا صحيحاً لكان ساكنو القصور العالية وراكبو



السيارات الفارهة ومرتدو الملابس الفاخرة في أوروبا وأمريكا أقربَ إلى الله من عباده الذاكرين له وهم محبوسون معذَّبون في سجون (غوانتنامو). إن عمارة الأرض ليست غاية في ذاتها لكنها وسيلة إلى خير أو شر. إن الخالق العظيم هو الذي قال:

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ٩ – ١٠].

٨ ـ ينصحنا الكاتب قائلاً:

ولا ننسَ أن الآخر مؤهل للحوار معنا أكثر مما نحن مؤهلون للحوار معه. لماذا؟ لأننا لا نعرف عنه شيئاً بينما هو يعرف عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا. علينا أن نعترف أن اكتشافنا لكنوز حضارتنا جاء عن طريق مدارس الاستشراق التي نبّهتنا لهذه الكنوز ونحن عنها غافلون.

أصحيح هذا؟ ألم أقل لكم: إن الرجل في حالة من الهيام الذي يعمي ويصم؟ أصحيح أننا لا نعرف عن الغرب شيئاً، نحن الذين تتكلم الآلاف منا لغات الغرب وتقرأ كتبه وصحفه وتستمع إلى إذاعاته وتتعلم في جامعاته وتزور بلاده وتساكنه فيها، بينما الذين يعرفون شيئاً من لغاتنا وثقافتنا وتاريخنا إنما هم أهل الاختصاص منهم؟

نبّهنا المستشرقون إلى كنوز لنا؟ الحمد لله، فنحن ـ إذاً ـ أمة لها كنوز يعترف بقيمتها حتى عدد من أبناء العالم المتحضر. وإذا كنا نشكر أولئك المستشرقين على اكتشاف شيء من كنوزنا فإننا نحمد الله أن جعل لنا فضل السبق إلى دين هدتهم تلك الكنوز إليه فآمن كثيرون منهم، بل يقال: آمن أكثرهم به بعد أن كانوا تائهين في ظلمات الشرك والأديان الباطلة. لقد أعطيناهم ـ إذاً ـ أحسن مما أعطونا ولله الحمد والمنّة.

٩ ـ يقول كاذباً:

... بينما نحرّم نحن على من يقيم منهم بين ظهرانينا أن يحتفل بمناسباته الدينية في بيته خلف الجدران والأبواب المغلقة.

لولا أن الكاتب يقول إنه من موريتانيا لقلت: هذا رجل لا يعيش في العالم العربي. كيف يجرؤ إنسان فيه مسكة من عقل على مثل هذا القول بينما كنائس النصارى بالنسبة لأعدادهم في بلادنا أكبر من نسبة المساجد في بلادهم بالنسبة لأعداد المسلمين فيها؟ كيف يقال هذا والنصارى يحتفلون بأعيادهم في بعض البلاد العربية حتى على شاشات القنوات الرسمية؟

١٠ ـ يقول آسفاً:

وها نحن نلعنهم في صلواتنا ونفرٌ منا يمتشقون السيوف والعبوات الناسفة ليجبروا الناس على الدخول في حظيرة الدِّين بينما هم يبنون المستشفيات ويقدمون المساعدات الإنسانية ويصلون للمنكوبين.

يا للعجب! أيقال مثل هذا الكلام عن الغرب الذي احتلَّ واسترق وانتهك الحرمات؟! أيقال هذا والأخبار تترى عن استمرار قوات الناتو في قصف القرى الأفغانية قصفاً لا يفرق بين محارب ومسالم، وصغير وكبير ورجل وامرأة؟! أيقال مثل هذا عن الغرب وقواته مستمرة في عدوانها على شعب العراق، وإسرائيل تدمّر البلاد وتقتل الأبرياء في فلسطين بمباركة منه؟! أيقال هذا في زمان (أبو غريب وغوانتنامو)؟! ولكن لا عجب فإن التَّتيّم يعمي ويصم.

ثم إن الذين امتشقوا السيوف صرحوا بأنهم لم يمتشقوها لدعوة إنسان إلى الإسلام، وإنما فعلوا ما فعلوا بدعوى الانتقام لإخوانهم الذين عانوا من ظلم أمريكا في فلسطين. كيف يكون قصدهم أن يجبروا على الدخول في الإسلام من هم عازمون على قتله؟ أيسلم بعد أن تفارق روحه جسده؟!

١١ ـ واستمع إلى ما يقوله عن التبشير النصراني:

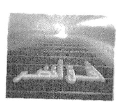
لا يمكننا فصل الدين عن الحضارة، فالمجتمعات المتحضرة تمارس دينها، أيّاً كان ذلك الدين، وتدعو إليه وفق أساليب متحضرة، وتقدّمه كخيار حرٍّ لمن يجد فيه ما يروي ظمأ الروح ويقود إلى طمأنينة النفس ويلبِّي حاجة الوجدان ونوازع الضمير.

قارن هذه الصورة الخيالية الدعائية بالواقع الذي يرويه لنا أصحاب تلك الدول المتحضّرة. فهذا (هنتجتون) يقول ـ كما نقلت عنه في مقال سابق ـ: إن الثقافة الغربية فُرضت على الناس باستعمال العنف، وهؤلاء أئمة النصارى في أمريكا يتحدثون عن أطهر رجل عرفته البشرية بكلام بذيء لا يقال حتى عن عامة المفسدين، وهذا أحدهم يحث حكومته على دكِّ الخرطوم بالطائرات، وذاك وذاك. لكن ماذا يجدي بيان الحقائق لقوم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون؟

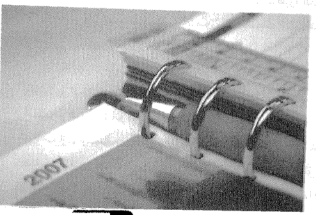
١٢ ـ يقول الكاتب في نهاية هذره هذا مادحاً نفسه:

هذا الحديث عن الحوار مع الآخر ليس مجرد شطحات نظرية فأنا لا أتحدث من فراغ وإنما... ليت الحديث كان شطحات نظرية إذاً فلربما كان أقل سوءاً.





قــرن الإســلام



د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar

هل يمكن أن يكون القــرن الخامس عــشر الهـجري هو قــرن الإسلام؟ وهل هناك دلائـل تشير إلى إمكانيــة هذا؟ وما السـبيل إليه؟ هذه أسئلة أطرحهـا على نفسي وعلى الإخوة القراء، لعلنا نعثر على أجوبة مقنعة لها.

لا يخفى أن الإسلام ـ ومعه المسلمين طبعاً ـ يتعرض لهجمة عالميــة منظمة وواسعة، وقـد اشتدت هذه الهجـمة في السنوات الأخيرة على ما هو مشاهَد، فهل هذا دليل على أن الإسلام يقترب من أن يكون القوة الكبرى التي تغير مـلامح الثقافات العـالمية، وتخلخل المعادلات والموازين الموجودة؟ أظن ذلك، وقد صدق من قال: إذا رأيت الناس يرمونك من الخلف بالحـجارة، فـاعلم أنك في المقدمة. نـحن نمـلك ملايــين الشـباب بل عشـرات الملايين المتطلعين إلى عـمل شيء ينهض بالأمة، ويُعلي من شـأن الدين، لكن قد يكون كثـير منهم غير عارف بالوسـيلة أو الطريقة التي يمكنه اتّباعها من أجل تحقيق ذلك. فـهل نستطيع مساعدتهم في هذا الشأن؟

من المهم أن نكون علــى وعي بأننا لا نسـتطيع إعـزاز الدين من غــير إعــزاز أهله، كـما أنـنا لا نستطيع بـناء أمة أقوى من مجمـوع أفرادها، ولـهذا فإن طمـوحنا إلى أن يكون هذا القرن هو قرن الإسلام يـتطلب أن تقوم أعداد جيـدة من الشبــاب المسلم (لا تقل نسبـتهم عن ٥٪ من مـجموع الأمـة) بإدخال تـحـسينات جوهرية على حـياتها الشـخصيــة وأنشطتها العــامة، وذلك من خلال القيام بالأعمال المتميـزة وتقديم النماذج الفذة. إن التحدي الذي يواجهنا على هذا الصـعيد يتمثـل في أن يحاول كل واحد من أهل الغيرة على مستقبل هذا الدين وهذه الأمة؛ القيامَ بعمل يرفع سوية الأخلاق والسلوكات والعلاقات السائدة في حياتنا العامة، وقد ورد في عدد من الأحاديث الصحيحة ما يومئ إلى أهمية شيوع الإنجازات الراقيــة، فمثلاً في حديث الثلاثة الذين ألجاهـم المطر إلى غار؛ حثٌ واضح على ذلك، حـيث توسّل كل واحد منهم بعمل فذٍّ وعظيم عمله في يوم من الأيام؛ كي تنزاح الصـخـرة عن باب الغــار ويـتمـكـنوا من الخـروج، على مــا هو مـعروف ومـشـهور من أمـرهم. وفي حـديث الرجل الذي سـقـى الكلب بخفه، وحديث الرجل الذي كـان يتجاوز عن المعسرين من عملائه وزبائنه، وحديث السبعة الذين يظلهم الله ـ تعالى ـ في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، وأحاديث كـثيرة من هذا القبـيل، أقول: في كل هذه الأحاديث إشـادة واضحة ببـعض الأعمال المتميـزة. واللافت فـيــهـا أن العـمل أو الموقف الذي نـال الثناء والجـزاء الحسن قـد يكون كبيراً في حـجمـه ونفعه وآثاره، وقـد يكون كبيــراً في دلالاته وإشاراته ولوازمه، وعلى سـبيـل المثـال فـإن ما يسديه (الإمـام العـادل) للأمة من نفع وما يبـذله له من جهد يعد شيـئـاً هائلاً بكل المقاييس. أمـا التمـيز الكبـير في دلالاته، وليس في حجمه، فإنه مـثل ذلك الذي ذكر الله ـ تعالى ـ خالياً ففاضـت عيناه، حيث إن بكاءه يعبـر عن حالة شعورية راقـية، قوامها الإحـساس بمعية الله ـ تعالى ـ وقـربه وحبه والـخوف منه والشـوق إليـه، وهذه المعـاني حين ترد على قلب، فـإنـهـا كـثـيـراً مـا تدل على بعـد صـاحبـه عن المعـاصي وإكثـاره من الطاعات. ويشـبه هذا في عظم الدلالة مـا فعله ذلك الرجل الذي دعته امـرأة ذات حسن وجمال وحَـسَب ليقترب منهـا في حرام، فاستـعصم، وأعلن أن خوفه من الله ـ تعـالى ـ يمنعه من ذلك، كما يشـبهه في الدلالة ما فعله الذي نزع خـفه وسقى به الكلب اللاهث من الظمأ...

نحن اليـوم نسـتطيع أن نثـري الأمـة بالأعـمـال الكبـيـرة بحجمها، والكبيرة بدلالتها وإشاراتها من خلال المبادرات الفردية والشخصية. لدينا نخبة مثقـفة ملتزمة واسعة اليوم، ومتـزايدة ـ بحمد الله ـ، ويسـتطيع كثير من أفرادها أن يتخـيل أن حياته عبــارة عن مشـروع أنشاته أمـة الإسلام، واسـتـثـمرت فـيه، ثم أوكلته إليه ليديره، ويتابعه، ويبذل فيه من ماله ووقته وجهده، وقـد قبل هذه الوكـالة، وشـرع يحـاول فـي جعل ذلك المشــروع ناجحاً ومثـمراً، بل يحـاول أن يجعل منه مشـروعاً نموذجياً بين المشروعات المنـاظرة، كما فعل عشـرات الألوف من أبطال الأمة: مجـاهديها، وعلمائها، ودعــاتها، وقاداتـهـا، وتُجارها، ومعلميـهـا وإدارييـهـا... هذا التـخـيل وهذا القـبول لجـعل الذات مـشروعـاً عظيماً، يتطلب التفكير والتخطيط والـعـزيمة الصارمة والرؤية الواضـحة، كما يتطلب التفاؤل والـثقة بالله ـ تعالى ـ ومعونته والاحـتـسـاب لديه والاسـتـقـامـة على أمـره؛ وهذه كلهـا ممكنة وقريبة التناول حين نتخيل النتائج العظيمة لمثل هذا التوجه.

وتسـتطيع شـريحة واسـعــة جداً من أبنـاء الأمة أن تقـوم بأعمال صغيرة ذات دلالة كبيرة، وأنا هنا أود أن أشير إلى فكرة مهـمة، هي أن الأمة الفقـيرة ليست تلك التي لا تملك الكثـير من المال؛ لكنها الأمـة التي يـتلفت صغـارهـا وكـبـارها فـلا يـرون إلا رجـالاً من الدرجة الرابعـة، ولا يجدون نماذج رفـيعـة حيـة يقتـدون بها، ويقبسـون من روحها وسلوكـها ما يشكل قسـمات حياتهم. ونحن نسـتطيع معالجة هذه المسـالة جزئياً عن طريق القيام بالأعـمال الصغيرة ذات الدلالة الكبيرة، إننا نريد من كل واحد منا أن يفكر: هـل يمكن أن يقدم نموذجاً في الحـفاظ على الوقت، أو الفهم في الـقراءة، أو الحرص على صـلاة الجمـاعـة، أو في الصـدق، أو التواضع، أو خـدمة الإخوان، أو بر الوالدين، أو الـغـيْرة على حـرمـات الله ـ تعـالى ـ، أو نصح المسلمين..؟ وحين يتمكن (٥٪) مـنّا تَمَثُّلَ هذه الفكرة وتطبـيقهـا، ثم نشرها والدعوة إليها؛ فإنني أعتقد جازماً أن وجه العالم سيتغير تغيراً واضحاً، وبذلك نكون قد عملنا عملاً كبيراً جداً على صعيد جعلِ هذه القرن قرن الإسلام، هذا هو التحدي؛ فأين الذين يقبلونه؟



شيمـــاء

نور الجندلي

بيتٌ تتصدّع جدرانه، قلبهُ يتوقّف! قذيفةٌ تحيلهُ أطلالاً، تحطّم بقايا الذكريات، وتخنقُ بسماتٍ شاحبة سكنت، واستحالت بعدها إلى قهقهة أشباح.

يحلم فيُغادرُ مسرعاً، فقد أعلنت حالةُ الطوارئ فجاة، وغادرت نساءُ الفلّوجة على عجل... وبقيت شيماء.

الليلُ يطوفُ بوشاح الحزن، يعدُّ الضحايا من الطرفين، ويبتسمُ بسخريةٍ مرّة، وتكبّر النّجمات.

ـ كُنّا الأقوى. كما خمّنّا!

تنتزعُ قلبها الباكي من تحت الركام، وتسير على أنقاض النصر الحزين، لتبحث في برد العالم عن ملجأ، قطعة خبزٍ، حفنة جمر، ويد تكفكفُ دمعها.

ليلُ النّكبات طويلٌ، يفزعها فيه عواءُ الذّئاب البربريّة، تتخفّى في هيئة شبحٍ ذكوريّ، لتحمي أنوثتها من لسعاتِ عقارب المدن، أو من نظرات خفّافيشها المتعطّشة إلى دماء.

تقطعُ مع الليل مسافات طويلة، تقتاتُ الهمّ كلما لمحت خيال طير، أو سمعت مواء هرّة.

كم كانت تطربُ لصوتها في ذلك البيت الذي... كان لها!

قططُ الجبنِ اعتادت أن تسكن طيّات ملابسها.

أما الآن فإنّها أحوجُ من هرّة إلى كسرة خبز جافّة، تذكرها بأنّها ما زالت من الأحياء، هاربة من جحيم الموت، ومنْ جنون البشر.

شلاّل الدّماء أهداها منهُ رذاذاً، فتنفّست رائحتهُ مع الفجر وقد وقفت تدعو أن تهتدي إلى مأوى.

لمحت حيّة رقطاء تعود إلى جحرها، لم تقوَ إلا على حسد.

ـ ليتني كنتُ حيّة لأختفي في وكري، ليتني استطعتُ أن ألتفّ على أعناق طائراتهم كي تسقط صريعة!

أو ألدغهم بكلّ ما بثّوا في داخلي من سمٍّ، وبكلّ ما جرّعوني من أسى!

ليتني... ليتني!

تغرقُ في بكاء مُرٍّ، ثمّ تنصبُ عصا الترحال وتمضي.

المدينةُ تبدو ميتةً؛ بلا أضواء، بلا حياة.

لقد نام الجميع وأعينهم مفتوحة، على إثر زلزال أمريكي الهوية.

حتى التسوّلُ قد غفا لحظة في أعينٍ بائسة يئنُّ من وطأة جوعٍ وفاقة.

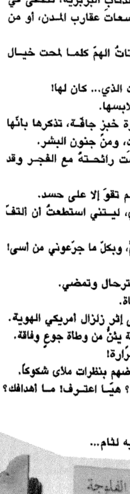
تناديها مئذنةٌ قريبة، تبتسم أخيراً بمرارة!

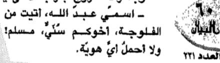
تهرولُ مسرعةً إلى المسجد، يحدّقُ بها بعضهم بنظرات ملأى شكوكاً.

ـ من أنتَ؟ من أينَ أتيتَ؟ ما اسمكَ؟ هيّا اعترف! ما أهدافك؟ سُنّيٌ أم شيعيّ؟

لا تدخل قبل أن تبرز سلاحك!

وبصوت ممزوجٍ بتراب الأسى يخفيه لثام...





ـ اسمي عبدُ الله، أتيت من الفلوجة، أخوكم سُنّيٌّ، مسلم! ولا أحملُ أيّ هويّة.

تتلاشى النّظرات المُتّهمة.

ـ أهلا بالبطل، تعالَ واسترح، وتوضأ وصلِّ، وخذ بعضَ الزاد ولا تُطلْ! المعركةُ ستحتدمُ قريباً، والمسجدُ لن يسلم من حقد، وما نراكَ إلا هارباً من بؤس إلى بؤس.

على السّجادة الطّاهرة تغفو أخيراً، لتفزعها أصوات الرّصاص...

تهبُّ مدافعةً بلا سلاح!

أخبروني ماذا أفعل؟ كيف أُعين؟

بلهفة تسأل:

بلا سلاحٍ أنا، بلا قلب أصبحتُ، فبِمَ أقاوم؟

يعطيها مسدّساً وبضعَ طلقات...

ـ اذهب إلى الجهة الشرقية، وقاوم هناك.

تركضُ مسرعةً، تبتعد، تقفُ برهةً لتلتقط أنفاس الدّخان...

ينكشفُ لثامها عن أنوثة، وتجلس لا تدري أن الصيّاد يراقبُ من خلف الشجرة.

يبحثُ عن غنيمة... نساء يريد... فقط نساء!

التجارةُ عنده مربحةٌ، وجيوبهُ امتلأت دنساً ومرارةً تتقاطر من عيون الشّوارعِ السوداء التي شهدتْ اختطاف العفّة والمروءة.

جرائمُ ترتكبُ في وضح الحقيقة، على مرأى من ملأ ماتت فيهم الروح، بعد أن سادت الحرب فأحرقت كلّ مكان.

تُدركُ بلمحة عينٍ مغزاه.

باعد بين الحركتين

يقتربُ وفرحٌ آثمٌ يغمرهُ.

ـ ما اسمك؟

وبعزّة:

ـ اسمي شيماء.

ـ من أين أتيت؟

ـ من الفلوجة.

ـ لا بدّ وأنك بلا مأوى، تعالي... سأضمّك إلى بعض الصديقات!

ـ لا حاجةَ لي بكَ، فاغرب عن وجهي أيها النجس.

بنتُ الفلوجة ترفعُ سلاحاً، تصوّبهُ بلا رحمة! يبتسمُ ساخراً من اضطراب اليدين، وتطلقها رصاصة ألم، تحمّلها مرارة البداية، وألم النهاية.

كانوا هناكَ خلف الجدران يراقبونَ ويسمعون.

سمعوا الطلقة فأسرعوا نحوها مسلّحين، حاقدين

توحّدت مع الهواء فطارت كورقة خريفيّة...

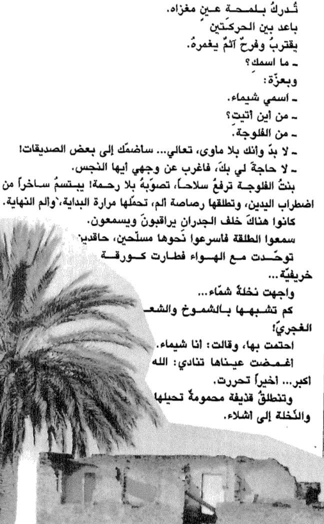
واجهت نخلةً شمّاء...

كم تشبهها بالشموخ والشعـ
الغجريّ!

احتمت بها، وقالت: أنا شيماء.

أغمضت عيناها تنادي: الله أكبر... أخيراً تحررت.

وتنطلقُ قذيفة محمومةٌ تحيلها والنّخلة إلى أشلاء.





المسلمون والعالم

العراق: الضرورات التي تبيح المحظورات

ربيع الحافظ(*)
alhafidh@hotmail.com

للوطن على المواطن حقوق تقتضي الذود عنها، ومفاهيم ينبغي الوقوف عندها، ومحظورات لا ينبغي تجاوزها، ولكن يبقى لكل محظور ضرورات تبيحه.

لنتوقف أمام مكونات الصورة التالية القائمة في العراق، ثم نستأنف الموضوع:

احتلال أجنبي/ تحالف بين الاحتلال والطوابير الطائفية المحلية/ حكومة تتشكل من ميليشيات الطوابير/ تهميش الكتلة السياسية الكبرى وهم العرب السنة (٤٢٪ حسب الانتخابات)/ حرب أهلية غير متكافئة/ محاصرة الدولة للمدن السنية/ فِرَق موت بإشراف وزارة الداخلية/ تطهير عرقي وطائفي تحت عيون الدولة/ انتخابات مزورة/ دستور يقنن تقسيم البلاد/ رفض العَلَم العراقي/ فدرالية إقليمية تتجاوز العاصمة/ اتفاقيات لصالح الشركات «المفضلة»/ تصفية علماء السُّنَّة ونخبهم وعسكرييهم/ مصادرة المساجد وقتل الأئمة والمصلين/ خطف النساء/ حملات إعلامية وثقافية واقتصادية بتمويل إيراني/ انتشار المخابرات الإيرانية في المدن/ هيمنة إيرانية على الحوزة الشيعية العربية/ شيوع اللغة والعملة الفارسية في المدن الجنوبية/ زخم شعوبي لشيعة عراقيين من أصول هندية وفارسية/ دور إيراني مستقبلي في العراق/ إغلاق المناطق الكردية في وجه العرب/ إيقاف تدريس اللغة العربية في المناطق الكردية... والقائمة تطول.

السؤال: كم أبقت هذه الصورة من معاني الوطن والمواطنة؟ وماذا بمقدور السياسي فعله في مناخ كهذا المناخ؟

صادفت أحد الأصدقاء، وهو كاتب ومحلل سياسي، فسألته عن سبب احتجابه عن الكتابة، فرد بالقول: هذا زمان عندما ينطق فيه القلم تردُّ الرصاصةُ، ومقارعة الحجة بالحجة فيه وسيلة لا توصل إلى غاية. ذكَّرني قوله بحديث آخر، وهو أن الشعوب عندما تُهَدَّد في وجودها، فإنها تبحث لا عمن يثبت مظلوميتها أمام محافل حقوق الإنسان، وإنما عمن يحقق لها الأمان على الأرض، ويتراجع في هذه الحقب الأداء الفكري لصالح «الأداء العضلي». هذه حقيقة، وهي تفسر جانباً من أسباب بقاء الشعوب العربية حقباً طويلة تحت حكم المماليك ومن بعدهم العثمانيون التي توصف بأنها حقب عسكرية.

لم تكن «الحقب العسكرية» في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية حقب عطاء ثقافي، لكنها حفظت الأنفس وصانت الدين أمام أعاصير ثقافية ومذهبية وشعوبية عصفت بشعوب الحضارة. وتكررت خلال هذه الحقب مشاهد الانتشال السياسي للعرب على أيدي الشعوب غير العربية في منظومة



(*) كاتب عراقي مقيم في بريطانيا.

الحضارة العربية الإسلامية، بل إن امتدادها هو الأطول في السلم الزمني للحضارة، وكان آخر فصولها رفض الأتراك العثمانيين بيع فلسطين، لتضيع في حقبة المسار القومي العربي الوريث.

وبلغة العصر: يمكننا أن نقول: هامش الخيارات أمام العرب السنَّة كان ضيقاً، وانحصر الاختيار بين البقاء على قيد الحياة السياسية، ولكن في مقعد خلفي، أو الاختفاء من الخريطة، فاختاروا الحياة.

عنصر آخر يضاف إلى مكونات الصورة السابقة، وهو أن سنَّة العراق المحاصرين في الداخل، لا يجدون عند «دول الطوق» العربية رغبة في إلقاء أطواق النجاة إليهم، أو مصلحة في إعادة خلط الأوراق لمصالحهم.

يبدو أن البر التركي هو الأقرب والمنظور من على متن سفينة أهل السنة المتعبة، ويذكر العالم أن هذا البر، وفي ذروة الإعداد لحرب أمريكا على العراق، وتقسيم بوش لأمم الأرض إلى فسطاطين: «معنا أو ضدنا»، وتسابق الأمم إلى فسطاط «معنا» كان قد منع نزول الجيش الأمريكي على رماله، ورفض أن يكون معبراً إلى غزو العراق، مثلما كانت مياه إيران وسماؤها التي تحولت إلى معبر للقلاع الطائرة (ب ٥٢) الأمريكية القادمة من قواعد المحيط الهندي والذاهبة لإنزال الدمار فوق العراق.

دنو السفينة المتعبة من هذه الشواطئ والرسو في مياهها يبدو أسهل مما هو عليه واقع الحال.

لندع البحر ونعود إلى اليابسة، هناك نجد أن حقبة الدولة العربية المعاصرة التي انهارت في ٩ نيسان ٢٠٠٣ كانت فاصلاً زمنياً طويلاً بين حقبتين من سجال مذهبي ذي امتدادات سياسية دولية على أرض العراق، كان قطباه الدولة العثمانية وإيران الصفوية، وكان قيام الدولة المعاصرة نهاية للحقبة الأولى وبداية لهدنة غير معلنة، وجاء سقوطها في ٩ نيسان ٢٠٠٣ استئنافاً للسجال.

ما ميز فترة الهدنة غير المعلنة هو غياب الحضور العثماني عن العراق بجميع أشكاله، وخروج العراق والعرب ـ الذين شاركوا العثمانيين نظامهم السياسي أربعة قرون من جدول أعمال الدولة التركية الوريثة، وتبني هذه الدولة للقومية الطورانية، وتخليها عن أدوار الدولة الإقليمية الكبرى، واكتفائها بشؤون الأقليات التركمانية.

على الجانب الآخر من الحدود، أوجدت أدبيات الدولة القومية جُدر فصل ثقافي شاهقة على امتداد الحدود، اعتبرت الحقبة العثمانية حقبة احتلال أجنبي، لينشأ طور من الصراع الأيديولوجي بين شركاء الأمس.

في المقابل، لم يكن على امتداد حدود العراق مع إيران موانع ثقافية بين الفرس والشيعة العرب، ولم تمر الشراكة الشيعية (الفارسية ـ العربية) التاريخية في فترة انقطاع خلال حقبة الدولة الحديثة، التي واصل الشريك الفارسي حضوره في العراق فيها بأشكاله الكاملة: البشرية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وظلت إيران على الدوام الرقم الحاضر الغائب في المعادلة الداخلية العراقية، والعمق الاستراتيجي والروحي المهيمن على الحوزة، حتى لحظة سقوط بغداد، وهو حضور طوّر الخلاف المحلي السني الشيعي، واختزل فرص الوفاق.

مما أعان على الحضور الإيراني هو حذر الأنظمة السياسية الإيرانية المتعاقبة الدائم من الزعامات العراقية العربية، السنية بشكل خاص، باعتبارهم عصب الجيش والمصدر التقليدي للانقلابات العسكرية، فكان التغاضي ـ بل تفضيل ـ العنصر الفارسي في الحوزة الشيعية العربية ومرافق أخرى في الدولة، ولم يخرج صدام نفسه عن هذه الحسابات بالكلية، حتى أثناء الحرب مع إيران، وكان أول اصطدام لحكومة البعثيين مع المؤسسة الدينية في مطلع السبعينيات ضد أهل السنة وليس الشيعة كما هو شائع وهماً.

يمكن القول: إن ٩ نيسان ٢٠٠٣ كان عودة للسجال، لكنها عودة أحادية القطب هذه المرة، وفي مناخات مختلفة من التركة الثقافية للدولة المدنية (بالنسبة لأهل السنة)، حيث لا ميليشيات للدفاع عن الذات، ولا مصادر تمويل ذاتية، ولا ثقافة سوى ثقافة المدرسة، ولا مؤسسات خدمية بموازاة مؤسسات الدولة، لذا كان أهل السنة هدفاً رخواً وصيداً سهلاً لإيران والميليشيات العاملة تحت إمرتها التي تتمتع بنظام مؤسساتي شامل وعالي الإعداد بموازاة مؤسسات الدولة، وكان ٩ نيسان بحق محطة تاريخية هامة في التقويم الصفوي، ختمت بها إيران فصلاً مهماً من سجالها الطويل مع محيط الأغلبية من حولها.

أحاديث الماضي العثماني هذه كانت، وحتى عقدين ماضيين، غزلاً على نول الماضي العربي في فردوس الأندلس الضائع، وشأناً من أدبيات المدرسة الإسلامية، التي يفترض أن عصر الدولة القومية تجاوزها. لكن التدهور الذي يعيشه النظام السياسي العربي، والتسيب السياسي الإقليمي، وانفراد العولمة



الأمريكية بدُوله، الواحدة تلو الأخرى، استفز القناعات الفكرية في الطيف السياسي العربي، ودفع هذا المفهوم باتجاه مساحات جديدة من الطيف، لم تُستثنَ منها النخب القومية التي كانت حتى الأمس القريب تفك « الوثاق التركي » عن المعصم العربي.

ليس من المبالغة القول: إن حالة من البحث عن انتماء إقليمي يعيد للمنطقة تماسكها تجتاح الطيف السياسي العربي، في مواجهة واقع التردي الإقليمي، وحجم التدمير الذي يمكن أن تلحقه قوة خارجية بالمنطقة بأسرها، كما وقع في العراق.

يقول محمد حسنين هيكل في هذا السياق: «باتت تركيا ودولة الصهاينة الدولتين الوحيدتين المؤهلتين سياسياً لتزعم المنطقة، إذا تأخر أحدهما ظفر الآخر. وبالرفض الطبيعي للمرشح الصهيوني تبقى تركيا المؤهلة لزعامة المنطقة واستئناف أدوار تاريخية في حفظ التوازن السياسي الإقليمي».

سيكون من السذاجة بمكان توقع استدارة تركية مفاجئة بمقدار ١٨٠ درجة باتجاه جوارها الجنوبي. في المقابل، فإن الـ «لا» الأوروبية الأخيرة لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، هي في تقدير الكثيرين مجرد مسألة وقت، ولن تكون الـ «لا» المنتظرة هي اللحظة التي ستشرع فيها تركيا في البحث عن بدائل جديدة، وإنما لحظة اعتماد البدائل الجاهزة التي لا بد أنها منكبة عليها منذ الآن وتهيئ لها الأوراق.

في الوقت نفسه، فإنه ليس من قبيل السباحة في الخيال توقّع أن تضع موازنات السياسة الدولية بين يدي تركيا ونسختها من «الإسلام السياسي المعتدل»، ومذهبها السني، أوراقاً مهمة في العالم العربي الإسلامي ذي الغالبية السنية الساحقة، والذي يشكل الفراغ السياسي فيه مصدر صداعات أمنية وسياسية متصاعدة للعالم الغربي.

المتابع للمشهد يلحظ مؤشرات متتالية، وتوطئة لأدوار تركية محتملة قادمة، لعل أحدثها استباق أنقرة الآخرين، وإعلانها المبكر عن رغبة في إرسال جيشها إلى الجنوب اللبناني، الذي هو منطقة نفوذ المحور الإيراني - السوري، وإعلانها مؤخراً عن أن تقسيم العراق ليس شأناً محلياً، ووساطتها في الشأن الفلسطيني، بل وتشاور الفلسطينيين معها في أكثر من مرة.

الحديث عن عودة دور إقليمي تركي في المنطقة العربية يقبل به العرب - ناهيك عن استدعائهم له - كان وحتى ٩ نيسان ٢٠٠٣ أقرب إلى استغراقات البحوث الأكاديمية منه إلى الواقع.

لكن مستجدات كبيرة أخرجت هذه الأحاديث من الأروقة الأكاديمية إلى الورشات العملية، منها:

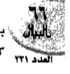
١ - إقليمية: الهزة الإقليمية العنيفة التي أحدثها احتلال العراق، في منطقة هشاشة سياسيّة، في وقت تنهمك فيه الشعوب الأخرى في عملية إعادة اصطفاف وبناء تكتلات إقليمية بإمكانها قول «لا» (كما في أمريكا اللاتينية)، هذه الهزة وجهت لكمة قاسية للأداء الأمني المحلي والإقليمي للدولة القُطرية، وقدرتها على الصمود منفردة في وجه مشروع إقليمي عبثي بحجم مشروع الشرق الأوسط الجديد.

٢ - محلية: نشوء محاور قوى بين أقليات المنطقة ودول خارجية على حساب مصالح الأغلبية السياسية التاريخية فيها، كتحالف القطاعات الشيعية الرئيسية في العراق مع إيران وأمريكا، واستقوائها على شركاء الوطن من السنّة، الذي عُدّ انسحاباً من العقد الوطني بأوضح أشكاله، وإعذاراً للطرف المعتدى عليه للانصراف نحو استراتيجيته، والبحث عن عمقه التاريخي الطبيعي وروابطه الثقافية، وهي أدوار كان السنة قد رضوا بحذفها من العقول والمناهج عند تأسيس الدولة الحديثة، لصالح صورة من التوفيق (أو الترقيع) الثقافي مع الأقليات الذي سمي (الثقافة الوطنية) وأحرقوا بذلك جسور العودة إلى عمقهم الإقليمي الطبيعي، مما أوقعهم في تناقضات فكرية لصالح مشروع ثبت لهم اليوم أنه كان قصير النظر.

(يمكن إدراج نظام الأقلية النصيرية في سورية في سياق الدور التقويضي المحلي والإقليمي، الذي فتح أبواب سورية العربية السنية على مصراعيها أمام غزو فارسي استيطاني، وحملات تشييع طائفية منظمة، في بلد لا يتجاوز الشيعة فيه نسبة ١٪، وتساهل أمام نشر اللغة الفارسية، ورهن اقتصاد البلاد وأمنها وسياستها للدولة الإيرانية، وفعَل الشيء ذاته في لبنان إبان احتلاله له. ويندرج تحته التحركات الطائفية في مصر المدعومة من إيران، التي أعلن علماء ومثقفو مصر عن تذمرهم منها وتجاوزها لحدود الاختلافات المذهبية).

نزول القطاعات الشيعية العراقية الرئيسية في «المستنقع الصفوي»، (مصطلح المفكر الإيراني علي شريعتي للتعبير عن سياسة تأليب القوى الأجنبية على الجوار عند الصفويين)، مَثَّل تدويلاً للجانب السياسي من الخلاف بين الشيعة والسنة، الذي هو أقرب إلى حالة التظلم المحلي، التي لن تستعصي على الحل في مناخ متبادل من الجدية والصدق.

مما أصبح مسلَّماً به لدى الطيف السياسي العربي من أقصاه إلى أقصاه، أمام المعطيات الآنفة الذكر، وتسارع إيقاع الأحداث، أن الجسد السياسي العربي الكسيح بحاجة إلى



عمود فقري سليم يمكّنه من النهوض، وإلى عوامل ثقة تمنح صاحبه الشجاعة وتدفعه لإجراء العملية، مثلما كانت ألمانيا العمود الفقري لمنطقة وسط وغرب أوروبا (الاتحاد الأوروبي حالياً)، وكان اقتصادها المتين هو المفهوم الإقليمي الذي أحدث أولى الثغرات في الجُدُر القومية العازلة بين شعوب أوروبا، لتتوالى الثغرات وتتسارع وتتعدد أشكالها.

ليس في المنطقة اليوم - كما مر - سوى مرشحين اثنين لزعامتها، إذا تأخر أحدهما ظفر الآخر، ولا زال العرب أمام تركة تسعة عقود من الجدر العازلة مع المرشح الطبيعي، وأمام بناء المفاهيم التي ستفتح الثغور الأولى في الجدر العازلة.

كان أروع ما أقدم عليه عقلاء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، التصميم على إيجاد تكتل سياسي بين شعوب القارة المنهكة، وإخفاء النُّدَب الثقافية والمذهبية التي تعلو وجه القارة، وتوفير أسباب الحياة للتكتل المنشود، فالتفوا على التاريخ الدامي بالاقتصاد الواعد.

ليس من المصادفات أن ينجح تكتل سياسي على فسيفساء كأوروبا، وبين شعوب لم تعرف حقبة سلام متواصل بينها أكثر من ستين عاماً. لقد أعاد الأوروبيون تعريف مفاهيمهم، وبالغوا في ذلك، واعتبروا ضرورات المصلحة العامة مسوغاً لتجاوز المحظورات، وإن اصطدمت بثوابت الديمقراطية والسيادة، وهو ما فعله الاتحاد الأوروبي عندما حاصر النمسا، بعد فوز حزبها اليميني في الانتخابات، بزعامة رئيسه ذي الذيول النازية، وإرغامه على التنحي والتواري السياسي، وحدث ما أراده الاتحاد؛ إذ لا حرية مطلقة أو شعارات شاذة للدولة أو الشعب ضمن الكتلة الإقليمية، مثلما أنه لا حرية مطلقة للفرد ضمن الوطن.

● التحالف المشبوه مع المحتلين:

يجدر في هذا السياق التذكير بأن الأحزاب الشيعية المتحالفة مع المحتل الأمريكي، كانت قد أعادت لنفسها ولجماهيرها تعريف مفاهيم الاستقلال والسيادة والمقاومة، من منظور يستقيم مع اعتباراتها التاريخية والمذهبية وحساباتها المستقبلية.

شعوبنا، وفي أجواء الهشاشة الإقليمية القائمة، بحاجة حقيقية إلى إعادة تعريف مفاهيم السيادة والاستقلال فيما بينها، على أسس من التاريخ والدين والحضارة المشتركة يحقق لها اصطفافاً جديداً، تفتح الطريق أمام عوامل تعاضد مقيدة الآن، وتمنح شعوب المنطقة شخصية جديدة ذات مدلولات واضحة.

إن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ليست مهمة مستحيلة على الدوام، فقد حُملت شعوبنا عليها (أي إعادة صياغة الشخصية) قبل مئة عام فقط، وفي الاتجاه المعاكس لـ ١٤ قرناً كاملاً من النسق التاريخي والسياسي. لم تكن مهمة منظري القومية العربية المشرفين على المشروع يومئذ نزهة فكرية، لكنهم وصلوا إلى نتائج مهمة نعاينها ونعاني منها اليوم.

فزع شعوب المنطقة من المتغيرات السياسية الجارية والقادمة هو قاسمها المشترك اليوم، وهو سر تماسك الأمم، الذي إذا لم يكن موجوداً أوجدته، وما القرن الواحد والعشرين الأمريكي، والحرب على الإرهاب، وترحيب الشعوب بإهدار أموالها لصالح الحروب، إلا ظواهر لمؤسسات قائمة على قاعدة الفزع، وإن كان زائفاً.

المساس بعقارب الساعة هو أكثر واقعية اليوم من أي وقت مضى، يؤيده في ذلك استعداد النفوس - أو شوقها - لمعرفة الاتجاه الذي كانت عليه العقارب قبل حقبة التيه هذه، وتدفع باتجاه ذلك مجريات الأحداث.

في هذا السياق لا زال أهل السنة ورغم إدراكهم الجيد لأبعاد الاحتلال، يُخضِعون مواقفهم إلى مفاهيم تجاوزتها الأحداث وأسقطها الآخرون، ويقطعون الطريق دون عمد أمام مجريات سُنَّة التدافع بين الأمم، التي تعيد التوازنات السياسية وتخدم الحاجة الراهنة، ولولاها لهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً.

من الراجح اليوم، وبعد ما يزيد عن ثلاثة أعوام من حمامات الدم الصفوية المتوقعة سلفاً، أن رفض المقاومة لدخول مبكر للجيش التركي، واعتباره احتلالاً أجنبياً يجب محاربته أسوة بالقوات الغازية قد سجل تراجعاً اليوم، إن لم يكن عند النخب؛ فعند الناس العاديين، الذين يأخذون بالاعتبار الأدوار المفصلية التي كان يمكن أن يقوم بها الجيش التركي في حماية المدن والأحياء والحرمات السنية المستباحة من الميليشيات الشيعية والإيرانية، وفي تأثيره على الموازنات السياسية التي تتصرف بها المخابرات الإيرانية، وتعطيله للمشاريع الانفصالية.

رغم الانسحابين الواضحين الشيعي والكردي من العقد الوطني، وامتداداتهما الخارجية، لا زال أهل السنة يتحركون بأوراق محلية فقط، وتثنيهم مفاهيم يكفر بها «شركاء الوطن» صباح مساء عن قرارات مصيرية.

مفاهيم أهل السنة في المقاومة والاستقلال والسيادة والهوية، أمور لا تلبيها الأوراق التي بين أيديهم. الخطورة هي



أنّ تعذُّر التلبية يعني شيئاً واحداً: تعاظم فرص المشروع الصفويّ في العراق، وإنجاز أجندته على وجهه الأكمل من دون ثلمة. (وبالمفهوم نفسه، فإن مطالب شعوب المنطقة، لا تلبيها الأوراق المتاحة لدولها كل على انفراد).

مرة أخرى: هامش الخيارات أمام أهل السنة العرب ضيق، ومستقبلهم السياسي ينتظر قرار الحسم.

ومن غير المفترض أن تستفز الاستراتيجية الإقليمية للأغلبية السياسية في المنطقة الأقلية «المنتصرة» في هذه الجولة؛ فقد كان لهذه الأقلية السبق في تفعيل «ضروراتها» التاريخية والمذهبية الخاصة بها، التي أباحت انتهاك محظورات الدين والحضارة والوطن والعروبة، لتلتقي مع ضرورات إمبراطورية مارقة اسمها أمريكا، انتهكت المحظورات الدولية وغزت دولة مستقلة، لينشأ «العراق الجديد» ومن بعده الشرق الأوسط الجديد.

نظرة سريعة إلى محطات الحضارة العربية الإسلامية، تظهر أن اقتحام دولة بحجم وثقافة أمريكا قلبَ العالم الإسلامي ومعقل حضارته، يشكل محطة كبرى تبعد عن أقرب مثيلاتها قروناً من الزمن، وأن المناخ السياسي والثقافي الراهن يفصله عن مناخات الانقلاب السياسي في تاريخ الحضارة جهد غير يسير، ومع ذلك فهذه هي خصائص النهضة في هذه الحضارة، التي لا تأتي إلا مسبوقة بتعافٍ ثقافي وسياسي.

ونظرة سريعة إلى سنن الأمم والشعوب، تظهر أنه ما من كتلة من غير مركز ثقل، ولا حضارة من دون طيف ذي مقومات أكبر وصلاحيات أوسع، ولا معتقد إلا وفيه مدرسة هي الأقرب إلى فطرة الإنسان أو أواسط الأمور، وجميعهم يؤدي دور القاطرة، ويشكل موضع الزخم؛ فالأمم كالأفراد في سلوكها، تبحث عن القوي وتلتف حول من يمنحها الاطمئنان.

الحضارات لا تقودها الأقليات، وإنما تتسع للأقليات وخصوصياتها، وحقها على الأقليات أن تحترم مفاهيمها فتكون جزءاً من كيانها، وهي أقلية فكر ومذهب، لا أقلية عدد وعرق، وإذا كانت اتفاقية سايكس ـ بيكو قد جزأت رقعة الحضارة، وجعلت من الأقليات أكثريات عددية هنا وهناك، فإن المفاهيم لا تتجزأ كلما تجزأت الجغرافيا وتبدلت الحدود.

ليست الأغلبية التاريخية في وارد إعادة تعريف مفهوم الأقلية والأكثرية، على أسس سايكس ـ بيكو، أو الشرق الأوسط الجديد، وإنما هي في وارد إحياء وتصويب المفاهيم، وإعادة الأمور إلى نصابها، بعدما طفح الكيل، وحل الصغار محل الكبار.

صحيح أن الناس استفاقوا على ثغرات فكرية ومذهبية سهلة، ولج منها المحتل وشركاؤه المحليون، لكن الثغرات لا تزال مكشوفة من الناحية الميدانية، ولا تزال سالكة أمام الاحتلال ولا سيما في طوره المدني المسمى (حكومة وطنية).

إن التسليم بحتمية إعادة الاصطفاف السياسي والإصلاح الثقافي، وسد الثغرات، هو مبعث الأمل والتفاؤل الوحيد في هذه المعركة ـ بعد الله عز وجل ـ وإن بدا بطيئاً، وهو الظهير السياسي الذي تحتاجه كل مقاومة مسلحة في أشواطها الميدانية المتقدمة.

وعلى العكس، فإن الاعتقاد بوجود حلول سريعة لحدث بهذا العمق هو خروج على سنن التاريخ، ومواجهة للخصم بظهر مكشوف، وتفعيل من جديد لدور الثغرات المكشوفة، وهو التثبيط عينه، وليس هذا تعارضاً مع الحاجة إلى الوسائل الآنية والموضعية على طريق الحلول الدائمة.

مرة أخرى، لقد صاغت أوروبا لشعوبها شخصية جديدة ومفاهيم تنسجم مع تحديات القارة، ورصدت لذلك علماء اجتماع، ولم يكن من قبيل العبث إطلاق اسم الشخصية الجديدة على العملة النقدية الأوروبية. إنها ضرورات إجرائية لقرارات حتمية.

الفارق الإيجابي هو أن الشخصية الأوروبية مصطنعة، مادتها الاقتصاد، ومنشؤها السوق، ومن صنيع الحكومات الذي يتعارض بالأصل مع رغبات الشعوب الأوروبية. وشخصيتنا طبيعية، مادتها الإسلام والعروبة، ومنشؤها الحضارة، وشريان حياتها فصول التاريخ، وهي من صنيع الشعوب الذي تعترض النظم السياسية طريقه.

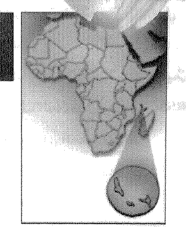
مهمتنا أقل مشقة من مهمة الأوروبيين، وهي في حكم المنجَز الذي لا يعوزه سوى المصادقة السياسية ليكون نمط حياة.

ستبقى منطقتنا بحاجة إلى مفاهيم تنقل التماسك القائم بين شعوبها من صوره العاطفية العفوية في شوارع إستانبول ودمشق وعمان وبيروت والقاهرة، إلى صيغة أيديولوجية منهجية في أروقة السياسة، وتفعّل جهاز المناعة الإقليمي الذي يقيها آثار الصدمات العنيفة، ويملأ الفراغ السياسي والأمني في رقعتها المهمة، ويؤهلها لنادي الكبار.









ماذا يُراد بمسلمي جُزر القمُر؟

محمد البشير أحمد موسى

Albeshir203@hotmail.com

• مدخل للموقع الاستراتيجي ومطامع الأعداء.

جزر القُمُر دولة إسلامية «سنية»، تقع عند مضيق موزمبيق بين مدغشقر والساحل الإفريقي، وتبلغ مساحتها نحو (٢٢٣٦ كم٢)، وتتكون من أربع جزر، إلا أن الجزيرة الرابعة (مايوت) ما زالت محتلة من قِبَل الفرنسيين، وإن كان القُمُريون يحنُّون إليها، فيضعون النجمة الرابعة في علمهم لتظلَّ عالقة في أذهان الأجيال القادمة بأن هذه الجزيرة ما زالت مغتصَبة من قِبَل المستعمرين.

فرضت فرنسا سيطرتها على جزيرة مايوت عام ١٨٤٣م، ثم احتلت جزيرة موهيلي عام ١٨٨٦م، وأصبحت الجزر الأربع عام ١٩١٢م مستعمرات فرنسية. واحتلت بريطانيا هذه الجزر ولمدة وجيزة أثناء الحرب العالمية الثانية، واتخذت منها قاعدة عسكرية في المحيط الهندي، وما إن انتهت الحرب العالمية ووفقاً للاتفاقيات التي تمت بين فرنسا وبريطانيا لتقسيم العالم الإسلامي أو تركة «الرجل المريض» حتى أضحت هذه الجزر من نصيب فرنسا.

وفي عام ١٩٥٨م وهو العام الذي أعلن فيه «ديجول» عن إجراء استفتاء في جميع مستعمرات فرنسا وبخاصة في القارة الأفريقية للاختيار بين الاستقلال أو البقاء ضمن المجموعة الفرنسية، اختارت جزر القُمُر الخيار الثاني وهو البقاء ضمن المجموعة الفرنسية مع حكم ذاتي. ولكن هذا القرار لم يكن مطلب جميع القُمُريين وإنما لفئة معينة، فبدأت موجة الاضطرابات تدريجياً في الداخل منذ عام ١٩٦٣م، واتخذت فرنسا حيال هذه الموجة أساليبها المعتادة من قتل وتشريد وحبس وغيرها من الأساليب الوحشية تجاه شعب أعزل عرف في تاريخه الطويل بالطيبة وحسن التعامل مع الآخرين! واعتمدت فرنسا سياسة عدم استقرار هذه الجزر بحبك المؤامرات الداخلية والخارجية عليها، من قِبَل عملائها في المنطقة وعلى رأسهم «بوب دينار»، الذي كان يشكل مع باقي زمرته أكبر العصابات الإجرامية في القارة كلها؛ حيث سفكوا دماء الكثيرين من أبناء القارة بأدوارهم الخبيثة.

ولم تكن جزر القُمُر بدعاً من دول القارة؛ فقد قام العميل «المشهور» بمعظم الانقلابات وزرع بوادر فتنة انفصال بعض الجزر عن الاتحاد الحالي بإيجاد مبدأ «فرق تسد» بين أبناء هذه الجُزر، ورفع شعارات بأن حقوق بعض الجزر مهضومة من قِبَل الجزيرة الكبرى (مع أن الواقع أن فرنسا هي التي أفقرت هذه الجزر وما زالت إلى هذا اليوم تنهب من خيراتها، وهي التي أوصلت جزر القُمُر إلى الحالة التي لا تُحسَد عليها)، فالقوا باللائمة على جزيرة قُمُر الكبرى مما تسبب في العمليات الانفصالية التي شهدتها جزر القُمُر في أواخر التسعينيات من القرن الماضي، وقد ظهر هذا الدور الفرنسي عبر عملائها جلياً من خلال الشعارات المرفوعة آنذاك من المنشقين أو الانفصاليين: «الفرانكفونيين»!

وقد توصل الفرقاء إلى اتفاق، فحلت المسألة آنياً، وقُدِّم بوب دينار إلى محاكمة صورية أجاد الفرنسيون تمثيلها وغاب المذكور عن جلساتها فحوكم غيابياً لمرضه المزعوم؛ وذلك في التاسع من مارس ٢٠٠٦م مع ٢٦ مرتزقاً من أتباعه، وانحصرت



المحاكمة فقط في قضية محاولة الانقلاب على الرئيس السابق سعيد محمد جوهر في عام ١٩٩٥م، ولم يحاكم على باقي جرائمه سواء في جزر القُمُر أو غيرها من المناطق في القارة وعلى رأسها دولة زائير؛ علماً أنه في جزر القُمُر وحدها كان هو المنفذ الحقيقي لحوالي عشرين محاولة انقلابية، ابتداء من عام ١٩٧٥م.

ومن خلال الدور الذي تقوم به فرنسا في هذه الجزيرة وما أسفر عنه من انتهاك لحقوق الإنسان القُمُري، طالبت (منظمة الوحدة الأفريقية) من المجتمع الدولي وعلى رأسه الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢م باستقلال هذه الجزر عن فرنسا، ولهذه التحركات السياسية من جانب منظمة الوحدة الأفريقية اضطرت فرنسا في ١٥/٦/١٩٧٣م إلى توقيع معاهدة استقلال الجزر في غضون خمسة أعوام بعد أن يجري استفتاء عام. ومن خلال ما اتخذته فرنسا من تدابير احترازية في الحفاظ على أهم الجزر وهي جزيرة «مايوت»، فقد وافق ٩٦٪ من سكان الجزر على الاستقلال، في حين وافق ٧٤٪ من سكان جزيرة مايوت على البقاء تحت الحماية الفرنسية، ويشكل المرتزقة الأوروبيون القدر الأعلى من هذه النسبة، وهكذا وفي ٦ يوليو عام ١٩٧٥م تم استقلال الجزر الثلاث عن فرنسا.

ولِمَا تشكله دولة جزر القُمُر من أهمية استراتيجية لموقعها الاستراتيجي والتي يمر من خلالها النفط الإسلامي متجهاً إلى الدول الغربية، وكرابط أيضاً بين دول الجنوب الأفريقي مع دول الجنوب الآسيوي. هذه الأهمية جعلتها هدفاً لدول كثيرة من الدول الغربية ابتداءً من البرتغال (١٥٠٢م)، ومروراً ببريطانيا وفرنسا والتي ما زالت تسيطر على جزيرة «مايوت» الاستراتيجية منذ عام (١٨٤٣م)، حيث جعلت منها مصدر قلق وعدم استقرار لباقي الجزر التي تشكل الاتحاد القُمُري، وكقاعدة تنصيرية أيضاً في الجنوب الشرقي للقارة الأفريقية، تتحرك منها قوافل المنصِّرين إلى المناطق المجاورة كمدغشقر، بالإضافة إلى كونها قاعدة عسكرية وتجارية تصدر عبرها إلى فرنسا كل المنتجات القُمُرية، والتي تُصَدَّر بدورها إلى العالم باعتبار أنها صناعات فرنسية خالصة، وخاصة العطورات الباريسية الشهيرة.

ومع أنه قد صدرت عدة قرارات أممية بحق جزر القُمُر باسترجاع هذه الجزيرة، ومنها القرار (٣٣٨٥) في الدورة (٣٠) في ١٢ نوفمبر ١٩٧٥م، والخاص بقبول دولة جزر القُمُر بجزرها الأربع في المنظمة الدولية الأمم المتحدة، بالإضافة إلى القرارات الصادرة عن منظمة الوحدة الأفريقية؛ إلا أن تلك القرارات لم تجد تطبيقاً على أرض الواقع؛ لأن القرارات الصادرة من هذا المجلس لا تطبق إلا على الدول المستضعفة، أما أعضاؤها فهم فوق القانون.

هذه الأهمية الاستراتيجية لهذه الجزر وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ووسط تصاعد وبروز النفوذ الأمريكي في المنطقة والصراع الدائر حول الممتلكات الفرنسية السابقة في القارة، بدأت الولايات المتحدة السير قدماً في إيجاد موطئ قدم لها في هذه الجزيرة كحلقة من حلقات التآمر الدولي التي مرت بها هذه الجزر. وكخطوة أولية بدأت أمريكا بالجوانب الاقتصادية كمشروع تنمية السياحة في هذه الجزر، ووجود أحد أبناء جزر القُمُر ضمن قائمة المتهمين من قِبَل السلطات الأمريكية في الاعتداءات على سفارتيها في شرق أفريقيا، اعتبر فرصة قوية لها في السعي إلى السيطرة على هذه المنطقة بحجة محاربة الإرهاب، وإن كان الدور الأمريكي يمر الآن بمرحلة الهدوء الذي تعقبه العاصفة.

● الانتخابات القمرية والتحالف المشبوه:

وسط هذه الأهمية الاستراتيجية لهذه الجزر عُقدت الانتخابات الدورية الرئاسية، ووفقاً لاتفاقية انتقال السلطة بين الجزر الثلاث، بعد الأحداث الدامية التي مرت بالجزيرة عند مطالبة جزيرتي «أنجوان وموهيلي» بالانفصال عن الاتحاد القُمُري والانضمام إلى فرنسا، توصل الفرقاء إلى حل بأن تكون الرئاسة متنقلة بين الجزر الثلاث وهي (القمر الكبرى وفيها العاصمة الاتحادية مدينة موروني، وجزيرة أنجوان، وجزيرة موهيلي) وذلك في «٢٠ ديسمبر ٢٠٠٣». وأجريت انتخابات للجمعية الاتحادية وكذلك للجمعيات الإقليمية في عام ٢٠٠٤م، وتم تشكيل حكومة الوحدة الوطنية في يوليو ٢٠٠٤م، والتي ترأسها الرئيس السابق عثمان غزالي وهو من جزيرة القُمُر الكبرى. ووفقاً لهذه الاتفاقية فإنَّ الانتخابات الأخيرة والتي جرت في يوم ١٤ مايو ٢٠٠٦م، كانت منحصرة في جزيرة «أنجوان» لأن الرئيس القادم للبلاد من نصيب هذه الجزيرة.



ومع وجود تحفظات من قِبَل الاتحاد الأفريقي على بعض البنود الواردة في اتفاقية الصلح، والتي على أساسها أجريت الانتخابات، وخوفاً من عودة الجزيرة إلى عهد الانقلابات؛ فقد أوفد الاتحاد قوة عسكرية بقيادة جنوب إفريقيا قوامها (٤٦٢) جندياً للحفاظ - كما قيل - على الأمن وسلامة ونزاهة سير الانتخابات.

خاض هذه الانتخابات ولأول مرة في تاريخ جزر القمر، المدعو (آية الله أحمد سامبي) الذي كان طالباً فاشلاً في دراسته في إحدى الدول الخليجية، ففصل من دراسته، وانتقل إلى كينيا فتلقفته المخابرات الإيرانية هناك، وتمَّ نقله إلى إيران ليُعَدَّ في «قم» كالمتبع، ويرجع إلى بلده وقد أصبح آية من الآيات الرافضية، ليبدأ خطواته التمهيدية للوصول إلى سدة الرئاسة، وهذا ما تم مع الأسف وليحمل التوجهات الإيرانية في هذه المنطقة نيابة عنهم، والتي أهلها كلهم من أهل السنة وعلى المذهب الشافعي السائد هناك، وفي مسعى من الحركة الرافضية بقيادة إيران لفرض حصار جديد على أهل السنة في المنطقة الشرقية الجنوبية من القارة الأفريقية، ولتكون احتلالاً رافضياً لأهم المناطق الاستراتيجية في القارة الأفريقية، ولتشكل هذه المجموعة الشيعية في جزر القُمُر مع باقي المجموعات الرافضية في المناطق المطلة على الساحل الأفريقي وخاصة في تنزانيا وكينيا حزاماً شيعياً على طول الحدود الشرقية للقارة، لتكون حلقة من مسلسل التآمر النصراني الرافضي لاحتلال مناطق ودول أهل السنة، وتمييع نشر الرسالة الإسلامية، وتحويل مجرى الدعوة الإسلامية الأصيلة إلى دعوة رافضية صوفية تشوه صورة الإسلام الحقيقي في هذه المنطقة الهامة من العالم الإسلامي، ولإخراج وتكوين جيل لا يفقه من أمر دينه إلا تلك الصورة المشوّهة التي يصورها له الرافضة وبعض المتصوفة لأهداف لم تعد خافية على أحد.

وقد نافس الآية القمري المزعوم على الرئاسة أربعة عشر مرشحاً. ولكن اثنين من هؤلاء وهما محمد جعفر، وحاليدي إبراهيم، من أقوى من المنافسين له ومن أكثر القيادات المقربة للتوجهات الفرنسية، ومدعومين من قبَلها، وكان من المفترض أن يشكلا عقبة أمام التوجهات الإيرانية الرافضية والمتمثلة في أحمد سامبي، لولا وصول الطرفين «أي الفرنسي والإيراني» إلى اتفاق! وذلك أثناء زيارة السفير الفرنسي «كريستيان جوب» للمرشح الشيعي في منزله، وبعد مفاوضات سرية تم التوصل إلى اتفاق بقبول الرافضي سامبي رئيساً للبلاد في المرحلة القادمة لتشهد الجزيرة ولأول مرة في تاريخها حاكماً شيعياً.

وهكذا تمَّ حبك المؤامرة على جزر القُمُر بتحالف نصراني رافضي؛ حيث فاز أحمد سامبي بما نسبته ٥٧,٣٧٪ في المرتبة الأولى، ويليه في المرتبة الثانية حاليدي إبراهيم، حيث أحرز ما نسبته ٢٨,٥٤٪، وجاء محمد جعفر في المرتبة الثالثة، بما نسبته ١٤,٠٩٪ من الأصوات.

إذاً؛ فإن التحالف الفرنسي الإيراني هو للحيلولة دون اتساع المصالح الأمريكية في هذه المنطقة الحيوية، وتكوين أقلية شيعية في المنطقة لتكون شوكة في حلق الأغلبية السنية من أهل الجزيرة. علماً أن نسبة الخريجين من الجامعات العربية والإسلامية، والذين تبوؤوا مناصب عليا في الدولة في تزايد مستمر وكلهم من أهل السنة، وأن الكثيرين منهم يتقنون لغتين أو أكثر، وهذا ما يقلق السلطات الفرنسية والكنائس الغربية. وللحيلولة دون وصول أي من هؤلاء إلى سدة الحكم وتغيير الوجهة التي تسير عليها البلاد حالياً، فلا بدَّ من البحث وسط هؤلاء عمَّن باستطاعتهم أن يوجهوه الوجهة التي يريدونها، ويحافظ على مكتسباتهم في هذه المنطقة، لذا كان اختيار أحمد سامبي آية الله القمري نتيجة تلقائية كأفضل من يمثِّل المصالح الفرنسية والشيعية معاً في المرحلة القادمة من خريجي الجامعات العربية والإيرانية.

● أهداف التحالف المشبوه في جزر القمر:

لقد كان وصول أحمد سامبي إلى سدة الرئاسة نتيجة خطة مدروسة تَمَّ إعدادها بكل عناية ودهاء ومكر بين المخابرات الإيرانية والفرنسية، لم تستغرق منهما سوى أعوام قليلة ليجنوا ثمرة مكرهم وكيدهم، وتآمرهم على الإسلام والمسلمين. ففرنسا والمنظمات النصرانية الغربية تنشط في جزيرة «مايوت» لتنصير المسلمين وبث سمومها إلى الجزر الأخرى، واستخدام كل الوسائل المتاحة من توزيع للنشرات والكتيبات النصرانية في سبيل ذلك. وأما إيران فتنشط في جزيرة «أنجوان» لتكون قاعدة للرافضة ينتقلون منها إلى الجزر الأخرى وإلى الدول المجاورة، وبخاصة في المناطق التي يجهل أهلها خطورة الرافضة على الإسلام.

إن التوجهات الرافضية في القارة الأفريقية واضحة لكل



متابع للأحداث، وقد ازداد هذا الدور بعد الحملة الصليبية على المنظمات الإسلامية العاملة في القارة، وتجفيف منابع تلك المنظمات، بل وإغلاق العديد منها. وفي المقابل لم يشمل هذا الحظر وهذه الحملة النصرانية المنظمات الرافضية العاملة في القارة، وبخاصة في جزر القمر، وكيف تُجمَّد أنشطة الرافضة، وقد قال الرئيس الإيراني السابق «علي أكبر هاشمي رفسنجاني» وعلى صفحات صحيفة الشرق الأوسط في عددها (٨٤٧٤) يوم السبت في ٢٦ ذي القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٩/ ٢ / ٢٠٠٢م، السنة (٢٤)، في خطبة الجمعة في جامعة طهران: «إنّ القوات الإيرانية قاتلت طالبان، وساهمت في دحرها، وإنّه لو لم تُساعد قوّاتنا في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني. يجب على أمريكا أن تعلم أنّه لولا الجيش الإيراني ما استطاعت أمريكا أنْ تُسْقط طالبان»!

هذا تحالفهم مع النصارى في أفغانستان، أما في العراق فلا يخفى على أحد الدور الذي يؤدونه هناك! فلا غربة إذاً أن يتحالف النصارى والرافضة مرة أخرى وفي بقعة أخرى من بقاع الإسلام في جزر القُمُر لتنصيب أحد أعوانهم رئيساً، ليؤدي الدور المطلوب منه وفق الخطة الموضوعة على أكمل وجه؛ فهل نعي ذلك؟

● المفاهيم التي يصوربها الرافضة وتأثير ذلك على الشباب المسلم:

لقد ساهم بعض قيادات العمل الإسلامي في بعض البلاد، ومن خلال الكلمات التي صدرت وما زالت تصدر منهم بالثناء والتمجيد للثورة الإيرانية الخمينية، والدعاية لها، واعتبار الخميني أحد المجددين، ودعوتهم كذلك إلى ما يسمونه بتقارب المذاهب الإسلامية، إلى القيام بالدعاية المجانية عن هذا الفكر الرافضي وسط الشباب السني في القارة، الذي يجهل خطورته، والذي يبحث وسط الأمواج المتلاطمة عن بريق أمل، وعن كل جديد لتغيير واقعه السيئ إلى واقع أفضل يكون خيار الإسلام فيه واضحاً وخاصة في القارة الأفريقية.

لقد كانت تلك التزكيات أحد الأسباب القوية لنشر هذا الفكر الضال في القارة الأفريقية، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الرافضة استطاعوا اختراق بعض المؤسسات التعليمية العربية والإسلامية التي يتوافد عليها كثير من الشباب الأفريقي، وبخاصة في مصر والسودان؛ مما أوجد أرضاً خصبة وصالحة لنشر أفكارهم ومبادئهم وعقائدهم الباطلة، وسط جو طلابي متعطش لتغيير واقع بلاده السيئ، بالإضافة إلى اتخاذهم الوسائل الأخرى المعتادة بدعوة هؤلاء إلى عقيدتهم، ومتابعة من اعتنق فكرهم في دولهم بعد التخرج سواء أكان ذلك مباشرة عبر السفارة الإيرانية التي لها وجود قوي في معظم دول القارة، أو من خلال من تم تلقينه هذه العقائد في طهران، وأكبر مثال على هذه المتابعة (الحالة السامبية) في جزر القُمُر، والحالة النيجيرية والمتمثلة في المدعو «آية الله إبراهيم زكزكي»!

● ما هي ملامح المرحلة القادمة في جزر القمر؟!

فما هي إذاً ملامح المنطقة في المرحلة القادمة بعدما تَمَّ هذا التحالف بين فرنسا والمرشح الشيعي آية الله أحمد سامبي ووصوله إلى منصب الرئاسة كأول شيعي يصل إلى هذا المنصب وهو من جزيرة «أنجوان»؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار تنامي النفوذ الشيعي في المنطقة الإسلامية كلها، والمنقطة الأفريقية على وجه الخصوص؛ فهل سيشكل ذلك سنداً وعضداً قوياً للتوجهات الإيرانية في المنطقة الإسلامية ببسط نفوذها على أهم الممرات الاستراتيجية في المنطقة، وسط ما نشاهده ظاهرياً من شد وجذب بين إيران وأمريكا وحلفائها؟ وهل سيشكل ذلك أيضاً حداً للسيطرة السنية على مقاليد ريادة وزعامة العالم الإسلامي بإيجاد خطاب رافضي يتمثل في عدد من الدول الشيعية في العالم الإسلامي ينافس ذاك الخطاب الإسلامي الموصوف بالسنِّي؟

وما هو دور الدول العربية السنية تجاه هذا التحالف النصراني الرافضي في جزر القُمُر والهيمنة على أهم الممرات الاستراتيجية بالنسبة لهم؟! وما خطورة ذلك على «مصالحهم الخاصة» في هذه المنطقة؟!

وهل تفتح الجامعات الإسلامية أبوابها لأبناء المسلمين والتي أُغلقت في وجوههم في السنوات الأخيرة ليكونوا صيداً ثميناً في أيدي المخابرات والسفارات الإيرانية، وليصبحوا دعاة للاتجاهات المشبوهة؟

وقصة آية الله المزعوم (أحمد سابي) ناقوس يقرع في آذان الجميع؛ فهل نعي الخطر؟! والله المستعان.





تهمة الإبادة الأمريكية: هل تدفع بالقوات الأممية إلى دارفور؟

إبراهيم الأزرق
ibraheam@gmail.com

تكثف الإدارة الأمريكية الحالية الحديث عن الإبادة الجماعية التي تحدث في دارفور.

والإبادة الجماعية من محرمات القانون الدولي منذ عام ١٩٤٦م، فقد أعلنت إذ ذاك الأمم المتحدة بقرارها ٩٦/د/١ - المؤرخ في ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٦م، أن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها، ويدينها العالم المتمدن.

وفي المصطلح الأممي لا تعني الإبادة الجماعية بالضرورة قتل جماعة بأسرها، بل جاء في نص الاتفاقية المبرمة عام ٤٨م ما يوضحها، إذ تقول:

«في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أياً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية، أو إثنية، أو عنصرية، أو دينية، بصفتها هذه:

أ ـ قتل أعضاء من الجماعة.

ب ـ إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

ج ـ إخضاع الجماعة عمداً لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

د ـ فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

هـ ـ نقل أطفال من الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى».

وقد جاءت التهمة الأمريكية بالإبادة الجماعية بعد أن مهدت لها بمزاعم؛ حاصلُها أن حصيلة القتلى في ولاية دارفور ربما وصلت إلى ٣٠٠ ألف قتيل وفقاً لبعض اللجان التابعة لمجلس العموم الأمريكي[1]. أما الرقم الذي أعلنته منظمة الصحة العالمية فهو نحواً من ٧٠ ألف قتيل وذلك قبيل عام وأربعة أشهر تقريباً، وتذكر بعض المصادر نحواً من ٢٠٠ ألف قتيل حتى اليوم، أما تقديرات الحكومة السودانية فكانت حتى أبريل من عام ٢٠٠٤م تذكر نحو ٦٠٠ قتيل على أقصى تقدير، كما ذكر السيد مصطفى عثمان إسماعيل وزير الخارجية إذ ذاك[2].

وبعد بضعة أشهر من تصريحه كانت الإحصائيات الأممية تتحدث عن نحو ٣٠ ألفاً إلى ٥٠ ألف قتيل، وقد علق الوزير على ذلك قائلاً: إن الأرقام أعلى بعشرة أضعاف من الأرقام الحقيقية..

وقال أمام مؤتمر صحفي عقده في القاهرة: إنه وفقاً للتقديرات الحكومية لا تتجاوز تكلفة النزاع الدائر منذ ١٧ شهراً ٥٠٠٠ قتيل من ضمنهم ٤٨٦ شرطياً. وقال: إن الأرقام مبالغ بها، وأتحدى الأمم المتحدة أن «تعطينا أسماء أو تُرينا قبور» أولئك الذين زعمت أنهم توفوا.

(١) ينظر: http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_4392000/4392535.stm.

(٢) وفقاً لما نقلته هيومن رايتس ووتش، ينظر: http://www.hrw.org/arabic/reports/2004/sudan-dar8.htm.



ولعل الوصول إلى حقيقة وسط هذا التباين عسير؛ بيد أن بعض المؤشرات ربما أشارت إلى عدم دقة الإحصاءات الأممية وكذلك الأمريكية، فكما أشار الوزير فإن تلك الأرقام لا تعدو كونها مجرد تكهنات لن تسمي قتلى ولن تعد قبوراً، فهي لم تخرج بإحصائيات من مراكز صحية، وإنما تعويلها على حوادث محدودة، وشهادات وأقاويل لأفراد يقول غيرهم كلاماً آخراً، ونقطة أخرى مهمة تدفع للتشكيك في الإحصاءات الأممية فضلاً عن الأمريكية؛ ألا وهي عدم وجود هؤلاء على أرض دارفور التي يتحدثون عن إحصائياتها إلاَّ في المدة الأخيرة، فلم يتمكن الصليب الأحمر ولا الجمعيات من الانتشار بأي شكل في دارفور حتى نيسان/أبريل عام ٢٠٠٤م.

والحاصل هنا ثلاث مجموعات للأرقام عن حصيلة القتلى: مجموعة تقدمها الحكومة، وأخرى تقدمها الأمم المتحدة، وثالثة تقدمها الولايات المتحدة بلجانها المختلفة.

● هل الولايات المتحدة جديرة بتقديم مثل هذا الاتهام؟

وأياً ما كان الصواب؛ فإن السؤال الذي يرتسم في سماء الشرق الأوسط بمداد من دخان وغبار الآليات الأمريكية والحليفة في المنطقة يقول: هل يحق لأمريكا أن تتحدث عن خطر إبادة جماعية في دارفور، فضلاً عن أن تتخذ ذلك ذريعة للتدخل؟

لقد اعترفت الإدارة الأمريكية بمقتل نحو ثلاثين ألف مدني حيث تدخلت في العراق، وقد جاء هذا الاعتراف على لسان الرئيس الأمريكي قبيل مطلع العام الجاري والذي تصاعدت فيه أعمال القتل على نحو غير مسبوق، بينما تميل الجهات المعارضة للاحتلال إلى تقدير عدد القتلى بنحو ثلاثمائة ألف قتيل منذ بداية الحملة، وترى جهات أخرى توصف بالحياد أن عدد القتلى ابتداءً من عام ٢٠٠٣م وحتى اليوم بلغ ٤٩٧٦٠ قتيلاً وفقاً لما يبث في مصادر الإعلام المنتخبة الموثوقة[١]، وأما قبلها فقد نشرت صحيفة (فيليج فويس) الأمريكية في عدد يوم الأحد الموافق ٢٠٠٣/٨/٣١م استناداً إلى دراسة ميدانية قام بها مئات الأفراد من (حزب الحرية العراقي) الجديد أوصلوا عدد القتلى العراقيين (المدنيين) منذ بداية الضربة الوقائية الأمريكية إلى حوالي ٣٧ ألفاً و ١٣٧ قتيلاً، لتكون الحصيلة الإجمالية نحو بضعة وثمانين ألف قتيل، فضلاً عن المعاقين والمهجرين والمشردين.

وفي دراسة أخرى نشرتها قبل عامين تقريباً المجلة البريطانية الطبية (لانسيت) بالتعاون مع جامعة المستنصرية العراقية، قدر عدد المدنيين القتلى ذلك الوقت بنحو من مائة ألف مدني منذ ٢١ آذار عام ٢٠٠٣م وحتى أيلول عام ٢٠٠٤م، وقبل بضعة أشهر قُدر تجاوز العدد مائتي ألف قتيل، في حين تقدر بعض الجهات العراقية أعداد القتلى بما يربو على ذلك، فضلاً عن المفقودين - وهم ألوف - اختطفوا أو خرجوا، ولم يعثر لهم على أثر.

ولعل الثقة في الأرقام الصادرة عن مجلات طبية ودراسات ميدانية ربما كانت أكبر، فالدراسات والمسح والإحصاءات أقرب للواقع من تخرصات الرئيس الأمريكي الذي نفى قائده العام (تومي فرانكس) قيامهم بإحصاء لعدد القتلى فقال: «We don't do body counts»[٢] وهذا - كما لا يخفى - أمر مثير للدهشة؛ ولا سيما إن كان هؤلاء الذين لا يحصون القتلى، الذين سقطوا بأيديهم أو تحت حكمهم أو وصايتهم؛ يبالغون في عد القتلى بأرض لم يطؤها!

وقد أكدت دراسة صدرت حديثاً[٣] من جامعة (جونز هوبكنز) الأميركية، وتُموِّلها جامعة أخرى مرموقة هي (متشجن MIT) واقعية الدراسات السابقة فقد قال (جيلبرت برنهام) من مدرسة (جونز هوبكنز بلومبرج) للصحة العامة بالولايات المتحدة: «نقدر أنه نتيجةً لغزو التحالف في ١٨ مارس ٢٠٠٣م توفي ٦٥٥ ألف عراقي وكانت وفاتهم زيادة على عدد الذين كان يتوقع وفاتهم في وضع لا يوجد فيه صراع». وأضاف أن ذلك يعني أن ٢,٥ بالمئة من السكان العراقيين لقوا حتفهم نتيجة للغزو والقتال المترتب عليه. ونشرت الخبر شبكة (BBC) في موقعها الإلكتروني تحت عنوان: واحد من بين كل ٤٠ عراقياً يموت في العراق.

الجدير بالذكر هو أن الحكومة البريطانية وكذلك الأمريكية شككتا في هذه الإحصائية نظراً لكونها قائمة على المقابلات مع العائلات بدلاً من إحصاء الجثث جثة جثة! مع أن الدراسة قد شملت نحو ١٨٤٩ أسرة تضم ١٢٨٠١ فرداً في ٤٧ موقعاً، وقد تم اختيارهم عشوائياً من أنحاء مختلفة في العراق.

فكان من جملة رد الباحثين أن أساليب المسح نفسها استُخدمت لتقدير الوفيات في مناطق صراع أخرى مثل الكونغو وكوسوفو والسودان. بل قال (جيلبرت): «في دارفور استُخدم



(١) يراجع مشروع (IRAQ BODY COUNT) على الرابط التالي: http://www.iraqbodycount.org/.
والبيانات في ازدياد مطرد على الرغم من الملاحظات على المشروع والتي تحجم عدد القتلى؛ لاعتمادها على بضعة مصادر إعلامية تحصر ما يذاع فيها.

(٢) تناقلته وكالات الأنباء، وانظر مثلاً: (البي بي سي) على الرابط التالي: http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/3672298.stm.

(٣) نشرت الدراسة في مجلة (لانسيت) الطبية البريطانية الشهيرة يوم الأربعاء ٢٠٠٦/١٠/١١م، وقد قام بالدراسة أربعة من أساتذة الطب في كلية (بلوم بيرج) للصحة العامة بجامعة (جونز هوبكنز) في (بولتيمور) في ولاية ميريلاند الأميركية القريبة من واشنطن.

هذا النهج ذاته... واستُخدم هذا النوع نفسه من الدراسات في شرقي الكونغو، كما استُخدم في البوسنة»[1].

ودافع الباحث (جيلبرت برنهام) عن المنهج الذي اتبعته الدراسة، ووصف صعوبة جمع البيانات في أوقات الحرب.

وقال: إن ٣١٪ من العائلات التي شملتها العينة حمَّلوا قوات التحالف مسؤولية وفاة ذويهم.

وإذا بدا جلياً أن الوضع في العراق الرازح تحت نير الإدارة الأمريكية وأحلافها ليس خيراً من الوضع في دارفور، فهل يحق للإدارة الأمريكية أن تتهم غيرها بالإبادة الجماعية؛ بينما يباد في العراق شعب بفعلها أو تحت مرآها وسمعها؟ بل وفي أفغانستان وفي كل أرض وطأتها أقدام جندها! ثم هل هي أهل لبسط الأمن حقاً؟

للأسف لم نرَ ما يشهد لها بالريادة في هذا الصدد، أما إشعال الحروب وإثارة النعرات العرقية والطائفية فقد رأينا قدرتها عليها.

بل فضلاً عن المناطق الملتهبة؛ هل حفظت الولايات المتحدة الأمن في أرضها!

لعل كثيراً من الناس يعلم أن ولاية تكساس - وهي ثاني أكبر ولاية من حيث المساحة بعد الاسكا - تبلغ مساحتها نحو مساحة ولاية دارفور الكبرى، ولكن الذي لا يعلمه كثير من الناس هو أن عدد جرائم العنف في تلك الولاية خلال الأعوام ما بين ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤م قد بلغ ما يربو على الستمائة ألف جريمة وفقاً لإحصائيات وزارة العدل الأمريكية[2]، فتأمل حال من يزعم الإزماع على بسط الأمن!

● دوافع الحملة الأمريكية الغربية:

أما الدوافع المعلنة من قبل الإدارة الأمريكية فهي الدوافع الإنسانية، ولعل الدوافع الإنسانية الأمريكية من العسير أن يصدقها العقل العربي ما لم تقترن بعقيدة أو مصالح ظاهرة، وإلاَّ فأين تلك الدوافع الإنسانية يوم يباشر الإسرائيليون وظيفتهم في التخريب بكل إخلاص؟! فلا يبالون بهدم المنازل وإن كان فيها من فيها، حتى بلغ عدد القتلى من اللبنانيين خلال شهر نحواً من ألف قتيل، وبينما تقترف الجريمة الإسرائيلية وضح النهار، وتُنقل جهاراً على شاشات التلفزة، ويعج ببثها على رؤوس الأشهاد أثير السماء، وعلى الرغم من أن اليد الإسرائيلية قد طالت بقاعاً خارجة عن حدودها باعتبارها دولاً مستقلة كلبنان وقطاع غزة، وعلى الرغم من أن العالم أدان واستنكر، وشجب وندد، على الرغم من ذلك كله تظل الإدارة الأمريكية في أحسن أحوالها فاقدة لمشاعر الإنسانية بما فيها الحواس الخمس: فلا ترى.. لا تسمع.. ولا تتكلم، فإن نطقت قالت هُجراً، وآذت الأسماع بنصرها العدوان والاستبداد الصهيوني.

ولعله من الطبيعي بعد ذلك أن يشق على الشرق أوسطيين أن يصدقوا الدوافع الإنسانية للإدارة الأمريكية.

ومهما حاولت الإدارة الأمريكية التفريق بين الصورتين تظل القناعة الراسخة في جمهور الشرق الأوسط بأنه لا فارق إلاَّ من حيث الأيدلوجية الصهيونية أو المصالح الأمريكية.

وهذا ما يفسر به بعض المعنيين سعي الإدارة الدؤوب للتدخل في منطقة دارفور.

فمن جهة فإن هناك حرباً مستترة بين الولايات المتحدة وفرنسا على مناطق النفوذ في القارة السمراء، وقد اكتسبت أمريكا جولات على أراض كانت السيطرة فيها فرنسية، مثل: زائير، ورواندا، وبوروندي، ولا تزال الحرب سجالاً في كل من: موريتانيا وأفريقيا الوسطى بما فيها تشاد، ولعل من الصعب فصل تطورات الأوضاع في السودان عن الأهداف الفرنسية في تشاد، فتشاد لا تزال في دائرة النفوذ الفرنسي، تتمركز فيها قوات فرنسية، كما تسيطر الشركات الفرنسية على المشروعات النفطية الناشئة فيها، وتذهب بعض التحليلات إلى اعتقاد أن الامتداد بين دارفور وتشاد ليس امتداداً قَبَلياً فقط، بل امتداد نفطي على الأرجح، فالخزانات النفطية الجوفية في تلك الرقعة يتوقع أن تكون ممتدة على جانبي الحدود.

ومن جهة أخرى فإن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتخفيض وارداتها من نفط الشرق الأوسط بحلول عام ٢٠٢٥م بنسبة ٧٥٪، وقد جاءت هذه الدعوة على لسان الرئيس الأمريكي جوج بوش[3]، ولن يتأتى لها ذلك إلاَّ مع الاستعانة بموارد النفط في آسيا الوسطى وأفريقيا. ومن وجهة نظر أخرى قد تفسر حرص بعض الأطراف الأوروبية على التدخل؛ فقد

---

(١) كان ذلك في حلقة برنامج قناة الجزيرة الفضائية: (من واشنطن) بتاريخ ١٦/١٠/٢٠٠٦م، وفي موقع القناة نسخة من الحلقة على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/89AD5F8A-CD2F-49E2-BF1C-4989BC8054F0.htm.

وقد أشارت وكالات الأنباء والصحف الدولية إلى هذه الدراسة في حينها.

(٢) يمكن مراجعة الإحصائيات عن مكتب إحصائيات العدالة التابع لوزارة العدل على الرابط التالي:

http://bjsdata.ojp.usdoj.gov/dataonline/Search/Crime/State/TrendsInOneVar.cfm.

(٣) وقد تناقلتها وسائل الإعلام وكثر حولها الجدل، ينظر الرابط التالي من موقع صحيفة القاردين البريطانية:

http://www.guardian.co.uk/usa/story/0,,1700182,00.html.



تحدث بعض المحللين عن تداول إمكانية ربط النفط السوداني، تحديداً من مناطق بحر الغزال، بشبكات أنابيب تمتد عبر تشاد إلى ليبيا، بما يسهل تصدير النفط السوداني والتشادي إلى أوروبا عبر سواحل البحر المتوسط. وهو مشروع تحدث عنه إبان اكتشافات النفط السوداني، وثمرته التقليل من تكلفة نقل النفط إلى أوروبا، كما أنه يؤمِّن للأوروبيين مصادر نفطية إضافية قريبة، ويقلل من اعتماد الأوروبيين على النفط من مناطق يعد حلفها الأمريكي أقوى من الأوروبي.

ومن جهة ثالثة فإن تلك المنطقة الواسعة غنية بالثروات المهملة، فقد أشارت عدة تقارير صحفية إلى وجود معادن وثروات جديرة بالعناية الغربية.

ومن جهة رابعة فإن صورة (التوتسي) و (الهوتو) في راوندا ربما غلبت على مخيلة بعض القوى الدولية أثناء التفكير في شأن دارفور، ولا سيما مع كم أرقام القتلى الهائلة المتداولة في الإعلام الغربي بل العالمي، وقد كان لتأخر تدخل المنظمة الدولية في راوندا مطلع التسعينات من القرن الماضي؛ للحيلولة دون استمرار التطهير العرقي الذي مارسته مجموعتا التوتسي والهوتو بحق بعضهما؛ سبباً في إفناء مئات الآلاف في راوندا، وتبعاً لذلك تعطلت كثير من المصالح والطاقات.

ومن جهة خامسة فإن الفرصة سانحة لنشر قيم وأخلاقيات تعتقد صلاحيتها وجدارتها بالانتشار بعضُ الدول التي عرفت برعاية (التنصير) باسم (التبشير)، وذلك وسط أمة مسلمة يغلب فيها الجهل، وتثار فيها النعرات تجاه كل أصل عربي.

ومن جهة سادسة فإن دخول القوات الأممية قد يمهد في مستقبله إلى ملاحقة المطلوبين أمريكياً بعد أن تعطى المطالبة طابعاً أممياً، أياً كانت مناصبهم.

ومن خلال ما سبق يظهر أن دوافع التدخل متعددة دينية، ودنيوية، وأخلاقية وفقاً للقيم والمعايير الغربية.

● المقترح (الأمريطاني) وتقييمه:

صدر مشروع (بريطاني أمريكي) يتداول الآن بين أروقة الأمم المتحدة، وتأمل أمريكا في موافقة فورية إجماعية عليه، «ومن شأن مشروع القرار الأميركي- البريطاني المقترح، في حال صدوره، تخويل تشكيل قوة من ١٧ ألفاً و٣٠٠ عسكري و٣ آلاف و٣٠٠ عنصر من الشرطة المدنية و ١٦ وحدة شرطة عسكرية»[1].

وإذا استحضرنا مرة أخرى الوضع في العراق وأضفنا إليه حقيقة أخرى؛ وهي أن عدد القوات الدولية الموجودة في العراق يفوق بنحو عشرة أضعاف القوات المقترحة لدارفور، مع أن مساحة دارفور تزيد على مساحة العراق بقرابة المائة ألف كيلومتر مربع، بدا جلياً أي ضرب من حفظ الأمن أو الحرية والديمقراطية يرجى أن تبسطه تلك القوات! ولا سيما في ظل تدخل تعارضه الدولة.

ولا ينبغي أن يغيب عن فطنة القارئ الكريم أن تعداد السكان في العراق يربو على ستة وعشرين مليوناً، وهذا يمثل نحو خمسة أضعاف سكان دارفور، الأمر الذي يحتم ألاَّ تقل القوات المبسوطة فيها عن خُمُسِ التي تم بسطها في العراق لتخرج بنتيجة (مشابهة)! وذلك مع إهمال فارق المساحة، وهذا يتطلب مضاعفة العدد المقترح، طالما كان الوضع على تلك الصورة المأساوية التي تصورها الإدارة الأمريكية.

● التباين في موقف الحكومة إزاء دخول القوات الأممية والأجنبية في مناطق مختلفة:

لعل ما سبق أحد الأسباب التي حَدَتْ بالرئيس عمر البشير إلى اتخاذ موقف صلب من دخول القوات الأممية، فضلاً عن اقتطاع خمس مساحة السودان من سيادة الدولة بدخول تلك القوات مطلقة اليد، وزِد على ذلك التهديد الاقتصادي الذي قد ينجم عن انفلات الأمور من قبضة الحكومة في مناطق قريبة من حقول النفط، والتي قد يُتغول عليها بدعوى الإشراف وضبط الأمور، وأضف إلى ذلك التهديدات الثقافية لرقعة لم يكن - حتى عهد قريب- يعرف فيها غير الإسلام ديناً بخلاف الجنوب، مع عدم استبعاد تأجيج صراع عرقي قُدِحَتْ شرارته في تلك الأرض على غرار ما تأجج في العراق من احتراب طائفي وعرقي، وقد يفضي بالبلدين إلى تقسيم ليشهد الشرق الأوسط الجديد دويلات متجاورة متنافرة بينها ما صنع الحداد الأمريكي، وكل ذلك في عصر التكتلات الأممية الغربية، وعلى أحسن الأحوال يظل كيان الدولة هشاً مفتقراً إلى اليد الغربية مدة مديدة.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو وجود نحو عشرة آلاف من القوات الأممية في أرض السودان بموجب اتفاقية سلام الجنوب، وقد يتساءل البعض: لماذا هذا الموقف المتشنج من البشير تجاه دخول قوات أممية في دارفور مع إذنه الفعلي بوجود قوات أممية في الجنوب؟! وبينما يرى البعض هذا الموقف ضرباً من التعارض والتناقض، يراه آخرون ضرباً من الوعي والنظر النافذ، فالبَونُ بين القوات الأممية في الجنوب والقوات الأممية المقترحة لدارفور كبير، فدخول الأولى تمَّ تحت



(١) ينظر الرابط التالي عن مكتب برنامج الإعلام الخارجي التابع لوزارة الخارجية الأمريكية:

http://usinfo.state.gov/ar/Archive/2006/Aug/18-804383.html.

الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة[1] وهذا يقضي بأن طبيعة تلك القوات محدودة الصلاحيات تتلخص في العمل على مساندة حكومة السودان في حفظ السلام، وتفاصيل عملها وفقاً لنص القرار الصادر من الأمم المتحدة كالتالي[2]:

«سيكون هنالك ٧٥٠ مراقباً عسكرياً سيقومون بأداء مهام المراقبة والتحقق في مناطق مسؤولياتهم المحددة.

من بين قوات حفظ السلام، البالغ تعدادها ١٠,٠٠٠ جندي، سيكون هنالك حوالي ٤,٠٠٠ عسكري يشكلون قوة حماية تكون مسؤولة عن توفير الحماية لموظفي الأمم المتحدة ومعداتها ومنشآتها؛ إضافة إلى مساعدة السلطات السودانية في حماية المدنيين المُعرَّضين إلى خطر داهم.

سيكون هنالك ٤,٠٠٠ آخرون يعملون في الأنشطة الإدارية واللوجستية؛ إضافة إلى أداء مهام نزع الألغام وإعادة البناء».

فتلك هي مهام القوة الأممية في الجنوب، ولعل هذا ما يفسر عدم الجدية في إكمالها؛ إذ لم يرسل من العدد المقرر غير نصفه، مع ما تسرب من تجاوزات مالية وغيرها متعلقة بهذه القوة السلمية[3]، وقد نجم عن ذلك إهمال اللاجئين والنازحين من سكان الجنوب، والذين يقدر تعدادهم بخمسة ملايين نسمة، فلم تقدم لهم الأمم المتحدة أو الولايات الأمريكية أو بريطانيا مع بقية الدول التي تطالب اليوم بإرسال قوات دولية لدارفور؛ لم تقدم الدعم المقرر، فقد جاء في تقرير المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة أن عدد اللاجئين الذين عادوا للجنوب بمساعدة المفوضية بلغ ١٠ آلاف شخص من بين ٥٠٠ ألف شخص، وبينما تكلف الإعادة نحو ٣٧٦ مليون دولار؛ لم تتسلم المفوضية العليا سوى ٣٩ مليون دولار، أي قريباً من عُشر المبلغ المقرر!

وقد صرح الدكتور (لام أكول) - وزير الخارجية الجنوبي التابع لحركة تحرير السودان - بأن المانحين الذين تعهدوا في العام الماضي بتقديم ٤,٥ مليارات للسودان لم يقدموا سوى ٣٠٪ مما وعدوا به.

هذا ما يتعلق بقوات حفظ السلام الدولية في الجنوب، وأما قوات الاتحاد الأفريقي فلا تتجاوز وظيفتها حفظ بنود اتفاقية (أبوجا) التي تمت برعاية أفريقية، كما أن طبيعة تلك القوات مكونة من خليط؛ في جملتهم قوات تجمع دولها مع السودان مصالحُ مشتركة كـ: مصر، وليبيا، وموريتانيا، والجزائر، ونيجيريا وغيرها.

وأما القوات الأممية المقترحة لدارفور فقد كانت أولاً مخولة للتدخل تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة؛ والذي يخولها صلاحيات مطلقة لفعل ما تراه مناسباً دون كبير اعتبار لوجود دولة لها نظامها، بل ربما كانت الدولة في نظرها شأنها شأن أي جماعة متمردة، وقد جُوبه هذا القرار بالرفض التام من قبل حكومة السودان.

ثم جاء مشروع القرار الأمريكي البريطاني والذي وصفته الحكومة السودانية بأنه: «خبيث ومضلل»، مع أنه صمم باعتباره ضمن الفصل السادس لميثاق الأمم المتحدة، ولكنه في نظر الحكومة صيغ صياغة حملته كل جينات البند السابع الذي يتحدث عن التدخل بالقوة لفرض الأمن، متجاهلاً حكومة السودان، متعاملاً مع الوضع وكأن السودان دولة بلا حكومة، بل أعضاء حكومتها قد يتم التعامل معهم كما يتعامل مع المتمردين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وعلى كافة الأصعدة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لعل مما يفسر التصلب إزاء التدخل الأممي هو أن الحكومة قد رأت الآثار التي ترتبت على دخول القوات الأممية تحت الفصل السادس، وعلمت ما قدمته للبلاد وماذا أخرت، وهذا كفيل بوضعها حداً لما كان على شاكلة تلك التدخلات أو أشد خطراً.

ومن جهة ثالثة فإن الحكومة السودانية فيما يبدو تطمع في نقاش مشكلة دارفور ضمن إطارها الإقليمي عن طريق الاتحاد الأفريقي، أو جامعة الدول العربية، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، وذلك وفقاً للفصل الثامن المتعلق بالتنظيمات الإقليمية من ميثاق الأمم المتحدة، ولا تريد تدخلاً أممياً مشبوهاً، خاصة مع الإقرار الجزئي بتحسن الأوضاع بعد اتفاق (أبوجا)، بالإضافة إلى اختلاف الصورة المقدمة عن الأوضاع المتدهورة سواء من حيث أعداد الضحايا أو غيرها بين كل من الحكومة والمنظمة الدولية، فبينما تصور الوضع الولايات المتحدة والمنظمات الحقوقية على أنه إبادة جماعية، فإن الحكومة السودانية ترى أن ذلك مبالغ فيه؛ بل هو مشكلة قصارها أن تكون إقليمية يمكن حلها عبر المنظمات الإقليمية.

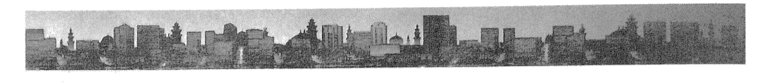
ومن جهة رابعة لئن كان دخول القوات الأممية ابتداءً في

(١) يحسن الرجوع لميثاق الأمم المتحدة لمعرفة بنود الفصل السادس والسابع، وعلى رابط المنظمة الدولية التالي نسخة من الميثاق:
http://www.un.org/arabic/aboutun/charter/charter.htm.

(٢) وذلك وفقاً لما جاء في قسم الوحدة العسكرية في صفحة بعثة الأمم المتحدة في السودان التابعة لموقع المنظمة الدولية، ينظر الرابط:
http://www.unmis.org/arabic/military.htm.

(٣) وذلك وفقاً لما ذكر في ندوة صحيفة الأهرام بعنوان: «دارفور.. مؤامرة تحت التنفيذ»، قدّمها محمود مراد، وشارك فيها القائم بأعمال السفارة السودانية في القاهرة وآخرون، وذلك يوم الخميس بتاريخ ١٤٢٧/٧/٣٠هـ.





الجنوب ضمن البند السادس، ربما ساغ اضطراراً نظراً لاشتراط طرف الصراع (الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة قرنق) دخولها وإلزامها به من أجل تحقيق السلام، فليس ثم ما يُلزم الحكومة بذلك من الجهة القانونية في دارفور.

وأخيراً لا ينبغي أن يُغْفل احتمال تمهيد الدخول إلى المطالبة بمجرمي حرب وفق التقييم الأمريكي، ومن ثم تنفيذ قرار المطالبة من قبل القوات الأممية إذا تم تبنِّيه، وهذا ما قد يطال مسؤولين ربما كان تسليمهم تسليماً لسيادة الدولة بكاملها على أرضها. وكل تلك عوامل معتبرة في القرار السوداني.

● خيار الحكومة السودانية وواجبها:

عوداً على بدء؛ وعلى الرغم من كل ما قد قيل؛ فإنه لا ينبغي أن تتلكأ الحكومة السودانية في البحث عن حل شامل لمشكلة دارفور، فلاشك أن في دارفور خللاً ينبغي أن يسدد، وشيء من انفلات أمني يجب أن يحفظ، ولئن كان الوضع في تحسن - باعتراف الأمين العام للأمم المتحدة - فإن عجلة ذلك التحسن غير مرضية من جهة، كما أن العوارض التي تعتريها ربما أرجعتها القهقرى ما لم تتخذ التدابير الكافية.

ولعل حفظ الأمن في تلك الرقعة، التي لا تزال مضطربة، من جملة واجبات الدولة، ولا يفترض أن تنتظر موافقة الأمم المتحدة على خطة مقدمة منها لأجل حفظ الأمن، ولئن كانت الدولة على قناعة من أن بسطها عشرة آلاف جندي كفيل بإحلال الأمن؛ فحري بها أن تبادر إلى تطبيق ذلك.

وإلا؛ فإن التقاعس وعدم طرح البرامج العملية لحل المشكلة كفيل بالتمهيد لدخول القوات الأممية ولو بعد حين، بخلاف ما لو تولت الدولة زمام المبادرة، وسجلت وجوداً في أرض الواقع قبل غيرها، وسعت في علاج الوضع الراهن، فربما أكسبها ذلك نقطة في الصراع من أجل حل الأزمة. ولعل هذه الخطوة لا بد منها لأجل ضبط الأوضاع، وإن أجلبت عليها بخيلها ورجلها بعض المنظمات الحقوقية التي تعتبر الحكومة السودانية، إلى جانب المليشيات، شريكاً في الإبادة المزعومة.

ومن الأمور التي تَسَعُ الحكومة أيضاً العملُ على تفعيل قوات الاتحاد الأفريقي للقيام بدور أكثر إيجابية، فالذي يظهر من التصريحات والتقارير الأممية والأمريكية وجود قناعة بأنه لا سبيل لإحلال قوات بديلة عن القوات الأفريقية قبيل مطلع العام المقبل، مع التصريح بضرورة العمل على تحسين أدائها، كما يظهر من تصريحات الحكومة رضاها بالتعامل مع القوات الأفريقية، ولذا حسنت استفادتها من تلك القوات ذات الكم المقدر والبالغ نحو سبعة آلاف.

وعلى صعيد آخر لا بد من التحسب لرد الفعل الأممي الذي ربما تطور إلى نوع من فرض العقوبات الاقتصادية، كـ: منع تصدير النفط وغيره، وتحجيم ورود أنواع الحاجيات، ويكون ذلك ببذل الجهد السياسي الواعي الذي لا يغفل تفعيل الأحلاف الإقليمية - على ضعفها - لإيقاف تمرير قرار كهذا من شأنه أن يقهقر العملية السلمية في المنطقة، ويزيد معاناة المنكوبين أضعافاً، وبالإضافة إلى الجهد السياسي؛ لا بد من تفعيل جهود داخلية لإدخال الشعار القديم المتهالك: «نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع» حيز التنفيذ من جديد.

وأما الجبهة الداخلية فلا مناص من العمل على توحيدها على المصالح الوطنية، وهذا يتطلب التعامل مع أذرع المعارضة الداخلية المختلفة، والاستعانة بأولئك الذين يمانعون دخول القوات على الداعين إليها، والعمل على توعية من يعي منهم بسلبيات التدخل الأجنبي على المصالح الوطنية، والتي ربما جاء يوم من الدهر فملكوا زمام التصرف فيها، مع عدم إغفال خطاب القاعدة الشعبية وتنويرها، عن طريق الوسائل الإعلامية، بسلبيات دخول القوات الأممية.

ومما ينبغي التحسب له أيضاً رد الفعل الأمريكي المحتمل، والذي قد يصل إلى الدعم المباشر لأذرع التمرد، ولا مناص من التعامل معه سياسياً بالترغيب والترهيب، وعسكرياً بالتعبئة الجادة، مع التيقظ والردع الصارم.

وفي هذا الصدد يتوقع بعض المحللين بعض الخيارات الأممية المفتوحة، مثل: التدخل القسري المباشر في دارفور، أو التعامل مع رأس القيادة في الخرطوم، ولعل هذه الخيارات مستبعدة على الأقل في الوقت الراهن، على أن أقربها منالاً للحكومة الأمريكية التدخل القسري باستصدار قرار من مجلس الأمن الدولي، وهذا له آثار سلبية من شأنها تفجير الأوضاع في دارفور وغيرها، الأمر الذي لن يكفل تحقيق مصالح غربية، ولا قيم إنسانية، ولا سيما مع عرض الحكومة حل الأزمة بإرسال قوات قوامها نحو عشرة آلاف جندي إلى هناك.

ومن تأمل ماضي الخلاف حول قضية دارفور يجد أن الحكومة السودانية، خلافاً لما يصوره البعض، قد أفلحت في كسب نقاط على المائدة الدولية، وحسبك أن العقوبات كان يراد لها أن تُفرَض على الحكومة منذ يونيو ٢٠٠٤م، وفقاً للقرار ١٥٥٦، بالإضافة إلى التغير الملموس في المقترح الأمريكي ليكون التدخل الأممي أقل حدة في مشروعه الجديد من سابقه المقترح تحت البند السابع، ولعل الحكومة السودانية تستطيع - بموقفها الصلب المعلن وعملها السياسي الدؤوب - التقليل من حدة المشروع الأخير، ليكون الخيار الأسوأ دخول قوات حفظ السلام الأممية تحت الفصل السادس وفقاً لمشروع يهذب المشروع (الأمريكي البريطاني) من بعض ما جاء فيه.

وبعد؛ فيظل المطلوب من الحكومة كثيراً.





الأجندة الخفية للقوات الدولية في لبنان



محمد مصطفى علوش(*)

alloushadam@yahoo.com

يبدو أن القوات الدولية التي قدمت إلى لبنان، عقب القرار (١٧٠١) لتشرف على تطبيق ذلك القرار، لها أجنْدَة خفيَّة غير معلنة كان قد تم التخطيط لها في كل من: تل أبيب، وباريس وألمانيا، وواشنطن؛ والسبب الذي يدعونا إلى مثل هذا الظن هو تصريح وزيرة الخارجية الصهيونية (ليفني) لمجلة ألمانية بداية الشهر الحالي أن القرار (١٧٠١) صيغ في مكتبها قبل أن يعرض على مجلس الأمن. ويأتي هذا التصريح بالتزامن مع كلام (انجيلا ميركل) المستشارة الألمانية بأن: القوات الدولية جاءت إلى لبنان لحماية الحدود الصهيونية. والسؤال الآن: هل هذه الأجنْدَة الخفيَّة تكمن في نزع سلاح (حزب الله) فقط؛ بعد أن تكشف مؤخراً الحوار الذي دار بين البطريرك (صفير) الزعيم الروحي للمسيحيين في لبنان وبين أحد كبار المسؤولين في البيت الأبيض؛ حين طلب البطريرك (صفير) وقف الحرب على لبنان؛ أجابه الأخير بغضب شديد قائلاً له: «لقد أخرجنا لكم سورية من لبنان مقابل نزع سلاح (حزب الله)؛ ولم تقوموا بنزعه حتى الساعة»؟ أم إن الأجنْدَة الخفيَّة للقوات الدولية في لبنان تتعدى موضوع سلاح (حزب الله) حتى تصل إلى سلاح الفلسطينيين في المخيمات مع ضعف الدولة اللبنانية في حل هذا السلاح؟

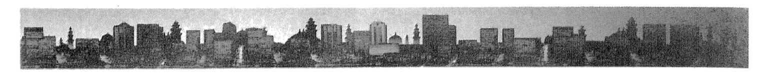
أم إن الأجنْدَة الخفيَّة من قدوم القوات الدولية تأسيس قاعدة لحلف شمال الأطلسي في لبنان ومراقبة الحدود البحرية؟ حيث يمثل لبنان موقعاً استراتيجياً بحرياً خطيراً في ملف الحرب على الإرهاب، بعد صدور عدة تقارير تشير إلى أن القاعدة في طريقها إلى لبنان وسورية والأردن؛ بعد كتابة أحد رموزها، وهو أبو مصعب السوري، كتاباً يزيد عن ١٠٠٠ صفحة يتوقع فيه أن المعركة القادمة بين الإسلاميين والأمريكيين ومن لف لفهم، بعد غزو أفغانستان والعراق، هي في بلاد الشام؛ داعماً نظريته بحديث نبوي يشير فيه النبي - عليه الصلاة والسلام - على اجتماع ٨٠ راية من رايات الشرك لتقاتل المسلمين في بلاد الشام.

أم إن وجودها - أي القوات الدولية - لاستكمال ولادة طبيعية لشرق أوسط جديد، يعاد فيه ترتيب المنطقة بما يتفق مع منظومة المصالح الغربية، خصوصاً بعد صدور تقرير في مجلة القوات المسلحة يشير فيه إلى إعادة رسم خريطة للمنطقة تُولَد فيه دول جديدة تكون مع دولة الصهاينة من أكثر الدول حماية للمصالح الغربية؛ وهي دولة كردستان الكبيرة، والتي من خلال هذا التقسيم سيصبح وجود دولة العدو الصهيوني في الجسم العربي، أو الشرق أوسطي، طبيعياً بعد ولادة دول ذات طبيعة عرقية أو طائفية؟!

لقد صرح (داليما) رئيس وزراء إيطاليا، الذي تقود دولته القوات الدولية في لبنان، بأن إيطاليا ستشارك بفاعلية في السياسة الدولية، ولن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يحدث في المنطقة. ومن هنا أرادت إيطاليا استضافة أول لقاء حصل بين الحكومة اللبنانية والصهاينة بحضور (خليجيٍ فرنسيٍ) لبحث مشكلة الحرب على لبنان في الوقت الذي كانت طائرات وبوارج العدو تضرب الحجر والبشر، وكان لها ما أرادت؛ حيث استطاعت أن تقود القوات الدولية القادمة إلى لبنان مع صدور القرار (١٧٠١)، كما أن فرنسا، الدولة الأوروبية التي كانت خلف القرار (١٥٥٩)، القاضي بنزع سلاح الميليشيات وحلها،

(*) كاتب لبناني.





وإخراج القوات الأجنبية من لبنان؛ في إشارة صريحة إلى سورية، بعد أن تأزمت الأوضاع بين فرنسا وسورية قبيل اغتيال الحريري وحتى الآن؛ كان لها الدور البارز في الإعداد لقدوم قوات دولية إلى لبنان البلد الذي استعمرته فرنسا طويلاً، وتعتبر نفسها راعية للنصارى فيه والساهرة على حقوقهم، في بلد تتعدد فيه الطوائف بشكل كبير على اختلاف مشاربها ودلالاتها.

في الوقت الذي تعزز فيه الولايات المتحدة الأمريكية وجودها في المناطق القريبة من النفوذ الفرنسي في أفريقيا؛ لا سيما في القرن الإفريقي وأفريقيا الوسطى وبعد صدور القرار (١٧٠٦) الخاص بـ (دارفور)؛ ترى فرنسا أن وجودها مهدد داخل القارة السمراء، حتى إن عدد قواعدها العسكرية التي كانت تتعدى المائة قاعدة انحسرت ليبقى منها ست قواعد فقط موجودة في: السنغال، وساحل العاج، والجابون، وتشاد، وجيبوتي، والكاميرون. كانت عين فرنسا تقع على بقية مستعمراتها السابقة، والجميع يعلم كم تسعى فرنسا لتعزيز الفرانكفونية في العالم بكل ما تملك من الوسائل، وفي ظل هذا المناخ كان لبنان يحتل موقعاً مرموقاً لفرنسا على هذه الاستراتيجية، حيث يعتبر البوابة التي من خلالها تستطيع فرنسا أن تدخل بقوة إلى سائر الدول العربية؛ لا سيما سورية. كان لا بد من صفقة أمريكية فرنسية تتمثل في إطلاق يد فرنسا في لبنان من خلال الاتحاد الأوروبي مقابل فتح المجال قليلاً للولايات المتحدة في توسيع نفوذها في القارة السمراء، وبما أن معظم الطوائف اللبنانية ينظرون بعين الريبة تجاه فرنسا لتاريخها المخزي في لبنان؛ كان لا بد أن تكون القوات الدولية تحت إمرة غير فرنسية من حيث الظاهر، تمثلت بإيطاليا، في الوقت الذي تحرك جميع الخيوطَ القواتُ الفرنسية فيما يتعلق بدور القوات الدولية.

وكما أن لهؤلاء مصالح في لبنان؛ فإن لتركيا، المشاركة في القوات الدولية، مصالح أيضاً؛ ولكن في مكان آخر. فقد كشف تقرير صدر مؤخراً يؤكد أن اتفاقاً تم بين تركيا من جانب والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة من جانب آخر؛ على أن تقوم تركيا بمراقبة الطائرات الإيرانية المتوجهة عبر أراضيها إلى كل من لبنان وسورية مقابل غض الطرف عن ملاحقة تركيا لحزب العمال الكردستاني، بعد أن تبين حسب صحيفة (يو إس توداي) أن صوراً عالية التقنية التُقطت لجنود إيرانيين في قاعدة جوية إيرانية وهم ينقلون ثمانية صواريخ (سي ٨٠٢) المضادة للسفن، ويشحنونها على متن طائرات شحن إيرانية توجهت فيما بعد إلى سورية؛ مما دفع الإدارة الأمريكية إلى القبول بالصفقة التركية بعدم السماح للطائرات بعبور أجوائها إلا بعد القيام بتفتيشها مقابل إطلاق يدها في ملف حزب العمال الكردستاني.

أما بالنسبة لمصر فقد كانت المكافأة لها في إنجاح هذا المشروع هو السماح لها في تطوير أبحاثها النووية؛ حيث أكدت الولايات المتحدة الأمريكية قبل يومين أنها لا تمانع من أن تساعد مصر في استعمال التقنية النووية. وكان الرد المصري غير الرسمي على لسان جمال مبارك، أمين عام الحزب الوطني الحاكم، الذي تناول لأول مرة موضوع الطاقة في مصر، وأن مصر ينبغي أن تطور من موارد الطاقة لديها بما فيها الطاقة النووية. والسبب في هذا التطور الغريب لموقف الولايات المتحدة من موضوع التقنية النووية لدولة عربية، مع سكوت مطبق للصهاينة حول الموضوع؛ فالولايات المتحدة، وبعد قصور أجهزة المخابرات والتجسس لديها في معرفة النقطة التي وصل إليها برنامج إيران النووي، والتي تشير كثير من التقارير إلى أن إيران وصلت إلى نقطة اللاعودة في برنامجها النووي ولا يستطيع أحد أن يوقفها عن دخول النادي النووي، كان لا بد من إيجاد منافس لها غير الدولة الصهيونية، وكانت مصر الدولة المرشحة للعب هكذا دور. فالولايات المتحدة توهم العرب أن سلاح إيران النووي هو لمواجهة العرب، وليس لمواجهة الصهاينة، فإيران لها مطامع كبيرة في النفط العربي في الخليج، ودورها في سرقة العراق لا يخفى على أحد.

أما بالنسبة للدولة العبرية؛ فإن قدوم القوات الدولية خطوة مهمة جداً لها في مرحلة تغير الجغرافيا السياسية للمنطقة؛ حيث تخشى أن تتعرض لهجمات عديدة من قبل حركات مقاومة، وقد بدا هذا القلق في تصاريح عدة مسئولين كـ (آرييل شارون) و (بنيامين نتنياهو) حول أن الدولة العبرية تعيش في «جوار خشن»، حيث لا يستمع أعداؤها سوى لمنطق القوة. كما أن ما كشفه التقرير السنوي للمخابرات الصهيونية بأن العام ٢٠٠٧م سيكون الأقسى من الناحية الأمنية، مع احتمالات فتح جبهة جديدة هي الجبهة السورية إلى جانب الجبهة الشمالية في لبنان مما يجعلها بحاجة لمن يحمي ظهرها من صواريخ المقاومة اللبنانية و (هجمات القاعدة)؛ التي بدأت الاحتمالات تزداد بقرب توجهها من الأهداف الصهيونية عبر الحدود اللبنانية. ولمواجهة هذا السيناريو كان للصهاينة رغبة في إنشاء منطقة عازلة في جنوب الليطاني لفصل لبنان، ولو شكلاً في هذه المرحلة، عن الصراع العربي الصهيوني عسكرياً وأمنياً دون أن يحد من نشاط الصهاينة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي المصلحة المشتركة لكل هذه الدول على الأراضي اللبنانية؛ بدءاً من الدولة الصهيونية، ومروراً بالعالم الغربي، وانتهاء بالدول العربية؛ لا سيما مصر والأردن؟

الجواب نجده ماثلاً غاية الوضوح في تصاريح جميع زعماء هذه الدول من خلال حديثهم عن ما يسمونه (الإرهاب الإسلامي)، والذي يهدد كل المتواطئين مع العدو ومموليه. إنه يراد غسل دماغ هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، من الداخل والخارج، من التفكير بمقاومة أي مشروع يُفرض عليها، ولا يتم ذلك إلا بالقضاء على الحركات المقاومة كـ (حزب الله) في لبنان، وحركة حماس في فلسطين، والقضاء على تنظيم طالبان في أفغانستان، وبخاصة المقاومة في العراق؛ في إطار صفقةٍ





تقوم على أساسها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بغض النظر عن التجاوزات اللاأخلاقية لبعض الدول العربية في قمع شعوبها؛ مقابل المحافظة على المصالح الغربية في البلدان العربية؛ ولكن للأسف فإن الدول العربية، أو بالأحرى الأنظمة العربية، لا تقرأ التاريخ جيداً؛ فقد قامت بريطانيا بلعب هذا الدور مع الشريف حسين في مكة لمقاتلة الدولة العثمانية مقابل مساعدته في بسط يده على الدول العربية؛ إلا أن البريطانيين فعلوا عكس ذلك؛ فجعلوا الدول العربية كلها تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني وفق اتفاق (سايكس بيكو)، فهل يا ترى يقوم المستعمر الجديد بلعب الدور نفسه؛ لا سيما أن التاريخ يعيد نفسه؟

نعم صدر القرار الدولي (١٧٠١)، وكان شديد الغموض؛ فالقرار يحتمل تأويلات وتفسيرات عديدة تصل حد التناقض، ويبدو أن القرار كان قد صيغ بعناية في مكتب وزيرة الخارجية الصهيوني قبل أن تضع عليه الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا اللمسات الأخيرة، حتى يكون القنبلة الموقوتة التي تفجر الأزمات اللاحقة كما هو الأمر مع كثير من القرارات الدولية التي يرعاها ويصوغها الكبار كالولايات المتحدة، ولا أدل على ذلك من البند ١٥ من القرار الدولي (١٧٠١) الذي يدعو كل الدول «أن تتخذ الإجراءات الضرورية للحؤول دون أن يتم من خلال مواطنيها، أو انطلاقاً من أراضيها، أو عبر استخدام مراكبها أو طائراتها بيع أي كيان أو فرد في لبنان، أو تزويده بأسلحة ومواد ذات صلة من أي نوع؛ ولا سيما منها أسلحة وذخائر ومعدات شبه عسكرية، باستثناء ما تسمح به الحكومة اللبنانية أو اليونيفيل».

أما بالنسبة للدولة اللبنانية فهمُّها الوحيد: كيف تمارس حكمها في لبنان؟ وهاجسها رغبة الصهاينة بنزع سلاح (حزب الله) وتحويل لبنان إلى منتجع سياحي وعنصر جذب لكل ما هو غربي، ولا يعنيها بحال ما إذا كانت هناك أجنْدَة خفية للقوات الدولية أم لا؛ فالسيادة اللبنانية غائبة أصلاً ولم تكن حاضرة في يوم من الأيام منذ ٣٠ سنة، أي منذ دخول قوات الردع العربي السوري إلى لبنان في عام ١٩٧٥م.

لقد قدمت القوات الدولية بعد صراع طويل في مجلس الأمن، أعلنَ خلاله الوفد العربي نجاح دبلوماسيته في جعل القرار الدولي (١٧٠١) تحت البند السادس الذي يجعل من القوات الدولية ذا طبيعة ردعية وليس طبيعة هجومية، إلا أن الكاتب العربي المعروف محمد حسنين هيكل تناول هذا الأمر بالسخرية، وقال معلقاً على القرار: إن تفسيره يحتمل وضع القوات الدولية تحت الفصل السابع، أكثر مما يحتمل وضعها تحت الفصل السادس، والإشكالية هنا لم تكن من قبَل الحكومة اللبنانية؛ بل من قبَل (حزب الله)؛ لأنه لا يرغب أن تقوم القوات الدولية بالتجسس على تحركاته، ومن ثم تقوم بنزع سلاحه بحجة تطبيق القرار الدولي. وبعد شهرين من صدور القرار تقريباً بدأت تتكشف الحقائق والمؤامرات، وأن القرار وُجدَ ليكون عبئاً على (حزب الله)، وحمايةً للحدود الشمالية للعدو، وربما في المستقبل أن تقوم القوات الدولية بنزع سلاح (حزب الله) نيابة عن الحكومة الصهيونية. وإلا، كيف نفسر استقدام فرنسا فوج المدفعية ٥٧ إلى لبنان، المجهزة بالأسلحة المضادة للجو كنظام قذيفة (فرانكو) الألماني أرض - جو قصير المدى، وقذيفة (المسترال) تحت الحمراء أرض - جو، بالإضافة إلى دبابة Leclerc، التي تعتبر آخر التقنيات العسكرية بدلاً من الدبابة الكلاسيكية، هذه المعدات التي صنعت أصلاً للعمليات الهجومية، وليس للردع فقط؟! ثم كيف نفسر الاحتياطات الأمنية المبالغ فيها التي اتخذتها القوات الفرنسية في بلد آمن أصلاً، إن لم يكن هناك أجنْدَة خفية غير المعلن عنها؟

لقد جاءت القوات الدولية إلى لبنان مع وجود أكثر من ٢٥٠ جهاز تنصت حديث متطور في البحر، قادر على التقاط كل المكالمات الهاتفية؛ الثابتة والخلوية واللاسلكية، فضلاً عن مراقبة البريد الإلكتروني والفاكس، وذلك باللغة العربية واللغات الأجنبية كافة، وخصوصاً الفرنسية والإيطالية والإنكليزية والإسبانية. ويقوم بتشغيل أجهزة التنصت هذه مهندسون في الاتصالات، ومتخصصون في تفكيك الشفرة والرموز والرسائل المرمَّزة. ومن تجهيزات القوات الفرنسية التابعة للقوات الدولية، عددٌ من الشاحنات التي تحمل رادارات متنقلة قادرة على تحديد مصدر إطلاق الصواريخ.

وما يزيد الشكوك أكثر حول طبيعة مهمة القوات الدولية في لبنان؛ تجميدُ عمل المدير العام للأمن العام اللبناني مؤخراً لمدة عشرين يوماً - وهو رجل شيعي قريب من توجهات أمل و(حزب الله) - من قبَل وزارة الداخلية، والتي يسيطر عليها تيار المستقبل، الذي أصر على قدوم القوات الدولية إلى لبنان، وكان التجميد على إثر إشكال بدأ يتفاعل في الآونة الأخيرة في جنوب الليطاني، بين قيادة القوات الدولية وقيادة الأمن العام على خلفية مسعى دولي غير معلن يقوده الجنرال (آلان بيل لغريني) لإقفال مركز الأمن العام الحدودي بين لبنان والعدو في الناقورة، وهو ما أبلغه قائد القوات الدولية (آلان بيل لغريني) عبر رسالة إلى قيادة الأمن العام طالباً إقفال المركز، وسحب عناصره بذريعة: أنه معرض للخطر من جانب الصهاينة، بما في ذلك خطر إطلاق النار، وأن الأمم المتحدة لا تريد أن تتحمل المسؤولية، وأشارت إلى أن جواب الأمن العام بعد مراجعات رسمية قضى بالإبقاء على المركز، لا؛ بل تعزيزه، وتحمل تبعات ذلك.

لقد تحولت شواطئ لبنان ميداناً للسفن الحربية الغربية في خضمِّ التحولات الجغرافية السياسية لمحاصرة سورية، ووجود هذه الأساطيل قرب الشواطئ اللبنانية جوهره إشراك أوروبا في إعادة رسم المنطقة العربية امتداداً إلى «الشرق الاوسط الجديد» الذي يشمل: إيران، وتركيا، وأفغانستان، وباكستان، إضافةً إلى شمال إفريقيا العربية، ووصولاً إلى السودان، كما هو واضح وجلي لكل ذي لب، أو لمن له عينان!





القرابين البشرية

د. يوسف بن صالح الصفير(*)
salehh70@hotmail.com

عندما نبحث عن شيء يجتمع فيه الذكاء والغباء مع طهارة الشعار الممزوج بعهر الاختيار فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ويخطر على البال شعارُ الحرب على الإرهاب، الذي تجاوز شعارات نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في الطرح السياسي الأمريكي، إنه شعار برّاق فيه جاذبية، وسيلته الحرب التي توحي بالقوة، وهدفه تخليص العالم من الشرّ المتمثّل برموز الإرهاب وأدواته.

وحيث إن الإرهاب لم يتم تعريفه فإنه يمكن تصوّر المقصود باستقراء الأحداث والمواقف الجارية التي تؤدي إلى أن الإرهاب المقصود هو كل فكر أو سياسة أو ممارسة تؤدي - أو يمكن أن تؤدي - إلى التأثير السلبي على الهيمنة الأمريكية، ولذا نجد أن الأهداف المختارة في هذه الحرب تشمل المصحف الشريف بتدنيسه، والمسلم العفيف بإذلاله جنسياً في (أبو غريب وغوانتنامو وباجرام)، وتشمل - أيضاً - تتبّع المناهج التعليمية وتعديلها، وتحجيم المدارس والجامعات الإسلامية بل وتدميرها.

لقد وضعت السياسة الأمريكية دول العالم الإسلامي أمام خيارات تنحصر في أن يتمَّ إرجاعها إلى العصر الحجري على يد سيدة العالم، أو الدخول في عملية تدمير ذاتية بجرِّ الحكومات إلى صراعات داخلية لا نهاية لها. إنها سياسة أذكى ما فيها هو السلاح.

إذا كان السودان قد حسم أمره بعدم الخضوع والسماح للقوات الدولية باحتلال السودان فإن اليمن قد بدأ يعي مخاطر الدخول في صراع داخلي بتوجيهات أمريكية، ولذا سارع بتبرئة من اعتُقلوا بتُهم التخطيط لمهاجمة أهداف أمريكية في اليمن، فقد تمَّ اعتقالهم ضمن سياسة تقديم القرابين البشرية التي تستمتع بها الإدارة الحالية في البيت الأبيض.

أما باكستان فإنها تقدِّم مثالاً حيّاً للطغيان الأمريكي والخضوع الإسلامي وآثاره الكارثية على الجانبين؛ فمع التهديد الصريح لباكستان، ومسايرة الحكومة الباكستانية لهذا الهوس الأمريكي بالقرابين البشرية، وقيامها ببيع أمريكا مئات المعتقلين عشوائياً حتى امتلأت بهم معتقلات (غوانتنامو وباجرام) والسجون السرية حول العالم؛ فقد وقعت أمريكا في مشكلة أن آلاف المعتقلين دون أدلة أو تُهم قد أصبحوا حقاً - بعد سنوات من الاعتقال ظلماً - أعداءً حقيقيين لأمريكا، وأصبح إطلاق سراحهم يمثل خطراً على الأمن القومي، أما إبقاؤهم دون محاكمة فإنه يعري العدالة الأمريكية المزعومة.

لقد مثلت هذه المسايرة الباكستانية بداية لابتزاز أمريكي متواصل تجاوز إلى محاولة جرِّ الحكومة إلى صراع داخلي؛ من استهداف للمدارس الإسلامية، إلى سحب للجيش الباكستاني من الحدود الهندية إلى مناطق القبائل ودخوله في صراع دموي ستكون نتيجته سقوط الحكومة أو تفكّك باكستان.

ولذا نجد أن قادة الحكومة يصرّحون أن تصرّفاتهم محكومة بدرجة التهديد الأمريكي، وأنّ كل ما قاموا به وما سيقومون به هو مجرد تنفيذ لرغبات أمريكية، فقد نقلت صحيفة (دون) الباكستانية عن وزير الخارجية (خورشيد محمود قصوري) قوله: «تأييدنا للولايات المتحدة أمر إلزامي لم يكن اختيارياً، ولو كانت باكستان أبدت موقفاً غير متعاون مع الولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب كان يمكن أن تتحول البلاد إلى حالة مشابهة لما يحدث في العراق».

لقد تجاوز الأمر القيام بأعمال لا تخدم مصلحة باكستان إلى اقتراف جرائم بشعة وتبنّيها وتبرئة أمريكا من أيِّ دور مباشر فيها، فقد تواردت الأنباء بقيام الجيش الباكستاني بعملية بريّة وجويّة استهدفت مركز تدريب للمتطرفين - كما زعموا - ومقتل عشرات المسلّحين ثم تبين أن العملية قامت بها طائرة من طراز (أباتشي) عن طريق صواريخ موجهة (ذكية).

ومع اتهام المعارضة لأمريكا بتنفيذ العملية سارع الناطق باسم الجيش الباكستاني بنفي اشتراك قوات أمريكية في الهجوم، ثم اعترف ناطق عسكري باكستاني أن الجيش استعمل معلومات استخباراتية أمدّته بها قوات الاحتلال التي تعمل تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان.

وما لم يجب عنه الناطق هو: منذ متى تملك باكستان طائرات (الأباتشي)؟ وهل تمَّ التأكد من صدقيّة المعلومات الأمريكية؟ وإذا كانت الجثث لمسلّحين فلماذا لم يتم التحفّظ عليها وعرضها مع متعلّقاتها من السلاح إعلامياً؟ ولماذا تُرك أمر التكفين والدفن لأهالي المنطقة مع غياب تامٍّ للقوات التي قامت بالهجوم البرّي المزعوم.

إن ما شاهدناه هو مصاحف ممزّقة وجثث بعضها لأحداثٍ صغار السِّنّ.

إن قيام الحكومة بالسماح لأمريكا بضرب مدرسة وقتل ما يقارب المئة من طلبة العلم الشرعي أمرٌ شنيع، وقيام الحكومة الباكستانية بتبنّي هذه الجريمة أو القيام بها نيابة عن الأمريكان أمرٌ أكثر شناعة. وما أنا متأكد منه أن مبدأ طلب رضا أمريكا سيجرّ إلى مزيد من التجاوزات والجرائم، فأمريكا لم تعد ترضيها القرابين الحيّة، بل تجاوزتها إلى القرابين الميتة؛ تطبيقاً للحكمة الغربية أن المسلم الطيب هو الميت.

ونذكّر كل صاحب سلطة تجاوز الحدود بالظلم وسفك الدماء المسلمة البريئة التي عصمها الله بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب»، فلهم أن يختاروا بين حرب البشر وحرب الله.

(*) أستاذ مساعد في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.





أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

من هنا وهناك

- ذكرت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة أن ١,٦ مليون عراقي على الأقل شردوا داخل البلاد بمن فيهم ٤٢٥ ألفاً فروا من بيوتهم هذا عام بسبب العنف الطائفي، وأضافت أن ١,٨ مليون عراقي لجؤوا إلى دول أخرى، من بينهم عدد ممن فروا قبل عام ٢٠٠٣م، وقالت المفوضية إن نحو ٤٠ ألف عراقي يصلون إلى سورية وحدها كل شهر، وأنه يوجد في سورية حالياً ٦٠٠ ألف لاجئ عراقي، وفي الأردن ٧٠٠ ألف وفي مصر ١٠٠ ألف على الأقل، و ٥٤ ألفاً في إيران، ونحو ٤٠ ألفاً في لبنان..

[ميدل إيست أون لاين: ٢٠٠٦/١١/٣م]

- نقلت صحيفة واشنطن بوست عن البيت الأبيض أنه لا يحق لمن اعتقلوا في سجون سرية تابعة للمخابرات المركزية الأمريكية أن يصفوا أمام محكمة كي يتم استجوابهم بحجة أن أساليب الاستجواب المخابراتية من بين أكثر أسرار الأمن القومي حساسية، وأن من المتوقع أن يتسبب الكشف عنها «في حدوث ضرر خطير للغاية»، وقالت الحكومة للقاضي (ريجي والتون): إن «الإرهابيين» قد يستخدمون هذه المعلومات في تدريباتهم لمواجهة الاستجواب.

[رويترز: ٢٠٠٦/١١/٤م]

- اعلنت شركة نيتكرافت لمراقبة الإنترنت أن عدد مواقع الإنترنت في العالم تجاوز ١٠٠ مليون موقع للمرة الاولى، وقال ريتش ميللر المتحدث باسم نيتكرافت إن أكثر من ٢٧,٤ مليون موقع جديد أضيفت هذا العام، وتعني الأرقام الجديدة أن الإنترنت تضاعف في الحجم منذ مايو ٢٠٠٤ عندما وصل المسح إلى ٥٠ مليون موقع حيث كانت المدونات والمواقع الصغيرة للشركات وراء زيادة المواقع..

[وكالات]

- كشفت وثيقة تم نشرها مؤخراً في بريطانيا حملت عنوان «المجتمع تحت الرقابة» أن هناك تزايداً كبيراً في نشر كاميرات المراقبة، وتسجيل تحركات الأشخاص وجمع المعلومات وتحليلها عن عادات السكان الشرائية والاستهلاكية والتنصت على هواتفهم الخلوية واهتماماتهم على شبكة الإنترنت، وذكرت الوثيقة أن عدد الكاميرات يبلغ حالياً ٤,٢ مليون في بريطانيا أي بمعدل كاميرا واحدة لكل ١٤ شخصاً.

[ميدل إيست أون لاين: ٢٠٠٦/١١/٢م]

علامة تعجب

«الهلال الشيعي»

أكد الناطق باسم حزب الله اللبناني الشيعي (حسين رحال) أن الحزب لن يتراجع عن المهلة التي حددها للنزول إلى الشارع بعد أسبوع من انطلاق جلسات التشاور رغم أنها مقررة لأسبوعين، محملاً المسؤولية لفريق الأكثرية وقال: «لقد جعلنا شهر رمضان ٤٥ يوماً، كرمى للرئيس (نبيه) بري، ولن نمدده أكثر «في إشارة منه إلى هدنة رمضان التي أعلنها الحزب، ثم مددها أسبوعين بسبب دعوة (نبيه بري) القيادات السياسية إلى التشاور.

[الشرق الأوسط: ٢٠٠٦/١١/٤م]

«عندما تتبرج العقول»

في برنامج تلفزيوني حواري، تحمست ضيفة البرنامج لمهاجمة النقاب، وقالت: إنها تشعر «.. بالاشمئزاز كلما رأت امرأة منقبة، أو امرأة عارية، وأن الذين يفتون بالنقاب لا علم عندهم، وإنما مجرد جهلاء..»؛ وتعمل الضيفة أستاذة الفقه الإسلامي بجامعة الأزهر في مصر، وهي ضيفة شبه دائمة على عدد من البرامج الدينية في بعض القنوات الفضائية، ويتم إبرازها بوصفها داعية متنورة، والاشمئزاز في اللغة يَرِدُ بمعنى النفور والانقباض والقُشَعْرِيرة.

[بتصرف عن العربية نت: ٢٠٠٦/١٠/١٧م]

«المحافظون.. على ماذا؟»

العضو الجمهوري مارك فولي في الكونجرس الأمريكي عن ولاية فلوريدا، تم انتخابه ست مرات لمنصبه، وهو معروف بكونه حامي حمى الأطفال من الاستغلال الجنسي المتفشي في الولايات المتحدة، وهو رئيس للتجمع الذي يعنى بالأطفال المستغلين في مجلس النواب، وحضر قبل شهرين حفلاً في البيت الأبيض للتوقيع على قانون سلامة وحماية الأطفال للعام ٢٠٠٦م، ومع ذلك تكشفت مؤخراً فضيحة حول تبادله لرسائل جنسية تفصيلية مع مراهقين قُصَّر ذكور، إضافة إلى ممارسات متدنية، مما اضطره للاستقالة الفورية في محاولة لمنع تكشف المزيد، خاصة وقد تبين أن حامي الحمى: شاذ جنسياً؛ ويذكر أن الحزب الجمهوري يسيطر عليه المحافظون الجدد.

[نيوزويك: ٢٠٠٦/١٠/٢٤م]

مطاردة الأخت «فلة»

يعاني النظام الحاكم في تونس من مرض غريب اسمه «متلازمة الحجاب»، وهذا المرض يجعل المصاب به يشعر بحالة من الهياج والهيستيريا لمجرد رؤية الحجاب، ولو كان منكمشاً في صورة غطاء على رأس امرأة، وقد تطور المرض مؤخراً لمرحلة بالغة الخطورة؛ إذ بدأت الأعراض في الظهور لمجرد رؤية دمية أطفال اسمها «فلة»، هذه الدمية تصور فتاة ترتدي حجاباً «عصرياً»، وحفاظاً على الأمن العام شنت السلطات حملات دهم واسعة النطاق لمطاردة «فلة» في جميع المحلات والأسواق، وأخيراً تمت السيطرة على الأزمة وألقيت «فلة» في غياهب المجهول، مع حرية الشعب التونسي، فداء لحامي الديار.

البيت الأبيض، ليس غاضباً من زيادة أسعار النفط:

أثارت شركات النفط الأمريكية غضب الديمقراطيين بسبب الأرباح الهائلة التي تحققت لها مع تزايد أسعار النفط، خاصة في العام الأخير.

ويقول (جون كيري) المرشح الديمقراطي الذي خسر الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٤: «إن الأرباح التي تحققت في هذا الفصل وحده ناجمة عن الامتيازات التي حصلت عليها الشركات الكبرى بعد أن ساهمت مباشرة في وضع قانون الطاقة، واستفادت من البرامج التي تم تمويلها من المال العام وحصلت على حق استغلال موارد الدولة لغايات تجارية». وأضاف: «لكن كيف لنا أن نعجب من ذلك حين نعلم أن إكسون قدمت للجمهوريين ٨٩٪ من مساهمتها في تمويل الأحزاب السياسية؟».

وفي الصيف الماضي ذهبت عضو مجلس الشيوخ الديموقراطية (بربارا بوكسر) إلى اتهام الشركات النفطية «بالتلاعب بالعرض» لزيادة أسعار الوقود. أما (هيلاري كلينتون) التي يحتمل أن تكون المرشحة الديموقراطية للانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨ فتطالب بإلغاء الامتيازات الضريبية التي تمنح للشركات النفطية، وأن توضع المبالغ المتأتية من هذا الإلغاء في «صندوق استراتيجي» يهدف إلى تطوير الطاقات البديلة.

ويدافع مديرو الشركات النفطية عن انفسهم بالقول: إن تكاليف استخراج النفط من بعض المناطق باهظة، كما يذكرونَ أن ارتفاع الأسعار سببه أيضاً الطلب المتزايد من دول مثل الصين والهند.

وتتربع شركتا إكسون موبيل وشيفرون على عرش النفط في أمريكا والعالم، وتفوق أرباح الشركة النفطية الأمريكية الأولى (إكسون موبيل) في الفصل الثالث أرباح جميع الشركات الأمريكية الكبرى الرائدة في مجالها سواء كان ذلك في القطاع المصرفي أو التكنولوجي أو الغذائي.

وقد بلغت أرباح هذه المجموعة ١٠,٤٩ مليار دولار أي ما يعادل ١١٤ مليوناً يومياً مع رقم أعمال قدره ٩٩,٦ مليار دولار، وعلى فترة سنة أزدادت هذه الأرباح بنسبة ٢٦٪ مع زيادة أسعار النفط خلال الصيف حين وصل سعر البرميل إلى مستويات قياسية متخطياً ٧٨ دولاراً قبل أن يتراجع مرة اخرى، والعشرة مليارات دولار التي ربحتها «إكسون موبيل» بين تموز/ يوليو وأيلول/ سبتمبر تتخطى مجموع أرباح كل من المجموعة المصرفية الأولى «سيتي غروب» (٥,٥ مليار دولار) وشركة «غوغل» للإنترنت (٧٧٣ مليون) وكوكا كولا (١,٥ مليار).

اما ثاني شركة نفطية أمريكية «شيفرون» فقد بلغت أرباحها في هذا الفصل خمسة مليارات دولار (+٤٠٪) بينما حصدت الشركة الثالثة «كونوكو فيليبس» ٣,٨٧ مليار دولار.

وتنتقد المعارضة الديموقراطية الامتيازات الضريبية التي تمنح للشركات النفطية، في الوقت الذي وصلت فيه الأسعار في محطات الوقود إلى معدلات لم تشهد الولايات المتحدة مثلها من قبل (نحو ٢,٢٠ دولار للغالون الواحد اي ما يعادل ٣,٨ ليترات)..

[موقع صحيفة الحقائق ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م]

ولا يزال البحث جارياً عن «المعتصم»....

كشف تقرير أصدرته الشبكة الاتحادية الإقليمية للأنباء «يرين» الشهر الماضي والتي تتبعت حركة تهريب آلاف الفتيات العراقيات إلى بعض الدول في منطقة الخليج العربي، والشرق الأوسط، أن الفتيات يتم استغلالهن في أعمال منحرفة، وخاصة ممارسة الزنا، ومن بينهن ٣٥٠٠ فتاة سجلن كمفقودات في العراق، واورد التقرير وقائع لفتيات مثل مريم ١٦ عاماً، التي سلمها والدها تحت ضغط الفقر مقابل ستة آلاف دولار إلى اشخاص، وعدوه أنهم سيرسلونها إلى مدينة عربية لتعمل في تنظيف البيوت، على أن يعيدوها إليه بعد عام، مريم وافقت على الذهاب للمساعدة في تربية إخوتها، خاصة بعدما قتلت قذيفة أمريكية والدتها في بغداد عام ٢٠٠٣، ولكنها فوجئت بانها ترغم على ممارسة الفاحشة، وبرفقتها عشرات الفتيات اللاتي يتم تهديدهن بالقتل في حال رفضهن متابعة الأعمال الفاحشة، وأخيراً تمكنت من الفرار والعودة إلى بغداد..

يذكر أن الشبكة الاتحادية الإقليمية للأنباء «يرين» التي أعدت ونشرت التقرير تتبع بشكل شبه رسمي للأمم المتحدة، وتتلقى دعماً مالياً رسمياً من دول مثل أستراليا، وكندا، والدانمرك، واليابان، وبريطانيا، والولايات المتحدة. وبالرغم من كونها مركزاً إخبارياً تابعاً للمنظمة إلا أن تقاريرها لا تعبر بالضرورة عن راي المنظمة.

وذكر التقرير الذي نشرته الشبكة التابعة أن تجار الرقيق الأبيض يعملون بحرية في العراق وقالت «نهى سليم» ناشطة في إحدى الجمعيات النسائية: إن وقف هذه العملية مستحيل.

وقالت ناشطة أخرى: إن هناك نحو عشرة آلاف امراة من أصول مختلفة، يتم استعمالهن من قبَل عصابات عالمية منظمة في هذا العمل في المنطقة العربية. وذكر التقرير أن سورية تعتبر من الدول التي تستخدم كمحطة لتهريب الفتيات من العراق، ولكن يبدو أن الأمر لا يثير حفيظة احد طالما أن الأمر لا يتعلق بتهريب المتطوعين للمقاومة في العراق.

[بتصرف عن موقع صحيفة الحقائق]



بوش يحطم الأرقام القياسية:

اجرت جامعتا جونز هوبكنز ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا الأمريكيان وجامعة المستنصرية العراقية مسحاً لأعداد القتلى في العراق منذ الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وأظهر المسح ان ٦٠٠ ألف عراقي قتلوا في أحداث عنف منذ فترة وجيزة قبل الغزو الأمريكي للعراق وحتى الآن، وذكر المسح المشترك أن ٣١ ٪ قتلوا على أيدي التحالف أي ما يقرب من ٢٠٠ ألف عراقي، وشملت الدراسة قيام أطباء عراقيين بزيارة أكثر من ١٨٠٠ منزل لسؤال ساكنيها عن الضحايا والاطلاع على شهدادت وفاة أصحابها، والمثير أن هؤلاء الأطباء انفسهم تعرضوا للقتل على يد الميليشيات المسلحة رغم أن الأطباء كانوا يلبسون المعاطف البيضاء ويعلقون السماعات حول اعناقهم، ويزعم جورج بوش أن عدد القتلى لا يتجاوز ٣٠ الف قتيل، وتذكر أرقام وزارة الصحة العراقية أن القتلى ١٥٠ الف قتيل، بينما ذكر الدكتور حارث الضاري أن عدد القتلى من السنّة فقط ٢٠٠ الف، مائة الف منهم بيد الاحتلال والبقية بيد الميليشيات الشيعية. وذكرت مجلة لانسيت البريطانية الطبية المعروفة أن عدد القتلى في العراق بلغ ٦٥٥ الف قتيل خلال أعوام الاحتلال، وحسب أرقام الجامعات الثلاث فإن رقم ٦٠٠ الف يمثل ٢,٥ ٪ من الشعب العراقي، ويمثل وفاة ١٥ الف قتيل شهرياً. ويذكر أن القوات الأمريكية تسببت في قتل نحو ١٠٪ من الفيتناميين في حربها الطويلة ضد هذا البلد؛ فهل ينتظر الأمريكيون أن يحققوا رقماً قياسياً في العراق قبل أن ينسحبوا؟

[الإحصاءات من مجلتي نيوزويك ٢٤ /١٠ /٢٠٠٦م والحوادث ٢٤ /١٠ /٢٠٠٦م]

«سي آي إيه».. هل تصبح «م م أ»؟

تواجه الاستخبارات الأمريكية أزمة كبيرة في ترجمة الوثائق المتراكمة والمتزايدة بصورة هائلة باللغة العربية، ولجأت الإدارة الأمريكية للاستعانة بمترجمين أميركيين عرب يعملون من منازلهم وبدوام جزئي، وقال مدير المركز الوطني الافتراضي للترجمة إيفيريت جوردان: «لدينا أناس لديهم عمل بوقت كامل ويعملون لحسابنا بضعة ساعات في الأسبوع حين يمكنهم ذلك».

وأنشئ المركز الوطني الافتراضي للترجمة في ٢٠٠٣ من قِبَل الكونغرس، وذلك للاستجابة جزئياً لحاجات أجهزة المخابرات والبنتاجون .. وأقام المركز شبكة مترجمين يعملون من منازلهم في الولايات المتحدة ويترجمون وثائق بعشرات اللغات، غير أن اللغة العربية هي الأكثر طلباً في هذه الفترة بسبب الحرب في العراق، والحرب الأمريكية ضد الحركات الإسلامية، بدعوى محاربة الإرهاب... ويعاني المركز من نقص في المترجمين العرب وهو في تنافس مع باقي أجهزة الدولة على التعامل معهم، وأبرم عقوداً مع الجامعات من أجل إعداد موظفين مستقبليين. وقال جوردان: «الجميع يبحث عن أشخاص يتحدثون العربية».

غير أن التكلم باللغة العربية وحده غير كاف إذ يجب أيضاً التحدث بطلاقة باللغة الإنكليزية، وامتلاك خبرة في مجالات تخصص مثل أسلحة الدمار الشامل وذلك للتمكن من ترجمة وثائق تقنية.

وصرح جوردان: «هذا الأسبوع لدينا ١٥٠ شخصاً يعملون» مترجمين من العربية، وأوضح أن عقود العمل يمكن أن تكون قصيرة جداً ليومين أو ثلاثة أيام، للقيام بمهمة محددة وهو ما يفسر تغير أعداد العاملين.

ويدفع للمترجمين باحتساب عدد الكلمات أو الساعات في حال تعلق الأمر بشريط مسجل، وحالياً العمل في الترجمة من اللغة العربية هو الذي يدر أعلى الأجور؛ إذ يتم دفع ٣٩ دولاراً عن الساعة، وهو أجر أعلى بكثير من الترجمة من الأسبانية التي يدفع ٢٧ دولاراً لقاء ساعة ترجمة منها إلى الإنكليزية.

ولا يعرف المترجمون أي فرع في الحكومة الأمريكية طلب ترجمة الوثيقة التي يترجمونها، وتتم معالجة الوثائق التي تصنف من أسرار الدفاع، ما يمثل ربع عمل المركز، من قِبَل مترجمين في مكاتب مؤمَّنة تابعة للحكومة الأمريكية.

ويجب أن يكون المترجمون العاملون لحساب المركز الافتراضي للترجمة من حاملي الجنسية الأمريكية، ويتم إجراء عمليات تثبُّت من ماضيهم وعلاقاتهم. وتحت ضغط توسع عمليات التجسس على كل ما هو عربي أضطرت الأجهزة الاستخباراتية إلى إدخال مرونة على معايير اختيار المترجمين، خاصة ما يتعلق بعلاقاتهم العائلية في الخارج. وأضاف: «إن ذلك يجعل عمليات التثبت أكثر تعقيداً». بيد انه أشار إلى أن الأمر يستحق المخاطرة بالنظر إلى أن هؤلاء المترجمين «يحملون معهم تجربة ثقافية غنية، مرتبطة بعلاقاتهم العائلية، وهذا يضاف إلى قيمة ترجمتهم للمعلومة».


[بتصرف عن مواقع ميدل ايست اون لاين: ٢ /١١ /٢٠٠٦م]



س و ج

س: كيف يمكن معرفة العدد الحقيقي للقتلى الأمريكيين في العراق، وسط فيض المعلومات والتحليلات المتضاربة؟

ج: وفقاً لموقع «تي بي آر الإخباري» وهو موقع يتابع دورياً أعداد القتلى والجرحى من الجنود الأمريكيين في العراق، فإن عدد القتلى من الجنود الأمريكيين قد فاق الـ ١٥٠٠٠ جندي أمريكي، وزاد عدد الجرحى عن ٢٧٠٠٠ جندي أمريكي. وذكر كاتب أمريكي اسمه (براينج هارينج) في مقالة على نفس الموقع، أنه تمكن من استلام نسخ عن قوائم الشحن الخاصة بوحدة النقل العسكري الجوي للجنود الأمريكيين، الذين تم نقلهم إلى قاعدة «دوفر» الجوية، وهي تظهر أن أعداد الجنود الذين تمّ شحنهم أكبر بكثير عن الأرقام الرسمية المعلنة. كما يؤكّد الكاتب، وهو محلل ومراسل في المجال العسكري والاستخباراتي، أنه يمتلك وثيقة رسمية نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية ثمّ أعادت سحبها مباشرة، وهي تشير إلى أن عدد القتلى الأمريكيين في العراق قد بلغ ١٠٠٠٠ قتيل في الفترة الممتدة من آذار/ مارس عام ٢٠٠٣ إلى تموز/يوليو ٢٠٠٥، ويستنتج (هارينج) أنه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اعتراف المصادر الرسميّة الحكومية بوجود ١٥٠٠٠ إصابة بالغة وخطيرة إضافة إلى ٢٥٠٠٠ جندي جريح، فإنّ عدد القتلى الأمريكيين الذي لا يتعدى وفق الإحصاءات الرسمية الـ ٣ آلاف قتيل يصبح غير واقعي على الإطلاق، نظراً لنسبته القليلة. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتعداه وفق التقرير إلى هروب ما لا يقل عن ٥٥٠٠ جندي أمريكي إلى أيرلندا، وكندا، ودول أوروبية أخرى.

وكانت جمعية المحاربين الأمريكيين القدامى كشفت عن وثائق رسمية تفيد بأن العدد الحقيقي للقتلى الأمريكيين في حرب فيتنام يزيد بحوالي ٢٠٠٠٠ قتيل، عن الأرقام الرسمية التي كانت تنشر للجمهور آنذاك؛ إذ أوردت الأرقام الرسمية الأمريكية سقوط ٥٨١٨٢ أمريكياً بينما العدد الحقيقي وفق تلك الوثيقة يبلغ أكثر من (٧٨٠٠٠).

وحسب تقديرات الجماعات الجهادية في العراق فقد نشرت مجلة الفرسان على الإنترنت والتي تصدر عن عن هيئة الإعلام المركزي في الجيش الإسلامي في العراق أن إجمالي القتلى الأمريكيين يزيد على ٢٥٠٠٠ قتيل وعشرات آلاف الجرحى منذ بدء الاحتلال .

وتذكر بعض المواقع الإخبارية العربية على الإنترنت تقديرات تصل إلى ما يقرب من ٣٤ ألف قتيل، منذ بدء الاحتلال، كما يذكر موقع المختصر، والذي يعتمد في مصادره المعلوماتية في هذه القضية على موقع مفكرة الإسلام ووكالات الأنباء والمواقع العراقية ثمّ موقع الجزيرة الإخباري.

وللجمع بين الإحصاءات المتضاربة نورد عدة ملاحظات:

أولاً: إنّ الأعداد الرسمية الصادرة عن الحكومة الأمريكية أو البنتاغون لا يمكن أن تكون حقيقية أو حتى قريبة من الحقيقة.

ثانياً: الأرقام الرسميّة الأمريكية لا تشمل الجنود الذين يموتون خلال عمليات إسعافهم او عند نقلهم، كما لا تشمل الموظّفين الأمريكيين أو المتعاقدين الأمريكيين أو المرتزقة.

ثالثاً: يجب أن ناخذ بعين الاعتبار حجم العمليات اليومية للمقاومة، وقد ذكر (بوب ودوورد) الصحفي الأمريكي البارز، أن هناك ما بين ٨٠٠ إلى ٩٠٠ عملية تنفذ أسبوعياً ضدّ القوات الأمريكية، وهذا يعني أكثر من ١٠٠ هجوم يومياً، أي بمعدل أربع هجمات بالساعة.

وأفاد الجيش الإسلامي في سبتمبر أنّ عدد العمليات التي قام بها خلال الأربعة أشهر الأخيرة بلغ ٢٦٠٠ عملية عسكرية متنوعة.

خامساً: كتيبة القنص في الجيش الإسلامي أردت حوالي ٦٦٦ جندياً أمريكياً قتيلاً (عدد كبير منها مصور).

سادساً: اعترف البنتاغون بأن أكثر من ٥٥٠٠ جندي فروا من الخدمة منذ بداية حرب العراق، وقد نقل عن خط هاتفي اقيم لمساعدة الجنود الذين يريدون ترك القوات المسلحة، أن عدد المكالمات التي يتلقاها الآن هي ضعف عددها عام ٢٠٠١، وقد رد هذا الخط الهاتفي الساخن على ٣٣ ألف مكالمة في العام الماضي!!

العدد التقريبي للقتلى الأمريكين في العراق:

بالنظر لما ورد أعلاه من معطيات؛ نلاحظ أنّ هناك أربعة أرقام رئيسية فيما يتعلق بعدد القتلى الأمريكيين في العراق هي:

١ - ٢٧٩٠ قتيلاً وفقاً للأرقام الرسمية الأمريكية.

٢ - أكثر من ١٥٠٠٠ قتيل وفقاً لتقديرات المصادر الأجنبية المستقلة.

٣ - أكثر من ٢٥٠٠٠ قتيل وفقاً لتقديرات الجماعات الجهادية في العراق (الجيش الإسلامي).

٤ - ٣٣٦٩٣ قتيلاً وفقاً لتقديرات المواقع الإخبارية العربية (المختصر للاخبار).

ونستطيع أن نقول إن متوسط هذه الأرقام الثلاثة الأخيرة مجتمعة يساوي أكثر من ٢٤٠٠٠ قتيل أمريكي، وهو رقم منطقي ومقبول لعدد قتلى الأمريكيين في العراق والذي يتوافق مع الحقائق والمعطيات والوثائق، وهو يشكّل نسبة حوالي ٩،٨٪ من حجم الأمريكيين الكلي الموجود في العراق.

[باختصار عن مقال للكاتب (علي باكير)، الموقع الشخصي]



أخبار التنصير

خالد عبد الله

السلطات السعودية توقف منصّر فلبيني بتبوك:

اعتقلت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة تبوك بالمملكة العربية السعودية وافداً أجنبياً يدعو للتنصير.

وصرح الشيخ فهد السويح رئيس هيئة الأمر بالمعروف فرع «سلطانة» أن الوافد فلبيني الجنسية، وقد استأجر إحدى قاعات الأفراح بتبوك وأخذ يقرأ على الحاضرين أحد كتب الإنجيل، وكان الحاضرون قرابة ١٥٠ فرداً من جنسيات شتى، مشيراً إلى أن هذا المنصر قد استعان بأجهزة عرض مرئية.

وأضاف الشيخ فهد أن هذا المنصر هو قس يدعى «توني باباكيارو» ويبلغ من العمر ٤٠ عاماً، وأنه على الرغم من فداحة ما صنع هذا المنصر إلا انهم دعوه لاعتناق الإسلام، وقدمت له الجاليات الكتب والشرائط التي توضح دين الإسلام.

[صحيفة المدينة السعودية ١٦ أكتوبر]

الكنيسة المصرية تستعد لإطلاق ثاني قناة فضائية:

كشفت قيادات كنسية في مصر عن قرب تدشين قناة فضائية باسم «قبط – سات»؛ لتكون ناطقة بلسان الكاتدرائية المرقسية القبطية، وتعبر عن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر.

وألمحت القيادات الكنسية إلى أنه تمت الموافقة على طلب الكنيسة ببث القناة على القمر الصناعي المصري «نايل سات»، وهو ما لم يؤكده المسؤولون عن القمر المصري .

وستكون هذه القناة بمثابة ثاني فضائية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية المصرية يجري تدشينها بعدما احتفلت الكنيسة المصرية يوم ١٤ نوفمبر ٢٠٠٥م ببدء البث التجريبي لقناة «أغابي» – التي تتخذ من الكاتدرائية المرقسية أيضاً مقرّاً لها – على القمر الصناعي الأمريكي.

وتقول قيادات كنسية : إن الاستعدادات تجري حاليًا للبدء في اقرب وقت بالبث التجريبي لقناة «قبط سات»، وأن استوديو القناة الرئيسي تم بناؤه على مساحة الف متر مربع تحت إشراف عدد من الإعلاميين الاقباط. وتضيف أن البث الرئيسي للقناة سيبدأ عندما يكون لديها أكثر من ٢٠٠ ساعة بث مسجلة، زاعمة أن البرامج والمواد التي ستعرض على القناة لا تخاطب إلا النصارى خاصة في مصر، وأنها ستعرض الكثير من النشاطات الكنسية.

[موقع : إسلام اون لاين ١/١١/٢٠٠٦م]

الجزائر تكشف حملات تنصير من مغتربين في فرنسا:

كشف وزير الأوقاف الجزائري تورّط مغتربين جزائريين بفرنسا في حملات التنصير في بلاده خلال السنوات العشر الماضية.

وقال وزير الأوقاف بو عبد الله غلام الله إن هؤلاء المغتربين يتظاهرون بزيارة موطنهم الأصلي كل سنة لقضاء عطلة الصيف، إلا أن هدفهم الحقيقي هو جلب كتب تبشيرية يوزعونها على الناس، وهو ما أنتج بحسبه تنصّر عدد غير قليل من الجزائريين.

وأضاف الوزير على هامش افتتاحه فعاليات جائزة الجزائر الدولية الثالثة لحفظ القرآن الكريم: إنّ الكنيسة البروتستانتية في الجنوب الفرنسي تلجأ إلى إعداد وطبع نسخ من الإنجيل وكتب تنصير بـ «الأطنان» وتطلب من المغتربين الجزائريين توزيعها في بلدهم.

[صحيفة الخليج الإماراتية ٤/١١/٢٠٠٦م]

ترجمات عبرية خاصة بالبيان

محمد زيادة
mozenda@yahoo.com

الشاباك يقتل المرضى الفلسطينيين:

«جهاز الأمن العام لدينا متهم من قِبَل رابطة أطباء من أجل حقوق الإنسان بأنه يتبع سياسة منهجية لمنع دخول المرضى الفلسطينيين إلى إسرائيل لتلقي العلاج بزعم اعتبارات أمنية وهمية ، والرابطة تؤكد أن الشاباك يقوم بتطبيق السياسة بشكل عشوائي يؤدي لوفاة المرضى على الحواجز». [صحيفة هآرتس العبرية ١٢/١٠]

الهروب الأمريكي من العراق:

«لا شك أن الهروب الأمريكي المقترح من العراق سيعطي دفعة هائلة لحركة الجهاد العالمية ، وسيفسره ملايين المسلمين بأنه دليل هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية المكروهة». [صحيفة يديعوت احرونوت العبرية ٢٢/١٠/٢٠٠٦م]

أسماء يهودية على شوارع عربية:

«قرار الحكومة تشكيل لجنة لإطلاق أسماء جديدة على أكثر من ٩٠ شارعاً جديداً في المدن الإسرائيلية مخالف للقوانين؛ لأن اللجنة قامت بوضع عشرات أسماء الحاخامات على تلك الشوارع ومنها شوارع عربية».

[صحيفة يديعوت احرونوت العبرية ٢١/١٠/٢٠٠٦م]

تصريحات عبرية:

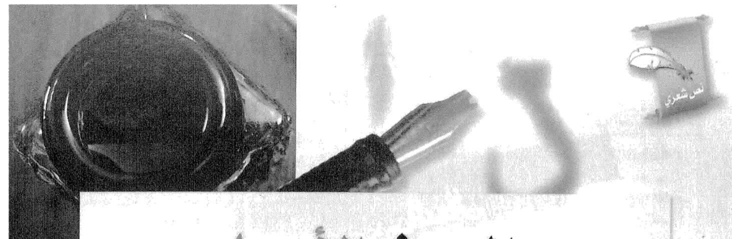
● «يجب إيجاد طريق ليكون عند المسلمين والمسيحيين واليهود إحساس بان لهم الحقوق نفسها في مجال الدين في مدينة القدس».

[اللواء احتياط يوسي بيلد ـ هآرتس ٢٠ / ١٠]

● «ما يشعر به الجميع هو اننا قد وصلنا إلى لحظة الحقيقة، والدولة بحاجة إلى رب للبيت يكون مغفلاً، والمغفل في نظري هو ذلك الشخص الذي يستطيع تحمل الانتقادات واخذ زمام المسؤولية والتضحية. نحن نتنازل لكل العالم إلا اننا لا نضحي واحداً للآخر. انا ابحث عن مغفل كهذا يكون مستعداً للتحمل في الساحة الداخلية، وأن يكون قوياً في الساحة الخارجية. اجل انا أريد أن اكون مغفلاً».

[الوزير الصهيوني افيجدور ليبرمان – يديعوت احرونوت ٢١/١٠/٢٠٠٦م]





الحرف الأصيل

سعيد بن عبد الله الزبيدي

عشقت حروف البوح تنداح رقّة ... تصافح أهداب المشاعر بالسحرِ
تذوب حنيناً ثم تنثال سلسلاً ... تتوق لها روحي ويسمو بها فكري
ويأسرني حرف الصفاء إذا جرى ... خفيفاً على الوجدان في رقّة يسري
وينتزع الدمعَ العصيَّ رصينُه ... إذا قلّبَ القلب الشجيّ على جمرِ
يصير به في لجّة الشدو سابحاً ... وتبذل عيناه النفيسَ بلا مهرِ
يزيح ستارَ الهمِّ عنك رنينُه ... وتحيا مع الأنغام في طيِّب النشرِ
وتسمو مع الحرف الزكي إذا سما ... تعانق شمس الكون في أُفقها تجري
هو الحرف إحساسٌ إذا رقّ دافئ ... وسيفٌ إذا ما احتدَّ ينطق بالزّجرِ
يذيب فؤاد الحُرّ شجواً ونغمة ... إذا ما ازدهى نبض الخواطر بالفكرِ
مسافة في مدى الأحلام شاسعة ... مكانها كالسَّنا من كوكب درّي
تحيطك معنى تحتويك تامّلاً ... وتهطل غيثاً في مرابعك البِكْرِ
تخال بها من نفث هاروت رقية ... يغرد فيها بالرّؤى بارق الفجرِ
ولست ترى زهر الحياة بدونه ... وكل لذيذ الصيد في لجّة البحرِ
عشقتك يا حرف السمو لأنني ... رأيت سفين الشعر دونك لا يجري
بدربك خَيْلي ما سئمت صهيلها ... وغايتك القصوى بذلت لها شعري
إنِ الشعرُ يرقى ترتقِ النفسُ عزة ... ويغدُ لها درب المفاخر ذا أسرِ



MY YEAR in IRAQ
AMBASSADOR L. PAUL BREMER III

بريمر وعـــام في العـــراق

ضوء على (مذكرات بريمر) بعد عام على العراق

أ. د. نعمان السامرائي

عـيَّن الرئيس بوش السفير المتقاعد (بول بريمر) مبعوثاً إلى العراق، قضى ما بين الشهر الثالث من عام ٢٠٠٣م حتى حزيران عام ٢٠٠٤م، وكان آخر وظيفة شغلها سفيراً متجولاً لمكافحة الإرهاب.

كتب مذكراته مستعيناً بحاسوب محمول، وبرجل صاحب خبرة؛ فأخرج المذكرات بعد أن سقط، أو اسقط، منها رسائل مهمة تبادلها (بريمر) مع المرجع الشيعي (آيه الله السيستاني)، عبر وسطاء ذكر بعضهم، ورسائل لزوجته في امريكا تصور ما كان يعانيه من ضغط، وصلت إلى حد البوح بانه (محبط) وانه سيكون (كبش فداء)؛ لانه كان يعيش ما يسميه (هاجس الإرهاب)، وكل قضية ينظر لها من هذه الزاوية. لهذا عاش يحارب بكل ما لديه من قوة ضد سحب اية قوات أمريكية من العراق، والأمر الآخر أنه ذكر بشجاعة أنه كان يعمل وفق سياسة (فرِّق تسد)، وقد ظل يلعب على الفرقاء الكبار في العراق، محاولاً كسب طرفين ضد الطرف الثالث، فإذا كان الطرف عربياً سنياً او شيعياً او كردياً فهو يحاول كسب طرفين ضد الثالث، لاعباً بمهارة على التناقضات، مُخوِّفاً كل طرف بانه يخسر إذا تشدد او لم يساير السياسة الأمريكية.

وكان شجاعاً حين صرح اكثر من مرة أنه: يمثل قوة الاحتلال، وان الكلمة الأولى له، ونسيان ذلك والتغني بالديموقراطية، لكنه يذكر: بأنهم لم ينفقوا الملايين ولم يضحوا بأبنائهم ليفعلوا كذا أو يضروا بكذا.

كان (بريمر) خلف حل الجيش العراقي والشرطة، ابتداءً صرح بأن أصدقاءه حثوه على ذلك، لكنه راح يعتذر بأن الجيش حل نفسه، لكنه سجل الأطراف الكردية والشيعية التي أسعدها ذلك، وذكر انها قالت: هذا أفضل عمل قام به في العراق خلال فترة وجوده، وإن كان الواقع يشهد بانه الأسوأ، والأكثر سواداً.

يسجل - دون مواربة - اهتمامه واهتمام حكومته بالمحافظة على (وزارة النفط)؛ لأنها تحوي الكثير ممّا يهمهم، ويسكت عن حرق وإتلاف (١٤) وزارة. كما يصمت عن ذكر فتح مخازن الجيش العراقي، والسماح لكل من يريد أن يأخذ من السلاح ما يريد، ولم يذكر مصير هذا السلاح، والذي قُطِّع وبيع (خردة)، وأن العائد كان له مع بعض المتنفذين (الجدد) ببغداد. سأكتفي بذكر بعض القضايا، فالمذكرات استهلكت (٤٤٥) صفحة، نسقها (محترف) ليخرجها بحيث لا تسيء



لصاحبها ولا لحكومته، وهذه بعض القضايا:

١ - (بريمر) يؤكد: نحن قوة احتلال. ولن نتحايل على ذلك، قالها في الاجتماع الأول مع العراقيين وكررها أكثر من مرة[١].

بينما يصرح عراقيون (منتفعون): إن القوات الأمريكية قوات تحرير!

٢ - محاربة تأسيس الجيش العراقي: يذكر (بريمر) أن الأكراد والشيعة رحبوا بحل الجيش العراقي، وأمروا أتباعهم بالتعاون مع (التحالف) منذ (تحرير العراق)، ولا يمكننا المخاطرة بفقدان تعاونهم[٢].

٣ - يمنُّ (بريمر) على الجيش العراقي الذي حله قائلاً: نحن سندفع لأشخاص كانوا قبل أسابيع فقط يقتلون الشبان الأمريكيين، لكن ذلك ثمن (يجب تحمله).

الجيش العراقي كان يحارب في بلده جيشاً جاء من وراء البحار، وخرب العراق، وقتل وما يزال، فمن هو الغازي ومن هو المغزو؟؟ وأخيراً: ما هذا الكرم الحاتمي يا (بريمر)؟؟

٤ - يصور (بريمر) الوضع في العراق في منتصف عام ٢٠٠٣م قائلاً[٣]: الكهرباء دون المستوى القياسي، وفيها الكثير من الأخطاء، ومرفق الماء والصرف الصحي يشكلان وصمة عار في بلد من أخصب المناطق في العالم، أما نظام المواصلات والاتصالات فهو من نوعية ما في العالم (الرابع) وليس الثالث، وبالإجمال فالبنية التحتية للعراق أسوأ مما هي عليه في البلدان الأخرى، أما المدارس فـ (٨٠٪) منها في حالة يرثى لها - كما تقول اليونسيف -.

وبعض الفصول الدراسية يحشر فيها (١٨٠) طالباً، ويوجد كتاب واحد لكل (ستة) طلاب في المتوسطة[٤].

٥ - يذكر (بريمر) أن المياه تتسرب وتضيع، والمجاري تعمل بطاقة ٢٠٪، والجديد أن النفايات ترمى بنهر دجلة والفرات، ويقدر تصريف ٥٠٠,٠٠٠ طن من النفايات - غير المعالجة - (برميها) في دجلة والفرات[٥].

٦ - أسلحة الدمار الشامل: يذكر (بريمر) بغضب: أن حكومته أرسلت (١٤٠٠) فرد بين مدني وعسكري، يقودهم شخص اسمه (بيل) يحسن العربية ومختص بأسلحة الدمار.

أقامت الحكومة الأمريكية أكبر محطة في العالم (محطة بغداد)، ومهمتها البحث عن أسلحة الدمار الشامل، لكنها لم تجد شيئاً.

يخاطب (بريمر) (بيل المذكور) قائلاً: إن البحث عن الأسلحة مهم، لكن الواجب علينا أن نهاجم من ينسفون عرباتنا ويقتلون جنودنا، ويخربون خطوط الكهرباء وأنابيب النفط، فجنودنا من المستبعد أن يُقتلوا بأسلحة الدمار الشامل، لكنهم يتعرضون يومياً للتفجير على أيدي الإرهابيين، والواجب العثور على هؤلاء والقضاء عليهم، وهو من الأولويات... يقول (بريمر): إن (بيل) لم يبدُ مقتنعاً[٧].

وبالمناسبة فإن هؤلاء، وغيرهم كثير، يبحثون عن نسخة من (توراة) قديمة كانت في منطقة (الكفل) في جنوب العراق واختفت، والبحث ما يزال جارياً عنها، وقد تكون وصلت لـ (الصهاينة)، مع الكثير من التحف التي سرقت من المتحف العراقي، ومنها ألوف الألواح المكتوبة والمنقوشة بالخط المسماري، والتي لا تقدر بثمن.

٧ - السفير (بريمر) ينثر وعوداً لكن بدون قبض:

يخاطب (بريمر) العراقيين قائلاً: ستعيشون بكرامة وبسلام وازدهار، مستقبلكم مليء بالأمل والكرامة، وإن كان من الصعب الحفاظ على الكرامة عندما تسير قوات (أجنبية) في شوارعكم، بصرف النظر عن حسن نواياها؛ لكن في الأشهر التالية سيقل عددها[٧].

الذي حصل حتى الآن عشرات الألوف من المعتقلين، ووصل عدد القتلى ٥٠ قتيلاً فأكثر، ولا ماء ولا كهرباء، ولا بنزين ولا غاز للطبخ (وستعيشون بكرامة وسلام وازدهار)!! علماً بأن خطة (بريمر) كانت ضد سحب أي جندي أمريكي من العراق، وقد حارب بكل قواه لإبقاء الجيش الأمريكي وزيادته.

وصدق الله العظيم فيما ذكره عن قصة بلقيس مع نبي الله سليمان - عليه السلام -: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤].

٨ - (بريمر) الذي يبدو أحياناً أنعم من الحرير، ويتحدث عن الاحتلال وأنه ضده، ولا يوجد في العالم من يقبله، ومع ذلك ينسى كل هذا فيقول - وهو يخاطب وزراء عراقيين -: أنتم الآن مسؤولون، لكن عليكم أن تعلموا من كبار مستشاريكم في الائتلاف بشأن مبادرات سياسية كبرى (مقترحة)، أحببتم ذلك أم كرهتموه؟! بالطبع ليس من الممتع أن تكون خاضعاً للاحتلال، ويمكنني أن أضيف: أو أن تكون المحتل، فالائتلاف هو (السلطة الحاكمة هنا)[٨].

٩ - شهادة صريحة: كان (بريمر) يدور في زيارات على

(١) المذكرات ص (٢٣٠)، (١١٩).
(٢) المذكرات ص (٧٥)، (٧٨)، (٨١).
(٣) المذكرات (٨٥).
(٤) المذكرات ص (٨٧).
(٥) المذكرات ص (٨٧).
(٦) المذكرات ص (١٤١).
(٧) المذكرات ص (١٧٨).
(٨) المذكرات (٢٠٥).

الوزارات العراقية، وزارَ وزارة (العدل)، وكان الوزير هاشم الشبلي، في استقباله، وبعد مباحثات قال (بريمر)[1]: كان الشبلي بالنسبة لي برهاناً على أن (الطائفة السنية) تضم قادة مهمين لمستقبل العراق، وغير ملوثين بالبعثية.

تلك شهادة، مع أن سياسة (بريمر) كانت قد دمرت كل سلطة أو وجود للعرب السنة، وسلمت كل شيء لغيرهم، وهمشتهم وأقصتهم إقصاء كاملاً.

بل إن (بريمر) راح يشيع أن الشيعة والأكراد يشكلون ٨٠٪ من سكان العراق[2]. وهو تقدير لا صحة له[3].

١٠ ـ الأسلحة المفقودة: يذكر (بريمر) أن الدكتور (ديفيد كاي) جاء للعراق مع مجموعة في بداية (تشرين الأول) من عام ٢٠٠٣م، ثم قدم تقريراً لمجلسي النواب والشيوخ الأمريكيين جاء فيه[4]: فلم يكن يمتلك (صدام) ـ عند اندلاع الحرب ـ آلافاً من الأطنان من الغازات السامة أو الرؤوس الحربية لإطلاقها، من تلك التي قالت أجهزة الاستخبارات الغربية: إنه يمتلكها... ا. هـ.

ويبدو أن هذه كانت قناعة السفير (بريمر)، لذا ذكرها دون تعليق وكان يستنكر البحث عنها، وحين سأله الرئيس بوش عن عمل (المخابرات)؟ يخبره بصراحة: أنه غير راضٍ؛ فهي ما تزال تبحث عن الأسلحة التي لا جدوى من البحث عنها، وتترك أموراً أهم وأكبر.

١١ ـ النفط النفط: يتحدث السفير (بريمر) عن شاب عراقي لقبه (خشب) قام وعماله بحماية مصفاة حين أراد غوغاء نهبها، حتى جاء جنود أمريكان وسيطروا على المصفاة القديمة[5].

(بريمر) هزه هذا الموقف فقال: أنت رجل شجاع، لكننا بحاجة إلى أكثر من هذه الشجاعة العنيدة، فصناعة النفط بمثابة دم الاقتصاد العراقي، وسيموت الاقتصاد إذا لم يتدفق، فالعراق يملك ثاني أضخم احتياطي نفطي في العالم، أي نحو (١١٢) مليار برميل... ا. هـ.

وهنا استذكر ما قاله مسؤول أمريكي: لو كانت الكويت تشتهر بزراعة الموز (فقط) لما أرسلنا جيشنا إلى هناك.

وحين سقطت بغداد كان أول شيء فعله الجيش الأمريكي إرسال دبابات لحراسة وزارة النفط، بينما تركت (١٤) وزارة للنهب والحرق، وأحرقت مكتبة الأوقاف، وحاول الصحافي البريطاني (باتريك سيل) أن يحرك الجنود الأمريكان فلم يتحرك أحد، ونُهب المتحف العراقي ولم يتحرك أحد، ومع ذلك يريد الأمريكان إقناع العالم أنهم جاؤوا لنشر الديموقراطية وليس من أجل النفط!!

١٢ ـ اعتراف صريح: يكرر (بريمر) موضوع حل الجيش والشرطة، وكل مرة يعلل بأمر، لكنه يصرح بأنه وأحد مساعديه (والت): ارتكبنا الخطأ المميت بتسريح القوات العراقية، ويبدو أن البنتاغون يمهد الطريق لتصحيح ذلك الخطأ.

لكنه يدرك خطورة ذلك على التحالف الثلاثي ـ الأمريكي الكردي الشيعي ـ لهذا فهو يقول: إننا إذا أعدنا وحدات من الجيش القديم، فإننا نعرِّض هذا التعاون للخطر، وربما ندفع الشيعة إلى معارضة الائتلاف... ا. هـ[6]، أما اليوم فهناك مفاوضات جادة من أجل إعادة الكثير من الضباط.

١٣ ـ دعوة الكل وحضور خمسة فقط: بين (بريمر) ومجلس الحكم ود مفقود، وتهجم من قبل (بريمر) بمناسبة وبدونها، وقد دعاهم إلى (عشاء خاص بمناسبة عيد الشكر) لكن لم يحضر سوى خمسة فقط (أكراد وشيعة)[7]. ظل (بريمر) يتهم مجلس الحكم بالتكاسل وعدم الفاعلية، وعدم الرغبة بالعمل، وفي كل مناسبة يسمع المجلس ما يهز البدن!!

١٤ ـ جئنا من أجل حرية العراق: السفير (بريمر) نسي مقولته عن جيش بلاده، وراح يتحدث قائلاً: ذكّرت العراقيين بأن شبابنا وشاباتنا اجتازوا نصف العالم للموت من (أجل حرية العراق). علينا أن نفهم ما هي المخاطر التي تواجهنا اليوم، إننا نواجه تحدياً لمستقبل العراق، هل سيحكم القانون العراق؟

وهنا أستعيد ما قاله المسؤول الأمريكي عن الكويت: لو كان العراق يزرع الموز لما أرسلنا جنودنا للقتال فيه.

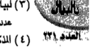
فحرية العراق آخر ما يشغل بال السياسة الأمريكية. وأدلهم على مكان أفضل: فالحرية تقتل يومياً في فلسطين، وفي بلاد كثيرة رأس مالها أنها موالية لأمريكا عاشقة للدولة العبرية.

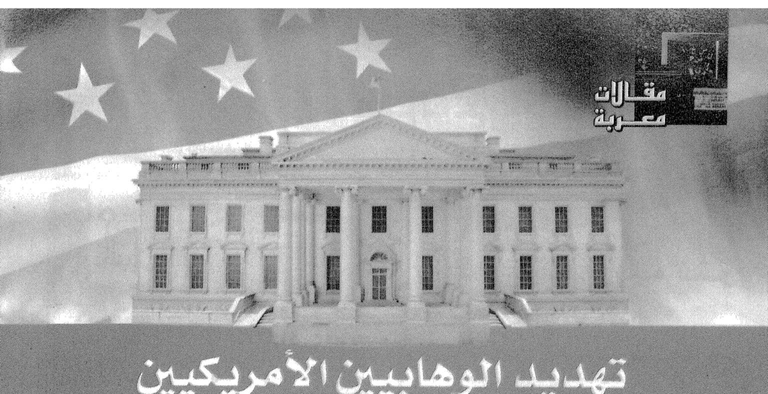
فلماذا هذا التذاكي؟ ولماذا لم يذهب جيشكم إلى كوبا أو كوريا الشمالية مثلاً؟

ولماذا الإصرار على إرسال جيش إلى دارفور ومنع ذلك عن فلسطين؟

---

(١) المذكرات (٢٠٧).
(٢) المذكرات (٨٧).
(٣) لبيان كذب دعوى أن الشيعة في العراق يمثلون بالأكثرية بينما السُّنة هم الأقلية انظر الحقيقة الكاملة في عرض لكتاب في الموضوع للشيخ د. طه الدليمي نشرته البيان في عدد (٢١٨).
(٤) المذكرات (٢٣٧).
(٥) المذكرات (٨٣).
(٦) المذكرات ص (٣٠٢).
(٧) المذكرات ص (٣٠٣).





تهديد الوهابيين الأمريكيين

مقال نشر في (سان فرانسيسكو إجزامنر) ١١ نوفمبر ٢٠٠٢م، وفي (ديترويت نيوز) ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٢م، وفي (ذي مسلم أوبزفر).

عبد الله بن ابراهيم المسفر

لقد أصبحت مأساة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م الآن فرصة للمشاريع الاستثمارية السياسية. هناك أناس أكثر فأكثر يستخدمونها لتحقيق التقدم للمصالح الطائفية التي غالباً ما تختلف مع المصالح القومية الأمريكية.

وهناك مجموعة واحدة وهي (مجموعة من يسمونهم بالوهابيين الأمريكيين؛ والأصح أن يسموا بالمتعصبين الأمريكيين) تستخدم أكثر من غيرها أحداث ١١ سبتمبر لتنفيذ سياستها المتطرفة بروح الانتقام.

إن كلمة (وهابي) في زعمهم تقدم تعريفاً لشكل أساسي للتفسير الضيق والمتعصب للإسلام.

ويتسم أولئك الأمريكيون المزعومون بما يلي:

١ - معارضة الحقوق المدنية والعدالة بالنسبة للنساء والأقليات الأخرى.

٢ - يعادون العلمانية، ويؤيدون فرض الدين على الآخرين بالقوة.

٣ - لا يتسامحون على الإطلاق مع الآخرين الذين لا يشاطرونهم معتقداتهم الدينية نفسها.

هؤلاء (الوهابيون) المزعومون؛ وبسبب نظرتهم غير المتسامحة وحساسيتهم تجاه قيم التحرر ومؤسسات التحرر ينغمسون على الدوام في (لاهوتية الكراهية)[1].

ولسوء الحظ فإن هناك مجموعة مماثلة للمتطرفين الدينيين المتعصبين في أمريكا تقوم بنسف الشخصية العلمانية لأمريكا، وتقلب رأساً على عقب رسالة السلام للنصرانية، وتقوم بتلويث البيئة الثقافية الاجتماعية في أمريكا. هؤلاء (الوهابيون الأمريكيون) مثلهم في ذلك مثل نظرائهم المسلمين؛ لا يتسامحون مع الشذوذ الجنسي، ولا مع الحركة النسائية، ولا مع الحقوق المدنية؛ كما أنهم لا يؤمنون بفصل الدين عن الدولة، ويكرهون أتباع الديانات الأخرى! هناك ثلاثة من أبرز القساوسة وأقواهم هم: (جيري فالويل)، (بات روبرتسون) و (فرانكلين جراهام) يمثلون الوهابيين الأمريكيين من خلال الكلمات والخطب التي يلقونها.

قد يتذكر القارئ أنه في أعقاب ١١/٩ مباشرة وجه (القس جيري فالويل) اللوم إلى مؤيدي الإجهاض والشذوذ الجنسي والحقوق المدنية؛ لأن هؤلاء قد أغضبوا الله بأفعالهم؛ مما تسبب في حدوث هجمات ١١ سبتمبر. لكنه اعتذر فيما بعد عمّا ورد في بياناته عندما اعترضت كافة الأطياف السياسية على ما قاله، بمن في ذلك الرئيس الذي وصف تعليقات (فالويل) بأنها: «غير مناسبة» كان بيان (فالويل) يخلو من الحياء،

(١) اللاهوت: هو علم العقائد الدينية والقضايا الإلهية، واللاهوتي: العالم في القضايا الدينية. (انظر: قاموس رائد الطلاب) للاستاذ جبران مسعود، من منشورات دار العلم للملايين، بيروت، والمؤلف عالم نحوي عربي من نصارى لبنان.

ويقدم مثالاً لا يتسم بأي حساسية لانتهازيته السياسية التي لم تسعَ فقط إلى تسييس مأساة (١١/٩)؛ ولكنها سعت إلى إثارة الكراهية ضد الجماعات التي يستهدفها (فالويل) وأتباعه على الدوام. وإذا لم يكن (فالويل) قد جُوبه بقوة من جانب كل من عناهم؛ فإن حملته الصليبية ضد الحقوق المدنية ومن يمارسون الشذوذ الجنسي كان يمكنها أن تجد وقوداً لها في استغلال العواطف المرتبطة بـ (١١/٩) وبالتالي تكسب زخماً أكثر.

خلال الأسابيع القليلة الماضية شن (الوهابيون الأمريكيون) حملة خطابية على الإسلام ورموزه الدينية، غير مدركين للكراهية التي يثيرونها ضد المسلمين في أمريكا، فضلاً عن المشاعر التي يثيرونها ضد أمريكا في العالم الإسلامي.

لقد وصف كل من (القس فالويل) و (القس روبرتسون) نبي الإسلام بأنه (إرهابي) وقالا: إن الإسلام وتعاليمه يمثلان مصدر العنف. وأعلن (القس فرانكلين جراهام) أن الإسلام وتعاليمه شريرة وخبيثة. وقد تبادلا فيما بينهما أدوار الخطابة لزرع الكراهية للإسلام والمسلمين خلال الشهور الثلاثة الأخيرة. إن رفض القيادة الأمريكية، وبخاصة رئيس الجمهورية، وضع حد لما يقومون به قد قوَّى من عزيمتهم، وبالتالي رفع مستويات فلسفة الكراهية لديهم التي يدعون إليها.

لقد أثارت تعليقاتهم الغضب بين المسلمين على مستوى العالم، بما في ذلك الاضطرابات الدينية في الهند التي أدت إلى مصرع خمسة أشخاص. وكانت ردود أفعال العديد من الباكستانيين تتسم بالغضب، وقد عبروا عن رفضهم لذلك بالتصويت بقوة لصالح من يؤيد طالبان وضد التحالف الأمريكي في الانتخابات الأخيرة في باكستان. إن المشكلة مع من يدعونهم بـ (الوهابيين الأمريكيين) لا تكمن فقط في أفكارهم وفي صناعة الكراهية التي يمارسونها؛ لكنها تكمن في أنّ لديهم العديد من الموالين المؤثرين على نتائج الانتخابات؛ وبسبب أصواتهم وقدرتهم على جمع الأموال؛ فإنهم يمارسون قدراً كبيراً من النفوذ، وبشكل مباشر على الكونجرس الأمريكي وعلى الرئيس، يفوق ما يمكن أن يمارسه العلماء في الدول الإسلامية المحافظة من نفوذ. وفضلاً عن ذلك فإن هناك علاقة وثيقة بين الرئيس نفسه والقس (فرانكلين جراهام) وأعضاء آخرين في الإدارة مثل وزير العدل (أشكروفت) وهي علاقة تثير قلاقل شديدة. فهل من قبيل المصادفة أن تكون أول جماعة مستفيدة مالياً من توجه (جورج بوش) الفعلي لتأييد تمويل البرامج المستندة إلى الدين هي جماعة (القس بات روبرتسون)؟! هل من الممكن أن يكون الهدف الرئيسي للمبادرة الفيدرالية لدعم البرامج المستندة إلى الدين؛ هو تمكين أولئك المتعصبين الأمريكيين من دمج برامجهم ضمن برامج الحكومة الفيدرالية؟

وأهداف هؤلاء المتعصبين تعود لتفعيل النبوءة الزائفة الخاصة بـ (صدام الحضارات).

يبدو أن محور الكراهية الأمريكي الذي يضم كل من (فالويل، وروبرتسون، وجراهام) من خلال تكرارهم للتعليقات المسيئة للإسلام والمثيرة للكراهية له وللنبي محمد، مقصود بها إشعال معركة (أرماجيدون) بين أمريكا والعالم الإسلامي.

عندما أحدث (إيجال عمير) هزة في العالم الغربي باغتياله لرئيس الوزراء الصهيوني (إسحاق رابين)؛ أكدت القيادة الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية بشكل متكرر: أن العنف كان هو النتيجة الطبيعية للبيانات التي تحث على الكراهية، لقد كانت كلها تشير إلى بيئة عدم التسامح التي أوجدها الصهاينة من خلال المتعصبين الدينيين اليهود الذين كانوا يعارضون السلام. لقد أدت تعليقاتهم المنطوية على الكراهية في النهاية إلى إثارة أحد المتطرفين اليهود وهو (إيجال عمير) ليقوم باغتيال (رابين). ويبدو أننا قد نسينا بسرعة هذا الدرس القاسي وذكريات حادث اغتيال (رابين) رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق.

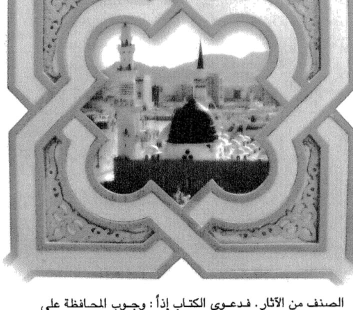
إن المسألة مسألة وقت؛ فعندما تتكرر البيانات المناهضة للمسلمين والبيانات المناهضة للإسلام من قِبَل مَنْ يدعون إلى الكراهية في أمريكا؛ فإن ذلك سوف يترتب عليه شكلٌ مُا من أشكال العنف الفظيع ضد المسلمين، وهناك حالات حدثت بالفعل من هذا القبيل؛ حيث قامت شرطة كاليفورنيا بالقبض على مسلحين بأسلحة ثقيلة يحتمل أن يكونوا إرهابيين يخططون للقيام بحملة تفجيرات ضد المسلمين، ويبدو أن القيادة الأمريكية، وبخاصة الرئيس الحالي، ينتظر حتى يحدث شيئاً فظيعاً قبل أن يوجه اللوم إلى القساوسة (فالويل) و (روبرتسون) و (جراهام) على «تعليقاتهم غير الصحيحة وغير المناسبة».

نحن نعيش في زمن حساس للغاية، فعدم شعور الناس بالأمان في تصاعد شديد، كما أن قدرتهم على المعاناة من الألم والتعصب والظلم يتم اختبارها بكل قسوة. إننا نواجه إمكانية اشتعال حرب عالمية بين أمريكا والعالم الإسلامي؛ والسبب الأساسي لهذه الحرب - لا سمح الله - لن يكون البترول، ولا الأجور الجيوسياسية، ولا تغيير الأنظمة؛ لكن السبب سوف يكون الخطب المثيرة للكراهية التي لا يمكن السماح بها، والتي يلقيها المتعصبون الدينيون الذين يخلطون بين التقوى الذاتية والتقوى المصحوبة بإسباغ صفة الشيطان على الآخرين باسم الدين.

منذ (١١/٩) شجب العديد من الأمريكيين، بمن فيهم المؤلف، وأدان تطرف الوهابيين المسلمين. لقد آن الأوان ليقوم الرئيس (بوش) بالإجراء الصحيح، وأن يشجب الكراهية التي يبشر بها المتعصبون الأمريكيون.







الرد على من زعم جواز التبرك بالآثار النبوية المكانية

علوي بن عبد القادر السقاف(*)

www.dorar.net

لقد أرسل لي أحد الفضلاء - جزاه الله خيراً - نسخة من كتاب بعنوان «الآثار النبوية في المدينة المنورة وجوب المحافظة عليها وجواز التبرك بها» مكتوب عليه: (وقف لله تعالى ١٤٢٧هـ)، فشدّني عنوانه وبخاصة قوله: (وجواز التبرك بها)، فقرأته على عجل، وشدّني أكثر تفسيره للآثار النبوية بالآثار النبوية المكانية، فعدْتُ له ثانية بعد أيام لأسجل هذه الملحوظات والوقفات مع الكتاب، ولو فسح الله في الوقت والعمر فسأُفرد لهذا الموضوع كتاباً مستقلاً.

يقع الكتاب في خمسين وسبعين صفحة من الحجم المتوسط، ويبتدئ بتقسيم الآثار إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: آثار تاريخية، كأنواع المباني والأواني والنقود القديمة، وهذا جعله الكتاب من اهتمام دارسي التاريخ والحضارة.

الصنف الثاني: آثار خرافية، كالقبور والأضرحة. وهذا استنكره الكتاب ودعا لمحاربته جزاه اللهُ خيراً.

الصنف الثالث: آثار إسلامية نبوية، وهذه يرى وجوب المحافظة عليها وجواز التبرك بها كما هو صريح عنوان الكتاب.

وذكر للمحافظة على هذا الصنف أربع فوائد: الاعتبار بها، والتبرك بها، وأنها تساعد على دراسة السيرة النبوية، وأنها زينة للمدينة.

وهذه الورقات تناقش الكتاب في دعوى جواز التبرك بهذا الصنف من الآثار. فدعوى الكتاب إذاً: وجوب المحافظة على هذه الآثار من أجل التبرك بها.

هذا؛ وقد استدلَّ الكتاب على دعواه بأدلة لا تنهض للدلالة على تلك الدعوى بحال، ولذا أرى لزاماً بيان سرِّ الخلط الذي وقع بسببه الكتاب، ذلكم هو عدم التفريق بين التبرك والتعبد، أو قُلْ بين التبرك من جهة، وبين الاقتداء والذي منه شدة الاتباع للنبي ﷺ من جهة أخرى، وكذا عدم التفريق بين آثار النبي ﷺ التي هي جزءٌ منه - كنخامته، وشعره، أو ما لامس جسده الشريف الطاهر كماء وضوئه وملابسه ورمانة منبره التي كان يمسك بها أثناء الخطبة - وبين الأماكن التي جلس عليها أو صلَّى فيها أو مرَّ بها.

أمَّا آثاره ﷺ سواءٌ كانت جزءاً منه ثم انفصلت عنه، أو خارجةً عنه لكنها لامست جسده الطاهر، فهذه هي التي كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتبركون بها دون توسع، وربما استمر الأمر على ذلك سنوات معدودات ممن أتى بعدهم، ثم انقرضت الآثار وانقرض تبعاً لذلك هذا التبرك. أما تلك الأماكن التي جلس عليها أو صلى فيها ثم بمرور الزمن اندرس منها ما لامس جسده الشريف وبقيت البقعة المكانية كما هي، فهذه هي التي وقع فيها الخلط عند المؤلف كما هو الحال عند غيره، ولذا عدَّها بعضُ الخلف مما يُتبرك به.

والتبرك معناه: طلب البركة، وهي زيادة الخير، ويكون

(*) المشرف العام على موقع الدرر السنية.

بالأعمال كالصلاة والصيام والصدقة، وكل أمر شرعه الله ففيه بركة الأجر والثواب، ويكون بالذوات وآثارها، وقد تقدم أن ما كان بذات النبي ﷺ وما لامسها فهو جائز، والكتاب المذكور إنما يعني التبرك بالذوات سواءً لامست جسده أو لا، ولذا ذكر جواز التبرك بالمكان في الصفحات: (١٦، ٢٣، ٢٤، ٢٥)، وذكر جواز التبرك بالمواضع والآثار في صفحة (١٧)، وذكر التبرك بالمسح على رمانة المنبر في صفحة: (١٣، ٢٥). ومما يدل على أنَّ الكتاب يخلط بين هذين المعنيين ما قاله عن قول عتبان - رضي الله عنه - لما طلب من النبي ﷺ أن يصلّي في بيته: «فأتخذه مصلّى» - وسيأتي الكلام عنه -، قال عنه تارة في (ص١٥): «ومعنى قول عتبان هذا: لأتبرك بالصلاة في المكان الذي ستصلّي فيه» وقال تارة أخرى في (ص٢٣): «أقرَّ النبي ﷺ عتبان على التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ». فهو تارة يجعل التبرك بالصلاة وتارة يجعله بالمكان.

وقد استدل الكتاب على صحة دعواه بستة أدلة:

الأول: حديث عتبان بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - وطلبه من النبي ﷺ أن يصلّي في بيته ليتخذه مصلّى ففعل عليه الصلاة والسلام، والحديث في الصحيحين.

الثاني: حديث سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - وأنه كان يتحرّى الصلاة عند الأسطوانة التي كان النبي ﷺ يصلّي عندها، والحديث في الصحيحين.

الثالث: تحرّي الصحابة - رضي الله عنهم - الصلاة عند أسطوانة عائشة - رضي الله عنها -، وهو حديث منكر سيأتي الكلام عنه.

الرابع: حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - وأنه كان يأتي مسجد الفتح ويدعو عنده، وسيأتي الكلام عنه.

الخامس: ما ورد من تتبُّع عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - الأماكن النبوية تبرُّكاً بها.

السادس: ما نُقل عن بعض أئمة السلف؛ كمالك وأحمد والبخاري.

وقبل الإجابة عن هذه الأدلة أو الشبهات، لا بد من التأكيد على أنَّ جواز التبرك بآثار النبي ﷺ بهذا المعنى الذي ذكره الكتاب ليس مما قال به أحدٌ من سلف الأمة، بل ولا قال به أحدٌ من الأئمة الكبار عند سبر أقوالهم ومدلولاتها، وليس هو من باب ما يسوغ فيه الاجتهاد، ولذا فإن الرد على هذه الشبهات لا يتعلق بتصحيح حديث اختلف المحدثون فيه، ولا بتوثيق رجل اختلف علماء الجرح والتعديل في شأنه، ولا هو بمأخذ في دلالة لفظة، حمالة أوجه، وإنما هو في تصور الدلالة وانطباقها على الواقع، الأمر الذي غاب عن ذلك الكتاب.

والرد على ما ذكره الكتاب سيكون - إن شاء الله - على وجهين: مجمل، ومفصّل.

فأما المجمل، فيقال:

لو كان الأمر كما قال الكتاب في (ص١٤): «التبرك بما يسمى (الآثار النبوية المكانية) أي: الأماكن التي وُجد فيها النبي ﷺ أو صلى فيها أو سكن بها أو مكث بها ولو لبرهة» ا.هـ، لو كان المشروع من التبرك بآثاره ﷺ يبلغ هذا الحد، لكان حجم المنقول من ذلكم التبرك من أفعال الصحابة أكثر من أن يحصر وبما يغني الكتاب عن عناء تتبُّع الوارد في هذا الباب، ذلك أن عدد ما نَزَله النبي ﷺ من الأماكن يفوق العدّ والحصر، وما وطئته قدماه الشريفتان يتجاوز التعداد، ومع ذلك فلم يثبت عن الصحابة - رضي الله عنهم - أنهم تبركوا بالمكان الذي نزله، أو أنهم تتبَّعوا مواطئ أقدامه ﷺ لا في حياته ولا بعد وفاته كتبركهم بآثاره ﷺ؛ كشعره ووَضوئه ونخامته، دع عنك أن يتتابعوا عليه، فلما تركوه وهم من هم حرصاً على الخير وحباً للنبي ﷺ كان فيه أبلغ دليل على عدم مشروعية مثل هذا الصنيع بل وبدعيته وخروجه عن الهدي الأول. فدعوى التبرك بما مكث به ولو لبرهة دعوة للتبرك بغار حراء، وشعاب مكة، وجبال مكة والمدينة وسهولهما، وما لا حصر له من الأماكن.

أمَّا الجواب المفصّل فيقال:

أمَّا حديث عتبان بن مالك - رضي الله عنه - فقد أورده بتمامه في (ص١٤) ثم قال: «والدلالة من هذا الحديث واضحة في قول عتبان - رضي الله عنه -: فأتخذه مصلّى، وفي إقرار النبي ﷺ. ومعنى قول عتبان: لأتبرك بالصلاة في المكان الذي ستصلّي فيه، قال الحافظ ابن حجر: وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها، قال: ويستفاد منه أن من دُعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة. وقد علّق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على هذه الفقرة بقوله: هذا فيه نظر، والصواب أن مثل هذا خاص بالنبي ﷺ؛ لما جعل الله فيه من البركة، وغيره لا يُقاس عليه؛ لما بينهما من الفرق العظيم....»، ثم قال الكتاب: «يفهم من كلامه هذا (أي: ابن باز) الإقرار بدلالة حديث عتبان على مشروعية التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ وهو المقصود» ا.هـ.

فأنت ترى هنا أن الدعوى أكبر من الدليل، فالدعوى هي وجوب المحافظة على آثار النبي ﷺ المكانية من أجل التبرك بها، حيث إنَّ من فوائد المحافظة عليها - كما ذكر في الفائدة الثانية - التبرك بها، فالكتاب يوجب المحافظة على هذه الآثار حتى نتمكن من التبرك بها، وأين في حديث عتبان، أو من كلام ابن حجر،

أو حتى من كلام ابن باز المحافظة على هذه الآثار؟! غاية ما في الحديث أن عتبان - رضي الله عنه - طلب من النبي ﷺ أن يصلّي في بيته كي يتخذه مصلّى. هذا أولاً؛ ثم بعد ذلك نأتي لمناقشة ما إذا كان ذلك للتبرك أم لا؟ فالحديث يحتمل احتمالات عدّة ذكرها العلماء:

منها: ما نقله المؤلف عن ابن حجر.

ومنها: ما لم ينقله المؤلف من قول ابن حجر في الصفحة نفسها: «ويحتمل أن يكون عتبان إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القِبْلة بالقَطْع» (هامش فتح الباري ١/٥٢٢) وقد كان - رضي الله عنه - ضريراً.

والاحتمال الثالث: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ١٧/٤٦٨) حيث قال: «فإنه قصد أن يبني مسجداً وأحبَّ أن يكون أول من يصلّي فيه النبي ﷺ وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه، فالمقصود كان بناء المسجد». وقال في (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٥٤): «ففي هذا الحديث دلالة على أن من قصد أن يبني مسجده في موضع صلاة رسول الله ﷺ فلا بأس به، وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته، لكن هذا أصلُ قصدِه بناء مسجد فأحب أن يكون موضعاً يصلّي له فيه النبي ﷺ ليكون النبي ﷺ هو الذي رسم المسجد» ا. هـ.

فأهل بيت عتبان - رضي الله عنه - لم يُنقل عنهم أنهم فعلوا ذلك، ولا أحدٌ من الصحابة تبعه في ذلك وطلب من النبي ﷺ ما طلبه عتبان، مع أنَّ فيهم من هو أفضل وأحرص على الاقتداء بسنّة النبي ﷺ منه؛ كأبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، بل لم يُنقل عنهم حرصهم على التنفُّل في محرابه ﷺ. ثم إن هذا ينسحب أيضاً على النساء، فنساؤه في بيوته ﷺ لم يُنقل عنهن أنهن كنَّ يفعلن ذلك، أم أنَّ التبرك خاص بالرجال دون النساء؟! كلُّ ما في الأمر أن عِتبان كلَّ بصرُه، وفعل فعلاً كان يرى عليه فيه غضاضة، وهو صلاته في بيته، فأراد إقرار النبي ﷺ له على فعله، وأراد النبي ﷺ إكرامه ومواساته وهو الرؤوف الرحيم بصحابته وبالمؤمنين ﷺ.

وقد ذكر الكتاب في (ص٢٣) أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذهب مع النبي ﷺ وأبي بكر - رضي الله عنه - إلى بيت عتبان - رضي الله عنه -، وفي (ص١٤) قال: «وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه» ا. هـ، يعني بذلك حديث المعرور بن سويد والذي فيه إنكار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على من قصد الصلاة في مكان صلى فيه النبي ﷺ وسياتي، فهذا فقه عمر رضي الله عنه، وهو الذي ذهب مع النبي ﷺ إلى بيت عتبان بن مالك - رضي الله عنه - كما ذكر المؤلف، فمن أَوْلى بالاتّباع؟!

وأيّاً كان الأمر فلا يُعرف أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أو من أتى بعدهم، حافظوا على مصلّى عتبان - رضي الله عنه - ليتبركوا به، إلا ما رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٥٥٠) عن الواقدي أنه قال: «فذلك البيت - يعني: بيت عتبان - يصلّي فيه الناس بالمدينة إلى اليوم» والواقدي متروك كذاب.

أمَّا الدليل الثاني وهو أَثَر سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - فقد جاء في الكتاب المذكور في (ص١٧): «وثبت عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أنه كان يتحرّى المكان الذي كان يصلّي فيه رسول الله ﷺ بين المنبر والقِبْلة، ففي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة - رضي الله عنه - أنه كان يتحرّى موضع مكان المصحف يسبح فيه، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرّى ذلك المكان.

وفي رواية في الصحيح أيضاً قال يزيد: كان سلمة يتحرّى الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت له: يا أبا مسلم! أراك تتحرّى الصلاة عند هذه الأسطوانة! قال: رأيت النبي ﷺ يتحرّى الصلاة عندها» ا. هـ.

فأين في أَثَر سلمة - رضي الله عنه - التبرك بالأسطوانة أو بالمصلّى خلفها، غاية ما فيه تحرّيه الصلاة عندها اقتداء بتحرّي النبي ﷺ، وهذا من جنس الصلاة خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - أو في مسجد قباء، مع أن الصلاة عندهما أَوْكد من الصلاة عند الأسطوانة؛ لما ثبت من فعله وقوله وترتيب الأجر على ذلك، ومع ذلك لم يقل أحدٌ من السلف أن الصلاة خلف المقام أو في مسجد قباء كانت للتبرك بالمكان، بل هو اقتداءٌ بالنبي ﷺ؛ طلباً للأجر لا لبركة المكان، ثم لو كان ذلك للتبرك فأين سلمة وسائر الصحابة - رضي الله عنهم - من محرابه ﷺ؟ وهذا ما سبق الحديث عنه من أنَّ الكتاب يخلط بين التبرك وبين التأسّي والاقتداء بالنبي ﷺ، ولذلك علّق شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى ١٧/٤٦٧) على حديث سلمة - رضي الله عنه - بقوله: «وقد كان سلمة بن الأكوع يتحرّى الصلاة عند الأسطوانة، قال: لأني رأيت رسول الله ﷺ يتحرّى الصلاة عندها فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة» ا. هـ، فهي متابعةٌ قصداً للأجر وليست تبركاً بالمكان، ويتأكد هذا التخريج بأنَّ سلمة - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة كذلك ما كانوا يتحرّون كلَّ بقعةٍ صلى فيها النبي ﷺ، إنما كانوا يتحرّون ما كان يتحرّاه ﷺ، ومذهب الكتاب أن كل مكان مكث فيه النبي ﷺ ولو لبرهة فهو محلٌّ للتبرك وهو على خلاف مذهب سلمة المستدلّ بفعله، ثم أين في الأَثَر إشارة إلى التبرك المزعوم؟! غاية ما فيه تحرّيه

الصلاة حيث تحرَّاها النبي ﷺ، ولو سلّمنا جدلاً أن التحرّي كان للتبرك فهو تبركٌ بما لامس جسده الشريف في ذلك الوقت، وليس تبرّكاً بالبقعة ذاتها، فلو أراد أحدٌ اليوم أن يصلّي خلف الأسطوانة تأسّياً فله ذلك، أما تبركاً فلا، أيتبرك بالفرش الأعجمية أم بأنواع الرخام المصنوع في الشرق أو الغرب؟! فليس ثمّة ما مسَّ جسده الطاهر صلوات الله وسلامه عليه.

ومن الغرائب أن الكتاب يعدُّ هذا الأثَر من قسم المرفوع حتى يعارض به أثَر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فيقول في (ص٢٧): «فهذا أثَر موقوف على عمر - رضي الله عنه - فكيف يناهض حديثين مرفوعين مقطوعاً بهما رواهما البخاري ومسلم، وهما: حديث عتبان، وحديث سلمة بنْ الأكوع المتفق عليه». ولا أدري ما وجه كون حديث سلمة - رضي الله عنه - مرفوعاً وهو من فعله واجتهاده بعد وفاة النبي ﷺ؟!

أمَّا ثالث أدلته وهو تحرّي الصحابة الصلاة عند أسطوانة عائشة - رضي الله عنها - فقد أورد فيه حديثاً منكراً، ولو صح فليس فيه دليل على التبرك، فقد جاء في الكتاب في (ص٢١): «وأسطوانة عائشة كانت تسمى أسطوانة المهاجرين حيث كانوا يجتمعون عندها، وكان الصحابة يتحرّون الصلاة عندها، ذكر ذلك الحافظ في الفتح...، ثم قال: روى الطبراني في الأوسط عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: إن في المسجد لبقعة قِبَل هذه الأسطوانة، لو يعلم الناس ما صلُّوا فيها إلا أن تُطَيَّر لهم فيها قرعة... الحديث» ا. هـ.

والحديث رواه الطبراني في (الأوسط ١/٤٧٥) من طريق عتيق بن يعقوب قال: حدثنا عبد الله ومحمد ابنا المنذر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. ومحمد بن المنذر هو الزبيري يروي عن هشام أحاديث موضوعة ومنكرة، وعبد الله أخوه لا تُعرف له ترجمة. انظر: (السلسلة الضعيفة للألباني ٢٣٩٠).

والحديث - لو صح - ليْس فيه دليل على أنهم كانوا يتحرُّون الصلاة عند الأسطوانة تبرّكاً، بل كان اقتداءً بالنبي ﷺ، بل إن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يبتدرون السواري - وهي الأسطوانات وقد كانت من خشب - للصلاة عندها وجعلها سترة لهم، وهذا معروف مشهور.

ثم إن الغريب من الكتاب أنه لم يكتفِ بأسطوانة عائشة المزعومة بل زاد عليها وقال في (ص٢٠): «ومن الأماكن النبوية في الروضة الشريفة الأسطوانات الأخرى، وهي: أسطوانة السرير، وأسطوانة الحرس، وأسطوانة الوفود، وأسطوانة التوبة، وأسطوانة التهجد». ولا أدري أيريد من الناس الذهاب إلى هذه الأسطوانات ليلتمسوا البركة عندها؟!

مع العلم أن أيّاً من هذه الأسطوانات لم يرد فيها حديث خلا أسطوانة التوبة والتي تيب عندها على أبي لبابة - رضي الله عنه - فقد ورد فيها حديث إسناده ضعيف، انظر: صحيح ابن خزيمة: رقم (٢٢٣٦)، وضعيف ابن ماجه: رقم (٣٥٠).

أمَّا دليله الرابع فهو حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - فقد جاء في الكتاب في (ص٢٣): «وثبت عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه كان يأتي مسجد الفتح الذي على الجبل، يتحرّى الساعة التي دعا فيها النبي ﷺ على الأحزاب ويتحرّى المكان أيضاً ويقول: ولم ينزل بي أمر مهمٌّ غائظ إلا توخيت تلك الساعة فدعوت الله فيه بين الصلاتين يوم الأربعاء إلا عرفت الإجابة». وجاء - أيضاً - في موضع آخر في (ص٥٩) بعد أن ذكر الحديث: «يقصد - رضي الله عنه - أنه يتوخى الزمان والمكان، أي: يدعو في تلك الساعة في ذلك المكان الذي دعا فيه النبي ﷺ في مسجد الفتح، بدليل رواية البخاري في الأدب المفرد ولفظه:.. » ثم ذكر اللفظ المتقدم آنفاً.

وحديث جابر هذا رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢/٤٢٥ بتحقيق الأرناؤوط) والبزار في مسنده. ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (١٩/٢٠٠) من طريق أبي عامر العَقَدي عن كثير بن زيد بلفظ: «إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة»، وفي إحدى روايات البزار أنه: «يدعو في تلك الساعة في مسجد قباء» ذكرها المؤلف نفسه في (ص٥٩)، ورواه ابن سعد في الطبقات (٢/٧٣) وابن الغطريف في جزئه (ص١٠٧). ومن طريقه عبدالغني المقدسي في الترغيب في الدعاء (ص٤٩) من طريق عبيد الله بن عبد المجيد عن كثير بن زيد بلفظ: «إلا توخيت تلك الساعة من ذلك اليوم فدعوت فعرفت الإجابة». ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢/١٦٧ مع الشرح) من طريق سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد بلفظ: «إلا توخيت تلك الساعة فدعوت الله فيه». وأصح هذه الروايات إسناداً رواية أحمد؛ فأبو عامر أوثق من عبيدالله ومن سفيان، لذلك قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/١٤٢): رواه أحمد والبزار وغيرهما وإسناد أحمد جيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٢): رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات. وكثير بن زيد نفسُه فيه كلام انظر: السنن والأحكام (٤/٣٠٠) للضياء المقدسي، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨١٦) لابن تيمية. والحديث ضعّف إسناده الأرناؤوط في تخريجه المسند من أجل كثير بن زيد، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/٢٥٦) وصحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٤) باللفظين معاً، وأنكر ابن تيمية أن يكون جابر - رضي الله عنه - كان يتحرّى المكان، فقال في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨١٦): «ولم يُنقل عن جابر

- رضي الله عنه - أنه تحرّى الدعاء في المكان بل في الزمان».

ولو فرض ثبوته عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - فسائر الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافه، فلم ينقل عنهم هذا الصنيع، مع توفر الدواعي إلى نقله، فدلَّ على أن تركه هو السُّنَّة.

أمَّا تتبُّع عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - الأماكن النبوية فقال الكتاب في (ص١٧): «وقد بوّب البخاري في صحيحه فقال: (باب: المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلّى فيها النبي ﷺ)، وذكر فيه أحاديث. فيها تتبّع عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - هذه المواضع والتبرك بها، ومثله سالم ابنه - رضي الله عنه - كان يتحرّى هذه المواضع، ويُفهم من تبويب البخاري وذكره هذه المواضع أنه يرى مشروعية التبرك بذلك». وفي (ص٢٣) قال: «ولذلك لم ينقل أن عمر أنكر على ابنه عبدَ الله شدة تتبّعه الأماكن النبوية وتبركه بها، بل لم يرد عن أيٍّ أحدٍ من الصحابة أنه أنكر عليه ذلك، فهم وإن لم يُنقل عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك مثله لكن عدم إنكارهم يدل على مشروعية فعله رضي الله عنه» ا. هـ.

والعجب لا ينقضي من صنيع هذا الكتاب! فقد زعم أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يفعل ذلك تبركاً، وليس فيما أورده ما يشير إلى ذلك، ثم زعم أن البخاري من تبويبه السابق ذكره يُفهم منه أنه يرى مشروعية التبرك، فبنى خطأً على خطأ، والبخاري بريء من ذلك، ثم زعم أن عمر - رضي الله عنه - لم ينكر على ابنه، وسيأتي أنه أنكر على ما هو أشد من ذلك، فماذا يريد الكتاب من كل ذلك؟!

وهاكم نص الحديث كما أورده البخاري، ولنفتّش سويّاً عما زعمه الكتاب من تبرك ابن عمر - رضي الله عنهما - بهذه الأماكن، قال البخاري: «حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا فضيل بن سليمان قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّي فيها ويحدث أن أباه كان يصلّي فيها وأنه رأى النبي ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة. وحدثني نافع عن ابن عمر أنه كان يصلّي في تلك الأمكنة وسألت سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء» ا. هـ. فأين في هذا الحديث أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يتبرك بهذه الأماكن حتى يرتب عليها الكتاب كلامه السابق؟! وكذا تبويب البخاري: (باب: المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلّى فيها النبي ﷺ) أين فيه مشروعية التبرك بهذه المساجد والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ؟! وهذا يؤكد ما ذكرته من أنَّ مبنى خطأ الكتاب هو الخلط بين ما كان يفعله الصحابة اقتداءً واتباعاً للنبي ﷺ وما كانوا يفعلونه تبركاً.

أما زعمه أن عمر - رضي الله عنه - لم ينكر على ابنه عبد الله فجوابه: أنه أنكر على جمع من الصحابة فعلوا فعل ابن عمر - رضي الله عنهما -، فعن المعرور بن سويد الأسدي قال: «وافيت الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما انصرف إلى المدينة، وانصرفت معه، صلى لنا صلاة الغداة، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، ثم رأى أناساً يذهبون مذهباً، فقال: أين يذهبون هؤلاء؟ قالوا: يأتون مسجداً ها هنا صلّى فيه رسول الله ﷺ، فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بأشباه هذه يتبعون آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائس وبيعاً، ومن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله فليصلِّ فيها، ولا يتعمدنها». رواه الطحاوي في مشكل الآثار (١٢/٥٤٤) واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٣٧٦)، وهذا الأثر صحّح إسناده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/٢٨١) والألباني في تخريج فضائل الشام (ص٤٩) وقال في الثمر المستطاب (١/٤٧٢): وهذا إسناد صحيح على شرط الستة. والحديث صريح في إنكار عمر - رضي الله عنه - على من فعل ذلك، وهذا الإنكار كان أمام جمعٍ من الصحابة، مع أن هذا الدليل ليس خافياً على ذلك الكتاب، فقد سبقت الإشارة إلى أن الكتاب قال في (ص١٤): «وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه»، فالكتاب يذكر حديث عمر الذي أنكر فيه على من فَعَلَ فِعْلَ ابنه عبد الله ثم يقول: ولم يُنقل عن عمر أنه أنكر على ابنه! ومن نظر في سيرة عمر - رضي الله عنه - يجدها مُطَّرِدَةً في إنكار مثل هذا الصنيع، حتى إنه أمر بقطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها لما بلغه أنَّ ناساً يأتونها ويصلون عندها، كما في مصنف ابن أبي شيبة (٢/٣٧٥)، وقال ابن حجر في الفتح: «ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر - رضي الله عنه - بلغه أن قوماً يأتون شجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت»، أما على رأي الكتاب فإنه تجب المحافظة على الشجرة، ويجوز التبرك عندها كذلك!

قال ابن تيمية - كما في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٦) -: «كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين ولم ينقل عن أحدٍ منهم أنه تحرّى الصلاة في مصلّيات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنّته وأتبع لها

من غيرهم»، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز - الذي عدَّه الكتاب ممن يجيزون التبرك بالمكان الذي صلى فيه النبي ﷺ كما سبق نقله عنه -: «والحق أن عمر - رضي الله عنه - أراد بالنهي عن تتبُّع آثار الأنبياء سدَّ الذريعة إلى الشرك، وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه - رضي الله عنهما - وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر، وليس في قصة عتبان ما يخالف ذلك؛ لأنه في حديث عتبان قد قصد أن يتأسّى به ﷺ في ذلك، بخلاف آثاره في الطرق ونحوها فإن التأسّي به فيها وتتبّعها لذلك غير مشروع، كما دل عليه فعل عمر، وربما أفضى ذلك بمن فعله إلى الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب والله أعلم» (هامش فتح الباري ١/٥٦٩).

ثم إنَّ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كان من شدة تتبّعه النبي ﷺ يحب أن يقضي حاجته حيث قضاها رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك عنه في مسند الإمام أحمد (١٠/٢٩٤ رقم ٦١٥١ بتحقيق الأرناؤوط)، وصحيح البخاري (٢/٥١٩ رقم ١٦٦٨)، فهل كان ذلك منه تبركاً؟!

أمَّا استشهاده بأقوال لأئمة السلف كمالك وأحمد والبخاري فقد قال في (ص٢٥): «ومشروعية التبرك بالأماكن النبوية هو مذهب البخاري كما ذكرنا (يعني: تبويبه في كتاب الصلاة، باب: المساجد التي على طريق المدينة، وسبق الرد عليه) ومذهب البغوي، والنووي، وابن حجر، بل هو مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - وقد استدلَّ الإمام على ذلك بأن الصحابة كانوا يتبركون برمانة المنبر، يتبركون بالموضع الذي مسته يد النبي ﷺ، وهو مذهب مالك، فقد روى أبو نعيم في الحلية أن هارون الرشيد أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ ويتخذه من جوهر وذهب وفضة فقال له مالك: لا أرى أن تُحرم الناس من أَثَر النبي ﷺ، وسبق كلامه في استحباب صلاة النافلة في مكان مصلاه ﷺ من مسجده» ا. هـ. يعني بذلك ما ذكره في (ص٢٠) أن مالكاً سئل: أي المواضع أحب إليك الصلاة فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مصلاه، وأما المكتوبة فأول الصفوف.

والذي يهمنا هنا هو النقل عن الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والبخاري، وبغضِّ النظر عن صحة أسانيد هذه الأقوال فأين هي مما يدعو إليه الكتاب من المحافظة على آثار النبي ﷺ المكانية للتبرك بها؟! فكلام الإمام أحمد عن رمانة منبره ﷺ، وكلام الإمام مالك عن نقض المنبرِ هو عمَّا مسته يد النبي ﷺ لا عن آثاره المكانية، فأين هو المنبر اليوم وأين رمانته؟!

أمَّا ما نقله عن الإمام مالك وأنه يرى أفضلية صلاة النافلة في موضع مصلاه فهذا على سبيل الاقتداء لا التبرك، وقد قال ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها (ص١٠٨): «وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قباءً وأُحداً» يعني: شهداء أحد. وقال ابن بطال في شرح البخاري (٣/١٥٩): «روى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ، فقال: ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء»، أما الإمام أحمد فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٤): «وأما أحمد فرخَّص منها فيما جاء به الأَثَر من ذلك إلا إذا اتخذت عيداً، مثل أن تنتاب لذلك، ويجتمع عندها في وقت معلوم» يعني: حتى ما جاء فيه الأثَر كمسجد قباء يشدد فيه الإمام أحمد إذا اتخذ عيداً، فماذا بعد ذلك؟!

ومن عجائب هذا الكتاب أنه يدعو إلى التبرك الآن بشرب ماء الآبار التي سقط فيها خاتم النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، وذلك في (ص١٣): «ومنه - أي: التبرك - قصدُ الآبار النبوية التي نُقل أنَّ النبي ﷺ تفل فيها أو صبَّ وضوءه فيها، أو سقط شيء من متعلقاته فيها، كبئر أريس التي سقط فيها خاتمه بقصد التبرك بالشرب منها، فهذا أمر مشروع؛ لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ، لا فرق في الحكم بينه وبين وَضوئه ﷺ الذي كان الصحابة يتسابقون إلى التبرك به» ا. هـ. وهذا لا أعرف أحداً سُبِق إليه. وقوله: «لا فرق في الحكم بينه وبين وَضوئه» غير صحيح، فالصحابة - رضوان الله عليهم - فرَّقوا بينهما فكانوا يتبركون بوَضوئه، ولم يُنقل عنهم أنهم كانوا يشربون من ماء بئر أريس تبركاً بعد سقوط خاتم النبي ﷺ فيه من يد عثمان - رضي الله عنه - كما في الصحيحين.

● الخلاصة

أنَّ التبركَ بآثار النبي ﷺ الحسيَّة كبطنه وشعره ونخامته وكذا ما لامس جسده الطاهر الشريف كوَضوئه وملابسه؛ صحيحٌ، قد فعله الصحابة ومن بعدهم بعض التابعين ثم عفا الفعل كما عفا الأثَر. وما قَصَدَه النبي ﷺ للصلاة أو الدعاء عنده من الأماكن كمسجد قباء ومقام إبراهيم - عليه السلام - فقصدُه للصلاة أو الدعاء اقتداءً به سنَّةٌ مستحبة، أمَّا التبرك بها فبدعةٌ منكرة. وأمَّا ما لم يقصده من الأماكن فالصحيح عدم قصد الصلاة عنده إلا إذا وقع اتفاقاً كأن يصلي منها دون تعمّد أو تحرٍّ. أمَّا وجوب المحافظة على الآثار النبوية المكانية لغرض التبرك عندها فلم يقل به أحدٌ من العلماء المعتبرين، وفتحه فتح باب شرٍّ وفتنة.

والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

بأقلامهن

من مآسي الحياة

مي علي صالح

اطلقت بصري متأملة في كل ما يدور في هذه الحياة فعاد إليَّ حزيناً فزعاً مما رأى، فأطلقته أخرى علّني أجد ما ينسيه جولته الأولى فعاد إليَّ كما كان في الأولى مع يأس شديد اعتراه. لم تكن هذه النظرات والتأملات إلا في زاوية معينة من حياة البشر وما أدراك ما هذه الزاوية؟ هي في نظري سبب من أسباب تخلفنا وتقهقرنا، وأقول من الأسباب؛ لأن الضعف والتأخر لم يأتِ بسبب واحد، بل هو لأسباب مجتمعة من كل جانب من جوانب حياتنا. ولكن ما هالني هو جانب واحد ولا أريد أن أظلم الناس كلهم بأنهم واقعون في هذه المأساة؛ فقد قال ﷺ: «إذا سمعتَ الرجل يقول: هلك الناس؛ فهو أهلكهم»، صحيح البخاري.

المتأمل في حال بعض الناس يشعر بالأسى وبكثرة أتباع الهوى على خلاف قوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠].

فمثلاً لنشاهد حياتهم بالنظر إلى الأسرة التي هي أساس المجتمع؛ فمنها تتخرج العقول ورجال التاريخ، ومنها كذلك تُملأ السجون. إذا تأملت يوماً أسرة عربية فستذهل من حقيقة أن هناك كائنات تعيش بهذه الطريقة. فمن منطلق الأسرة سنستعرض ما تحويه من بعض المشكلات المسببة لتخلفنا، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١ - انعدام الهدف:

وهو أول هذه المعضلات، ويظهر في أسباب الرغبة في الزواج منذ البداية؛ فرغبة بعضهم في الزواج لا تعدو أن تكون لإشباع غريزة جنسية أو رغبة في الاستقرار، أو هروباً من كلام الناس وأسئلتهم، أو حباً في الحصول على ولد. وهذه الأمور ليست بالمحرمة أو الممنوعة، ولكن وضعها كهدف تنطلق الحياة باتجاهه هو الخطأ والدمار عينه، وقد قال ابن القيم: (للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية. فالسافلة: دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدو يوسوس له. فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده. والقلوب جوالة في هذه المواطن).

فمن كان كما ذكرنا تاركاً أهداف الآخرة ولقاء الله فأي دنيا ستعمر من تحت يديه، وأي جيل سينشأ وهو في تحركاته كالآلة يؤدي ما عليه من واجبات سواء كان - الزوج أو الزوجة - غير واضع في ذهنه ما إذا كان هذا العمل الآلي متقناً أو لوجه الله أو بنية خالصة؛ فبهذه الأمور ينال الأجر وهو لا يدري. ولكن بعض الناس يحرمون أنفسهم حتى من الأجر في أعمالهم الدنيوية فتصبح حياتهم دنيوية بحتة، فصار كمن عشق الدنيا فنظرَتْ إلى قدرها عنده فصيرته من خدامها وعبيدها وأذلته، ومن أعرض عنها نظرتْ إلى كبر قدره فخدمته وذلت له. وقال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من بركات الأرض» فقيل: ما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا».

فعلاقة الإنسان بالدنيا كما قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: (للإنسان في الدنيا حظ وله في إصلاحها شغل؛ فهما علاقتان: الأولى: علاقة مع القلب، وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها.

أما العلاقة الثانية: مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاحها. ولو عرف الإنسان نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها لعلم أن الدنيا لم تخلق إلا لبقاء البدن؛ فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن، ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليها لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم بجهلهم بالدنيا وحكمتها).

فالمقصود أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولكن يأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، فيحقق بذلك التوازن والعدل في أمر الدنيا واضعاً نصب عينيه هدفاً يعيش لأجله يكون سبباً في دخوله الجنة.

٢ - سوء التربية:

فلننتقل بصرنا الآن إلى جانب آخر من جوانب المآسي الأسرية وهو تربية الأولاد، وهذا موضوع يطول ومكانه وتفاصيله في كتب الدين والمآثر وعلوم النفس، ولكن نذكر هنا جزءاً بسيطاً



مما تفشى في مجتمعنا. فهناك أولاد يولدون في هذه الحياة، فلا يجدون أمامهم إلا أسوأ الأمثلة من سوء تعامل بين الأبوين مع بعضهما إلى طريقة كلامهما وتفكيرهما. فتحزن اشد الحزن عندما ترى أبوين تافهين رُزقا بأطفال، فتتأمل هذا المشهد متخيلاً: كيف سيكون الأطفال في كنف أبوين كهذين إلا أن يتغمد الله الأولاد برحمته ويهديهم إلى الصواب؟ فالطفل بجوهره خلق قابلاً للخير والشر، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وعن أبي حفص البيكندي، وكان من علماء سمرقند، أنه أتاه رجل فقال: (إن ابني ضربني وأوجعني. قال: سبحان الله! الابن يضرب أباه؟ قال: نعم! ضربني وأوجعني. فقال: هل علمته الأدب والعلم؟ قال: لا. قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا. قال: فأي العمل يعمل؟ قال: الزراعة. قال: هل علمتَ لأي شيء ضربك؟ قال: لا. قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار، والثيرانُ بين يديه، والكلبُ من خلفه وهو لا يحسن القرآن فتغنى، وتعرَّضتَ له في ذلك الوقت فظن أنك بقرة؛ فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك).

والله! إن القلب ليتفطر لرؤية ولد بين أبوين جاهلين أكثر من رؤية اليتيم المسكين؛ فجاهل الأبوين ناهيك عن جهلهما بالدين وادعائهما أنهما يربيان أبناءهما أحسن تربية وهي تسير في الاتجاه المعاكس للشرع والسنن؛ ففي الوقت نفسه يربى بينهم كالبهائم تأكل وترعى وتنام؛ فلا مبدأ غُرِسَ، ولا أخلاق نُمِّيت ولا روح غُذِّيت. فإذا كان الولد صالحاً كان أجره لوالده. فإن كان الوالد لا يعلِّمه القرآن والعلم، ويعلمه طريقة الفسق فإن وزره يكون على أبيه من غير أن ينقص من وزر ولده شيء. قال ﷺ: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

٣ - المداومة على المزاح والإفراط في الضحك:

فلننتقل بأبصارنا إلى آفة أخرى يعتبرها البعض روح الحياة وانتعاشها، بل هي لديهم الحياة وبدونها فليكن الطوفان ألا وهي آفة المزاح وكثرة الضحك. قال الحسن البصري: (يا عجباً من ضاحك ومن ورائه النار، ومن مسرور ومن ورائه الموت). فإن قلت: المزاح مطيبة وفيه انبساط وطيب قلب فلمَ يُنهى عنه؟ قلنا كما قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: (فاعلم أن المنهي عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه، أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة. وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك، وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار). فهذا سيد الخلق ﷺ يمزح وهو حاملُ هَمِّ الأمة، ولا يخفى علينا المواقف التي تخبرنا بمزاحه ولكنه قال: «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً».

فنعيب على أهل زماننا كثرة المزاح والضحك بسبب وبدون سبب حتى أصبحت المجالس والاجتماعات ما هي إلا مركز لاستعراض الأشخاص لقدراتهم في إضحاك الآخرين وإظهار روحه المرحة، وأن له حضوراً في المجلس مع أن هذا الحضور وعدمه سواء عند أصحاب العقول؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن يكذب ليضحك به الناس، ويل له، ويل له - ثلاث مرات». فكفى بهذه الكلمات لنا رادعاً حتى نقلل من المزاح الذي بكثرته نكاد نجزم أنه لن يخلو من الكذب والمبالغات؛ فإن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله فيسخط الله بها فيصيبه السخط فيعم من حوله.

واعلم أن أكثر الناس ضحكاً في الدنيا أكثرهم بكاء في الآخرة. فالمسلم يحزن لرؤية مجتمعه غارقاً في التفاهات، همه الترويح عن نفسه وتتبع النكات والمهازل محتجين بان ما يمر عليهم في يومهم من شقاء وعمل يحتاج بعده إلى الترويح عن النفس حتى إننا نرى الآن في شبكة الإنترنت مواقع فُتحت خصيصاً لتبادل النكات والقصص الهزلية والمواقف السخيفة، وأكاد أجزم أن مثل هذه المواقع تضم أكبر عدد من المشاركين والأعضاء مما يعكس ثقافة عالمنا العربي. حتى في ما يسمى بالمنتديات التي يغرك بعضها وتشعر بأنك وجدت ضالتك في البحث عن منتديات هادفة تروي ظمأك وتعطُّشك للحصول على العلم أو تبادل الحوارات الجادة. فبعد تصفح كامل لها تجد أن قسم المنوعات أو الترفيه أو أياً كان اسمه، دائماً له قصب السبق في المشاركات الهائلة والنشاطات المتناهية؛ فما كان اسم المنتدى وتصنيفه إلا غطاء ما يلبث أن يُزال، فتظهر المعلومات الضحلة والاتجاهات الحقيقية لأصحابه ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استُخف به).

فالميزان في ذلك أن تمزح ولا تقول إلا حقاً، ولا تؤذي قلباً، ولا تفرط فيه، فمن الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليها. فخراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

شاب الصبا، والتصابي بعدُ لم يشبِ
وضاع وقتك بين اللهو واللعبِ
وشمس عمرك قد حان الغروب لها
والفيء في الأفق الشرقيِّ لم يغبِ

فهنئوا أبصاركم بالعودة سالمة بعدما رأت وعاينت؛ فهذا غيض من فيض عسى الله أن يرحمنا ويهدينا.

فلا أملك في النهاية إلا أن اختم بهذا القول لابن القيم - رحمه الله - قال فيه: (لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد في فِطَرهم وظلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى رُبِّي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير فلم يروها منكراً. فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مكان العقل، والهوى مكان الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف؛ والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل. فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، وكان أهلها هم المشار إليهم) «الفوائد لابن القيم».



الدعـوة إلى الله.. والصبر على الأذى

مـقام الدُّعـاة إلى الله من أرفع المقـامات، كـيف لا وهم يتجـشمون الكثـير من الصعـاب في سبيل الدعـوة. وبقدر حجم الابتلاء يكون حجم الثواب المقدّر لصاحبه، ولذا نجد أن باب الصبـر هو الباب الذي يدخل منه الداعـية إلى الله، ويتجلّى ذلك الصـبر في تحمّل أنواع الأذى الـتي يلقاها من الناس في دعـوتـه. ولعلَّ من الأمـور التي يمكـنهـا إعـانة معشر الدُّعـاة على طَرْق باب الصبر اسـتصحـاب الوضع الدعوي الراهن، ومعرفة المرحلة التي تجتازها الدعوة الآن، فللدعوة مـراحل تشبـه إلى حدٍّ ما مـراحل حيـاة الإنسان: طفولة ثم مراهقة ثم نضج.

فهذه المراحل الـثلاث تناظر المراحل الثلاث التي تمرّ بها الدعـوة إلى الله في الأمـة؛ فـالمرحـلة الأولى وهي مـرحلة ابتعاد الأمة عن منهجها القويم تقابل مرحلة ما قبل البلوغ، وفيـها نجـد أن الدُّعاة إلى الله يعـانون كثـيراً في عمـلية إحـياء القـيم الدينيـة وابتعـاثها مـن جديد، وهذه تمثلهـا مرحلة ما قبل الصحوة الإسلامـية. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة إقبال الأمة على المنهج القـويم والتي تناظر مرحلة المراهقة نسـبةً لما يعانـيه فيهـا الدُّعاة إلى الله من المشـقة والمعاندة، وذلك لأن الإقبـال يكون بعنف شديد يطغى على المعـاييـر، وتصـحب هذه المرحـلة الغلو في الدين وكـثـرة الجدال والجُـراة على الدُّعاة والكثـير من المظاهر السلبـية. فإذا لم يقـابل الدُّعاة إلى الله هذه النفـوس بسعـة الصدر والحنو الزائد والشفقة والرحمة؛ فإن زمان مكوث الأمة في هذه المرحلة سيطول حـتماً. وها نحن الآن نعـايش مرحلة المراهقة؛ فإذا تغـلب الدُّعاة على عـقـبات مـرحلة المراهقـة دخلت الأمـة المرحلـة الأخـيـرة في دائرة الدعـوة ألا وهي مرحلة الوسطية. فعلى الدُّعـاة أن يعدّوا لكل مرحلة عدّتها من الصبر، وأن يتيقّنوا حقيقة أن الله مع الصابرين.

■ المهندس: أحمد نورين دينق

وعـــــد الإلـــه

واصلوا حربكم..
أيها الرافضون لذلّ الحياة..
وخذوا حذركم..
من ولاء بني جلدتي للغُزاة..
أحْرقوا بلظى صدقكم..
صَلَفَ الماكرين الطُّغاة..
وارفعوا عن سمانا..
هزائمنا العاصفات..
وانعموا بالرُّضا..
أيها الواثقون بوعد الإله..

■ غازي المهر

أيهـــــا الأســـــد.. مـــــتى؟!

ارتمتْ بين يديّ خريطة في هيئـتها صورة للّيْث يثبُ على فريسـته، تراه قد طار في الجـو كالنسـر سرعة، ولكنـها سرعـة ساكنة فـوق أرض الواقع وفي ثنايا الخريطة.

حملقت بنظري في هذه الخريطة، تامّلتها، فإذا بي أجـد فيها نهرين عظيمين، فهذا دجلة وهذا الفرات باقيان على مرِّ الزمان. وهـا هـي الموصـل، بـل ها هي سامـراء خالية، وهذه هي بغـداد وقد سكن عزّها، وهذه الكوفـة وقد أرهقتـها صروف الدهر.

إنه العراق الذي ضرب بمجده جذور التاريخ، ورافق الحياة في مسـيرتها، ذاقَ حلاوة المجد، وعزة الإسلام، ورفعة العلم زمناً، ثم ذاق مرارة الظلم، والذّل والجهل، والبدع زمناً آخر.

آه! فكم من حـرقة تشعل الكـبد ناراً، وكم من لوعة تـذيب القلب كمداً، كلما طرقَّ ذكر العراق قلبي المحزون، إنه وطن من أوطان الإسلام.

فكم أنجب لنا من مجد في سالف الأيام، وغابر العصور.

كم من معين صاف للعلم كان فيه جنى منه العلماء أطايب الحكم والعلوم.

وكم من صحراء فيّه كانت نعم الكنانة للغة القرآن العظيم.

وكم من عندليبِ شعرٍ صدح في ميادينها.

آه يا عراق المجد! كم مَن ركب سار طروباً بعبق ذكراك.

وكَم من خليفة فيك قد أعلى راية الجهاد.

وكم من جيوش انطلقت من حماك.

وكم من شرف قد حيز لك.

وكم من نصرٍ ناله الإسلام بك.

وكم من قواف حسان قد نُظمت فيك مدحاً.

كم وكم، فآهٍ ثُم آهٍ ثم ألف آه من أعـماق الفؤاد على مـجدك الذي اندرس في هذه الأيام!

أيا عراق المجد! أين صولتك؟ وأين آباؤك؟ وأين مجدك؟ هل اطمانت جوانحك إلى مجدك السـالف؟ أم هانت في نفسك نشوة الانتصار؟!

هل تنازلت عن مكانتك؟ أم تواضعت لغيرك لياخذ مكانك في القيادة؟

هل نسيت دورك وتاريخك؟ أم أصابتك لوثة الذّل؟

أيئست من النصر؟ أم صدقك المنجمون؟

أماتت أبطالك؟ أم تبددت في نفوسهم الهمم؟

أنزعت تاج قوتك للأبد؟ أم نزعته لتعيد تنظيمه؟

كم تالم الروح يوم لا تسمع لك صوتاً مدوّياً يزيل ما انت فيه من مآس عظيمة.

يا عراق المجد! لن نياس أبداً من انتظار عـودتك إلى ميادين العـزّة والقوة، فالخـير بين ذرّات رمالك، وبـين جريد نخيلك، الخـير في شبـابك وفي أبطالك وفي روابيك وفوق سهولك.

ولكن يبقى في القلب المتلهف سؤال يدوّي صداه في الأعماق: متى تعود أيها الأسد؟ متى؟ متى؟

■ القارئة: وميض الأمل

تنويه: في عدد رمضان وفي مقال «حرب الله على أي أساس يقاتل» وكاتبه: عبد المنعم شفيق، وضع بطريق الخطأ عنوان بريد إلكتروني لكاتب آخر من كتاب المجلة، والعنوان الصحيح للكاتب: (nahl@gawab.com)



وأعـــــادَ الربيـــعُ...

ظهر الفجر في الحياة فأهدى

روعةً إذ بدى وحسن جلال

وزهور الغصون أبدت شجوناً

والصحاري الجدْب حمر التِّلال

ورياح السحب هلّت بوَبْل

فأعادَ الحياة للأجيال

كم شكى الرّاع من جدوب الفيافي

واشتكى الطير من خواء الغلال

فانتشى الكون برحيق وماء

وارتوى الكون من ضياء الهلال

وأعاد الربيع للأرض عيداً

وذِكريات فلم تغيب ببال

وورود الغصون تنشد شعراً

في جمال الغدير والشلال

هتف البرق في رحاب السماء

وسبى الرعد منعم ذو كمال

أمطر الليل سابحات الأماني

وارتوى الشوق من نسيم الرمال

فتعالى الربّ ذو الإنعام

ذو العطايا وواهب الأفضال

■ زيزفون الغدير

ثقـــافـــة «ممكن أهدي»

لسنا في حالة مصادرة للمشاعر الإنسانية المتبادلة بين الأحبّة والأصدقاء، بل نحن في حالة مصادرة لثقافة عارية من الثقافة المائعة في صفوف الشباب والشابات، وقد نجد طبقات ممن تخطّاهم القطار السني في الثقافة ذاتها.

تُصاب بشيء من الاشمئزاز والنفور وأنت تستمع إلى شاب أو شابة يجري اتصالاً هاتفياً دولياً بإذاعة أو قناة فضائية من أجل أن يهدي أغنية هابطة في كل شيء.

الإهداء جميل، لكنه يكون أجمل عندما يعمل الرجل ويكدّ ويكدح لأجل توفير طعام وكسوة لأسرته. والإهداء من المرأة لزوجها يكون أجمل عندما تقوم بالتربية الحسنة لأولادهما والرعاية التامّة لهم ولزوجها، والإهداء أجمل حين يأتي الشاب إلى أصدقائه حاملاً لهم معلومات تنفعهم وتفيدهم. والشابة التي تهدي الطرق النافعة في منزلها ومجتمعها هي إنما تهدي الأمة الخير دون أن تدري.

لقد صادرت رسائل الجوال والإذاعات الهابطة مشاعرنا، وكذا التلفزيونات فعلت فعلَها؛ لتستبدل تلك المشاعر الإيمانية بصور الراقصات العاريات، وشبابنا وشاباتنا تحت ثقافة «ممكن أهدي»».

هكذا تجتر مشاعر أمة فشلت في صناعة الحب الكبير تجاه قضايا الأمة، فاصبح الرافض لمفاهيم الثقافة البليدة ـ في نظرهم ـ تائهاً لا يستحق الوجود في عالم ثقافته عارية مملوءة بالكذب والإهداءات المفرغة من المشاعر. ■ سعيد باموكرة الحضرمي

أخطاء في التـــربيـــة

١ ـ عدم الإجابة عن تساؤلات الأطفال، فطبعهم يسألون عن أيِّ شيء، فمن الأفضل أن نجيبهم عن أسئلتهم قدر استطاعتنا، وألا نتهرّب من بعض الأسئلة بحجة أنها محرجة، بل نحاول إقناع الطفل بإجابة تناسب فهمه وعقله.

٢ ـ النقد المستمر للطفل على كل صغيرة وكبيرة، وكثرة الزجر والضرب والصراخ تجاه الأخطاء التي يقع فيها بدلاً من معالجتها بحكمة.

٣ ـ تربيتهم على الميوعة والفوضى، وتعويدهم على التّرف والبذخ؛ فينشأ الطفل مترفاً منعماً، لا يهتم بالآخرين، بل يكبر ولا يعتمد على نفسه.

٤ ـ بسط اليد للأولاد: أي: شراء كل ما يريدون، فيجب على الأب أن يسأل الطفل إذا أراد أن يشتري شيئاً أن يقول له: لماذا تريد هذا الشيء؟ وما هدفك من شرائه؟ ويقال للطفل: إن هذا المال يجب أن نصرفه في الشيء الحسن، وأنه لا يأتي بسهولة، ولا بدّ من عمل لكي يأتي المال، فالمال لا يأتي من الصرّافة فقط، بل هي تحفظ المال.

٥ ـ الدعاء على الأولاد ساعةَ الغضب، يقول الرسول ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» أخرجه مسلم.

٦ ـ احتقار الأولاد، وعدم تشجيعهم، وإسكاتهم إذا تكلموا.

٧ ـ جلب المنكرات للمنزل، وجعلها مألوفة بين الصغار ومحبّبة إليهم. ■ أبو عبد الله

إشـــراقـــةُ أمل

في كمبوديا شعب متعطّش إلى الإسلام ومعرفة الطريق إلى الجنة، باذلاً في ذلك ما في وسعه، غير أنه في حاجة ماسّة إلى من يأخذ بيده إلى برِّ الأمان، ولذلك فهم يتجشّمون الصِّعاب ويصبرون على شَظَف العيش في سبيل تلقِّي العلم.

فهم يدرسون في ظلِّ الأجواء المتغيرة، والكهرباء المتقطّعة إن وُجِدت، وتحت ظلال الأشجار، وعلى يد المعلِّم غير المتمكّن، ولكن الحاجة ماسّة لهم لعدم وجود من يسدّ الثغرة.

ورغم هذه الظروف الصعبة التي يعيش طلاب كمبوديا تحت ظلّها فلا تُحدِّث عن حرصهم واجتهادهم وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل تحصيل العلم والاهتمام بكنوزه ودُرره؛ جِدٌ واجتهاد ومثابرة في أشدِّ الأحوال وأحْلك الظروف. قوم ليست اللغة العربية لغتهم لكنها أمنيتهم ومبلغ أهدافهم، ومع ذلك فلم يشعروا بالعجز أمام قراءة القرآن.

وحتى يكون لديك إلمام ولو بشكل موجز عن أكلاتهم، فالوجبة الرئيسة في كل الوجبات هي الرزّ المقلي، ولذلك فالجوع والفقر عنوانان لا ينفكّان عنهم.

لا تعجب من ذلك، فهذة نبذة يسيرة عنهم، وليس من سمع كمن رأى.

أخي الكريم! عندما تقوم ببعض المقارنات تجد البَوْن شاسعاً بين تلك المدارس ومدارسنا، ولكن هل استثمرنا خير ما نعيشه فيما يحيي قلوبنا، وينوِّر صدورنا، ويفرِّج همومنا، وينفِّس كروبنا؟ أتمنّى ذلك. ■ ياسر الحمد



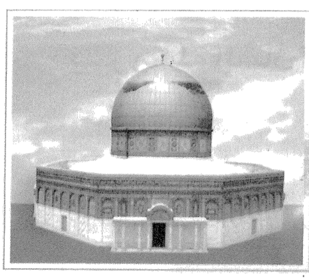
حادي المُنى والمنايا
على هشيم دولة الطوائف

صالح عبد الله الجيتاوي

إيهِ يا حادي المُنى والمَنايا   كيف أمسيت موثقاً في الزوايا
كيف أخنت عليك قارعة الدهر   وأنت ابنها: زناد الرزايا
المَهيب العُتُلُّ ذو المرتقى الصَّعب   أداروك في المحافل نايا
أذهبت ريحك الجهالة حكماً   لم يزل في الزمان يطوي البرايا
لست أدري والنار تنهش روحي   أأداري شماتتي أم أسايا
جلجل السخط حين أبدعك اللؤم كسيراً مذللاً كالسّبايا
مثلَ شاة الحراج تفتح فاها   بئسما أوردت فتاها الخطايا
نظرة الحزن تلك أم رَهَق   الكبر يواري حرائقاً في الحنايا
أم عتاب على الزمان، فما أعتب دهر، ولا أقال الضحايا
أم شموخ على القيود فيا ليت شموخ الإسلام قاد السرايا
منذ تسعين والبوار مقيم   وكبار النفوس راحت شظايا
ذَلَّ من ذلل الرعية والدار   وأوهى عراه وزر الدنايا
ظلمة القبر للعشيرة خيرٌ   من ظلام الأحزاب سود النوايا
منذ جاست بين الصدر وأقامت   دول العار تُبَّعاً وخزايا
فوق عشرين غير أن مداها   عند باب السفير يزجي العطايا
ركّعاً سجّداً ولكن لغير   الله في معبد الخنا كالمطايا
وإذا ما انثنت إلى الدار هزتها   وأحصت على العباد النوايا
أسلمتنا للذلّ حتى كأنَّا   عندها اهل ذمّة لا رعايا
أمعنت توسع القلوب دماراً   ملأتها عقارباً وعظايا
لم تزل ريحها تَصِرُّ وتذرو   بيدر الأهل في شعاب الخفايا
وهي أضحوكة الزمان إذا ما   صهلت في البطاح خَيْل المنايا
صدئت في قلاعها فتداعت   انتنت في كهوفها كالبغايا
شيع النائبات لا بارك   الله عليها ولا تلاها بقايا
من بناها، من حكاها، من غذاها   من طواها، وهل تبوح الطوايا



حماس.. مصير القضية لا مصير الحكومة



ياسر الزعاترة
zaatreh@go.com.jo

عندما تمَّ التوافق بين الأُطر القيادية في حركة حماس على دخول الانتخابات كان ثمَّة إجماع على أن المشاركة في الحكومة ليست واردة، وأن المطلوب هو مشاركة برلمانية تمنح الحماية لبرنامج المقاومة من جهة، وتحول دون تكرار تجربة النصف الثاني من التسعينيات من القرن الماضي، حين سارت قاطرة (أوسلو) واستهدفت الحركة ومؤسساتها وقادتها بمختلف أشكال الاستهداف.

كان التقدير الذي استند إليه القرار، يتمثل في أن مرحلة مفاوضات جديدة هي في طور الانطلاق بسبب تغير المعطيات العربية والدولية، وهي مرحلة تشبه إلى حدٍّ كبير مرحلة (أوسلو) مع فارق أن القيادة الفلسطينية الجديدة لا تؤمن بالمقاومة المسلَّحة بأيِّ حال، وترى استمرار التفاوض، ولو إلى يوم الدين.

في المقابل كان البرنامج الإسرائيلي الذي تبنَّاه شارون هو تأبيد النزاع، عبر مشروع الحلّ الانتقالي بعيد المدى، أو مشروع الدولة المؤقتة على قطاع غزة وأقل من نصف الضفة الغربية، وهي دولة سيكون لها نزاعها الحدودي مع جارتها اليهودية، نزاع ليس مكانه ساحات الحروب ولا البنادق والرصاص، بل الجهود الدبلوماسية في الأروقة الدولية.

حدث ذلك بسبب تطورات دولية وإقليمية وعربية بالغة الأهمية، فهناك - ابتداءً - إدارة أمريكية لم يعرف لها مثيل في مستوى الانحياز للهواجس الصهيونية، وهي ذاتها التي منح رئيسها في نيسان ٢٠٠٤م وعداً لشارون بشأن مفاوضات الوضع النهائي شبَّهه المراقبون بوعد بلفور، وهناك أيضاً وضع دولي متراجع أمام الولايات المتحدة بعد الاجتياح السهل للعراق، فضلاً عن تأثير اليهود في القرار الأوروبي، بخاصة في فرنسا، فيما لا تميل روسيا والصين إلى أيِّ شكل من أشكال الصِّدام مع الإدارة الأمريكية من أجل ملفات شرق أوسطية ما دام بالإمكان المساومة عليها مقابل مكاسب أخرى تهمُّ البلدين في قضايا أكثر أهمية بالنسبة إليهما.

هناك ما هو أسوأ ممثلاً في تراجع الوضع العربي أمام الولايات المتحدة، أكان بسبب ضغوط ملف الإصلاح الذي استخدم مرحلياً في سياق الابتزاز، أم بسبب الخوف من الضغوط الأمريكية بعد احتلال العراق، أم بسبب الفزاعة الإيرانية التي استخدمت لاحقاً، وفي بعض الحالات العربية هناك ملفات داخلية خاصة، مثل: ملف التوريث في مصر.

في مثل هذه الأجواء دخلت حماس الانتخابات من أجل حماية نفسها وبرنامجها، لكن النتيجة كانت مفاجأة؛ ليس فيما يتعلق بحجم حضور حماس، بل في نزاهة الانتخابات، والأهم خلافاتها الواسعة التي أفضت إلى النتيجة المذكورة، لاسيما في الدوائر الانتخابية التي تنافس فيها أكثر من مرشح بعضهم من ذوي السمعة السيئة، مع العلم أن الفارق بين الحركتين في نتيجة نظام القائمة لم يكن كبيراً، ولو كانت الانتخابات كلها وفق ذات النظام كما في الدولة العبرية لكان بوسع فتح أن تشكل الحكومة مع الآخرين، في حين ستكون حماس في المعارضة بنسبة (٤٥٪).

هنا لم تجد حماس بدّاً من تجاهل قرارها بعدم المشاركة في الحكومة، إذ لا يمكن أن تدير ظهرها لمن انتخبوها ومنحوها الثقة، وهكذا مالت إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية، الأمر الذي وُوجه بفيتو واضح من طرف فتح، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل تمَّ التوافق في أروقة الحركة على جملة من السياسات، أهمها: حرمان الحكومة الحماسية من معظم الصلاحيات؛ الأمنية، السياسة الخارجية، الإعلامية، وحتى الإشراف على المعابر، وصولاً إلى تأشيرات الحج والعمرة! ومن ثم العمل الحثيث على استدراجها نحو خطاب سياسي جديد يشوِّهها تمهيداً لإقصائها، إما بترتيب يجري التوافق عليه لاحقاً، أو حتى بانتظار نهاية المدة البرلمانية إذا لزم الأمر، حيث يمكن حينها ترتيب الانتخابات بطريقة مختلفة.

من هنا بدأ التآمر على الحكومة بمشاركة الأطراف العربية الخائفة من المدِّ الإسلامي، والأمريكية والدولية والإسرائيلية، وكل ذلك بالتنسيق مع حركة فتح التي تركز هدفها في التشويه قبل الإقصاء، الأمر الذي بدا أقل أهمية بالنسبة للآخرين،



لاسيما الأطراف العربية المعنية بالتخلّص من الحكومة بأيّ وسيلة.

هكذا فرض الحصار المحكم على الحكومة، وحتى الأموال التي جمعتها لم تتمكن من إدخالها إلى الأراضي المحتلة بسبب تهديد البنوك من قِبَل الولايات المتحدة، في حين جرى دعم الرئيس الفلسطيني وتضخيم حرسه الرئاسي وتزويده بالأموال والأسلحة.

لكن ذلك لم يخف بحال أزمة الأطراف المختلفة في مواجهة الحكومة التي منحت مهلة ثلاثة شهور للسقوط فلم تسقط، ولولا ملف الرواتب لكانت الحكومة في وضع معقول، وهو ملف عجز - رغم أهميته - عن دفع الناس إلى العصيان المدني، والسبب هو أن عودة الوضع القديم تمثل كابوساً بالنسبة للكثيرين، وما يفعله مسلّحو فتح بالناس في الضفة الغربية لا بد أن يدفعهم نحو مزيد من التمسك بالوضع الجديد، وفي العموم فإن الأمل بحلٍّ معضلة الرواتب يظل قائماً ويمكن للناس أن يتدبّروا الأمر انتظاراً لذلك الحل، لاسيما أن مساعدات كثيرة لا زالت تتدفق على الناس المحتاجين بما يحقق الحدّ الأدنى، فيما يؤمل أن يتمرد الأوروبيون على التوجه الأمريكي ويتوقفون تبعاً لذلك عن سياسة حجب المساعدات بعد أن منحوا واشنطن ما يكفي من الوقت لحلّ المعضلة دون جدوى.

لا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، ذلك أن خيارات الانقلاب العسكري من خلال دعم الحرس الرئاسي وسواه من الأساليب المباشرة، قد تفضي إلى اقتتال داخلي، كما قد تفضي - وهو الأهم بالنسبة للإسرائيليين - إلى انهيار السلطة، وصولاً إلى تصعيد شامل يخشاه الأمريكان تبعاً لغرقهم في المستنقع العراقي والأفغاني، إلى جانب أزمة كوريا الشمالية التي أثّرت سلباً على مطاردة إيران.

لكن التصعيد الإسرائيلي الأخير والتلويح بعملية عسكرية واسعة ضد القطاع قد تشير إلى جراحة من نوع آخر تنطوي على محاولة لاستعادة الهيبة بعد هزيمة لبنان من جهة، كما تسعى من جهة أخرى إلى ضرب حكومة حماس عبر شلّ قدرات الحركة العسكرية من أجل تسهيل الانقلاب عليها داخلياً تحت ذريعة وصول الوضع الفلسطيني إلى طريق مسدود، لكن أمراً كهذا لا يعني حلاً للمعضلة بالضرورة، كما أن نتائجه ليس مضمونة.

عربياً يبدو موقف الأطراف التي تناهض حكومة حماس في غاية الحرج أمام الشارع بعد ظهورها في الصف الأمريكي الإسرائيلي، فيما الفلسطينيون يناشدون العرب والمسلمين فكّ الحصار من حولهم.

أما خيار الانتخابات الجديدة التي يلوح بها البعض فلا يبدو مقنعاً، ليس فقط لأنه انقلاب مفضوح وغير مبرّر على عملية ديمقراطية نزيهة يستبطن مناشدة للناس إعادة النظر في اختيارهم فقط من أجل الرواتب! بل لأن نتائجها غير مضمونة أيضاً.

من المؤكد أن أزمة الأطراف المشار إليها وبخاصة فتح قد نتجت بشكل أساسي عن العجز عن استدراج حماس إلى خطاب التراجع، وفي حين نجح قادة السلطة في الحصول على موافقة الحركة على ما عرف بوثيقة الأسرى، إلا أن الإضافات التي وضعت في مقدمة الوثيقة حالت دون القول: إن حماس قد اعترفت بالاحتلال، الأمر الذي دفع إلى تكتيك آخر يسمى محددات البرنامج السياسي لحكومة الوحدة الوطنية، وهي محددات تتضمن الاعتراف بالمبادرة العربية وما وقّعته منظمة التحرير من اتفاقات، فضلاً عن تغييب مصطلح المقاومة. ولما رفضت الحركة ذلك تعثّر مشروع حكومة الوحدة الوطنية بدعوى أن الوضع الدولي لا يقبل حكومة لا تعترف بالدولة العبرية.

الآن يمكن القول: إنه ليس أمام حماس غير مواصلة الإصرار على حكومة الوحدة؛ لأن خيارات الانقلاب العسكري عليها ليست سهلة، ربما بسبب قوتها العسكرية في قطاع غزة، وإن تكن ضعيفة في الضفة، والأهم بسبب الخوف من تداعيات أمر كهذا على السلطة برمّتها، كما أشير من قبل.

أيّاً يكن الأمر؛ فقد تأكد الآن أن الأزمة ليست أزمة حماس وإنما أزمة الآخرين الذين حوّلوا القضية الفلسطينية إلى قضية رواتب، وهم أنفسهم الذين رهنوا حياة شعبهم بإرادة محتلّيه، وهي معادلة يمكن كسرها لو وافقوا على حكومة الوحدة ووضعوا العالم العربي أمام مسؤولياته، ما يعني أن المسؤولية تقع عليهم، لاسيما أن ما يبشرون به لا يعدو متاهة تسوية جديدة لن تأتي إلا بأسوأ بكثير من حصاد (أوسلو).

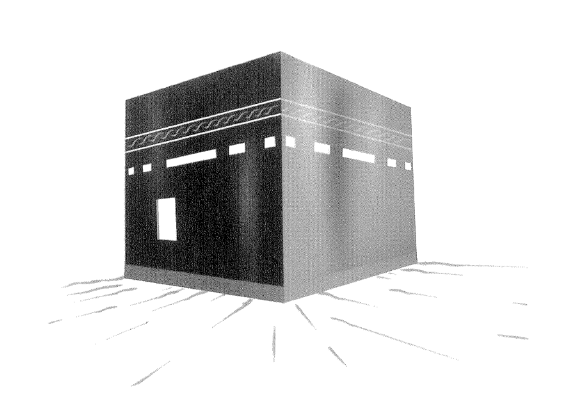
يطرح البعض هنا حكومة كفاءات أو تكنوقراط، الأمر الذي بدا قابلاً للنقاش - بحسب البعض - لكنه خيار فاشل في أيّ حال، ليس فقط بسبب استحالة تسيير الوضع في ظل سيطرة فتح وملْيشياتها على السلطة، بل أيضاً بسبب مسار التفاوض التالي، وهو ما يدفع حماس إلى رفضها والإصرار على حكومة الوحدة، أقلّه إلى الآن.

من المؤكد أن حكومة حماس تعيش أزمة، لكن أزمة الآخرين ليست أقل شأناً، بمن فيهم الإسرائيليون الذين خرجوا مهزومين من لبنان، والأهمّ الأمريكيون الذين يتخبطون في أفغانستان والعراق ومع كوريا الشمالية وإيران وأمريكا اللاتينية، بل مع روسيا والصين أيضاً.

حماس في ضوء ذلك ليست قلقة، وخيارها هو الصمود وكسر الحصار بكل السُبل المكنة، مع التمسك الواضح بالثوابت، أما الحكومة ومصيرها فمشهد عابر في مسلسل صراع تاريخي كبير، ويبقى الأمل في تجاوز فتح لثأرها والموافقة على تشكيل حكومة الوحدة على قاعدة المقاومة وليس الاستسلام لبرنامج العدو، أما إذا أصرت على استمرار التآمر، فإن نجاحها في إقصاء الحكومة يبدو وارداً، لكن ذلك لن يكون مهماً إلى حد كبير ما دامت الجماهير تعرف الحقيقة، وما دام المتآمرون قد فشلوا في ضرب ثوابت الحركة التي انتخبت على أساسها، لاسيما أن مصير رحلتهم التفاوضية الجديدة لن يكون أفضل من رحلتهم السابقة، ما يعني العودة من جديد إلى برنامج المقاومة الوحيد القادر على تحقيق الإنجازات للفلسطينيين.



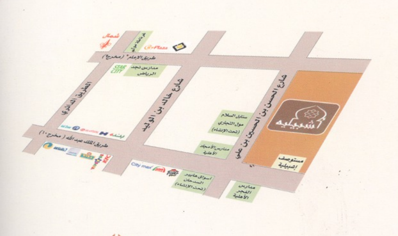

فريضتي
ساهم معنا في حجة
المسلم الجديد



ڤلتك جاهزة!

صفقة العمر!

10% فقط دفعة أولى.. تقسيط لمدة 20 عاماً.. بنسبة مرابحة لا تزيد عن 5%



امتلك في أشبيلية.. أحد أرقى أحياء الرياض.. واستلم فوراً!

نفخر بتقديم الدفعة الأولى من ڤلل مشروع أشبيلية للاستلام الفوري وفق أرقى مقاييس البناء والتشطيب والتسهيلات التي تتفرد بها دار الأركان:

- يمتاز الموقع باتصاله المباشر بطريق الملك عبدالله وقربه من المراكز التجارية الكبرى
- شوارع فسيحة تتراوح في اتساعها ما بين 15 و 20م
- ڤلل بتصاميم جذّابة خارجياً وداخلياً، روعي فيها خصوصيتنا السعودية الأصيلة
- مساحات متفاوتة (من 350 إلى 550م2) لتنتقي منها ما يتوافق مع طموحاتك
- ضمان 10 سنوات على جودة الهيكل الإنشائي.

تفضل باختيار ڤلتك اليوم واستلمها على الفور..

تفضل بزيارة الموقع، أو اتصل بنا لترتيب إجراءآت صفقة العمر!

المبيعات 01-2603621

هاتف مجاني 800 123 3333

www.alarkan.com

أشبيليه

